

نظرات في السُّنة

تأليف

دكتور
محمد عبد المنعم القيسقي

الطبعة الأولى

١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

حسين محمد ميسابي وشركاه

٩ شارع الصنارقية بميدان الأزهر
٩٣١٢٩٦ - ٩١٢٠٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن دعا
بدعواته ، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

وبعد :-

فهذه قطوف من الثمر الجنى الطيب - اقتطفها من رياض السنة ، ورأيت
أن أتقدم بالقارئ إليها ، برهانا على الحاجة للسنة التي تطاول عليها من
لا علم عنده ، فشكك فيها بكلمة حق يراد بها باطل ، يكفيننا كتاب الله ،
ونسى أن السنة هي المذكرة التفسيرية الصحيحة ، والمبينة لبعض الأحكام
التي قد لا يتعرض لها القرآن إلا من الناحية الإجمالية وقد قال سبحانه :
(وما أتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا) .

وسيكون هذا البحث مبوياً لموضوعات متعددة . وقد أذكر حديثاً في
موضوع ، مع أنه قد يتناول غيره في فقرة منه ، إلا أني أذكره في ذلك
الموضوع ، نظراً لأغلب فقرات الحديث .

ولعل هذا هو السر في اختلاف منهج المحدثين ، فيذكره البخاري في
كتاب ، ويذكره مسلم في كتاب آخر .

وسوف أعتمد على مصادر الحديث .

والله الموفق

الموضوع الأول

ﷺ النبي ﷺ

نحن لا نكتب في هذا الموضوع عن ميلاده أو حياته ، فقد أكثر الكاتبون في هذا الموضوع ، ولا حاجة لإعادته - وإنما نكتب عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ونتعرف عليه من زاوية أخرى زاوية الحديث :

١ - فهو الإنسان الحريص على هداية الناس ، يحذرهم ما يعلمه من أخطار تحيط بهم ، ويبيدهم عنها ما استطاع (مثلى ومثلىكم كمثلى رجل أوقد ناراً ، فجعل الجنادب والجراد يقعن فيها ، وهو يذهبهن عنها ، وأنا آخذ بحجزكم عن النار وأتم تفلتون من يدي) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

٢ - وهو المربي الفاضل الذي يرشد تلاميذه إلى كل فضيلة ، ويعلم كل فرد أن يقف في مخططة لا يتجاوزها ، حرصاً على النظام العام ، فإذا انتهك فعله أن يتقدم ليشتري في تدعيم بنيانه . غير خائف ولا هياب (بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا تنازع الأمر أهله ، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا - لا نخاف في الله لومة لائم) خ > ٢ الفتن ص ١٤٥ .

٣ - وهو الرحيم في غضبه ، لم تنسه ثورته مصلحة الفرد المعتدى على مصلحة الجماعة ، فيوفق بينهما بالحكمة (أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وريح الخمر تنبعث من فيه - فقال النبي اضربوه قال أبو هريرة : فلما انصرف قال

بعض القوم : أخزأك الله . قال النبي : لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه
الشيطان (خ > ٢ (الحدود) ص ١٥٠ .

٤ - وهو المصلح المنصف ، يحارب الترف في صوره الخليعة ، ويصل
كل محتاج (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ، ونهانا عن سبع .
أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإفشاء السلام ، وتشميت العاطس ،
وإبرار المقسم ، ونصرة المظلوم ، وإجابة الداعي ، ونهانا عن تحم بالذهب ،
وعن شرب بالفضة ، وعن المياثر الحر والقسي ، وعن لبس الحرير والإستبرق
والديباج) (خ > ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

٥ - وهو الكريم يجود بما عنده ، فإذا لم يستطع أن يعطيه رافقه
ودعا الناس لمساعدته (إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال : اشفعوا
تؤجروا ، ويقضى الله على لسان نبيه ما أحب) (خ > ١ (الزكاة) ص ٩٨ .

٦ - وهو الطالب من ربه في خشوع وذلة ، والمستجاب له بما هو
فوق مطلوبه (قرأ قول إبراهيم ومن عصاني فإنك غفور رحيم . وقول عيسى
إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . فقال :
اللهم أمتي ثلاثا وبكى . فأنزل الله جبريل يقول له : إن الله سيعطيك في أمتك
ولا نسوؤك) أحمد .

٧ - وهو المدعو لضيافة ربه ، أراه من عجائب مخلوقاته ما لم يسمح به
لسواه ، فبلغه للناس ليبتغوا ما عند الله من خير ، ويحذروا ما لديه من عقاب
(قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد
محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم فأدخلوا النار) (خ > ٢ (النكاح)
ص ١٢٢ ١٢٣ .

٨ - وهو واسع الصدر ، لين الجانب ، يستجيب لكل رغبة مشروعة

(يسروا ولا نعسرو ، وبشروا ولا تنفروا) خ ح ١ ص ١٥ ، ٢٢ (كتاب العلم) .

٩ -- وهو المرن في حذر (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أمرين نط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما . فان كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم لنفسه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينقم لله تعالى) خ ح ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

١٠ وهو القدوة الحسنة ، لا يخفى على الناس شيئا ينتفعون به . (قال لفاطمة : إني لأرى الأجل إلا قد اقترب ، فاتق الله وأصبري ، فإنه نعم السلف أما لك) .

١١ - وهو صاحب الخلق العظيم ، والحس المرهف ، يعلم أهله في رفق (ما عاب رسول الله طعاما قط -- إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) خ ح ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

١٢ - وهو الذي يراعى الظروف ، ولا يتقيد بالعادات التي لا لمصلحة فيها (شرب النبي قائما)^(١) (ودخل يوم الفتح بعمامة سوداء) .

١٣ - وهو الحبيب لأمته . تنام أعينهم على ذكره ، وتصحوا بصائرهم على رؤياه ، معصومة تعاليمه (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، أو كأنما يراني في اليقظة ، لا يتمثل الشيطان بي) خ بالمعنى ح ١ ص ١٩ العلم .

١٤ - وهو الذي أجله المنصفون من أعدائه فقد أورد الترمذي وأبوداود روايات تقبيل اليد للنبي فقط ، وكذا رجله كما فعل اليهوديان .

١٥ -- وهو الذى لم يمنعه اختلاف العقائد أن يستخدم فى بيته أو خارجه غير المسلمين (فقد روى أنه خدم النبي غلام يهودى) (١) .

١٦ -- وهو الذى يحب أن يستمع إلى آيات ربه ، تنلى من فم غيره ، ليزداد فيها تأملا . ففي معنى الحديث (اقرأ على القرآن يا ابن مسعود . قال : أقرأ عليك وعليك نزل ؟ قال : إني أحب أن أسمع من غيرى . فقرأ ابن مسعود سورة النساء حتى بلغ قوله تعالى : فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيدا . فرفع رأسه إذ النبي مستغرق فى البكاء) (٢) .

١٧ -- وهو الذى جعلت الصلاة عليه قربى وزلفى إلى الله ، يجازى الله عليها بالإحسان من أداها ، ويحقق له ما تصبو إليه نفسه ، ويتمناه قلبه (إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول ؛ ثم صلوا على ، فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو . فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة) .

١٨ -- وهو الذى اختار أطيب الأوقات وأجدرها بالإجابة ، فأهاب بالمومن أن يدعو لنفسه وللنبي فيها (من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته - حلت له شفاعتى يوم القيامة) (٣) .

١٩ -- وهو الذى يتعرف على الخلق بعد وفاته بمقدار صلاتهم عليه (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فأكثروا على من الصلاة فيه ، فإن صلاتكم

(١) خ ١٦ (الجنائز) ص ٩٢ (٢) خ ٢٦ (تفسير القرآن) ص ١٠٣

(٣) خ ١٦ ص ٥٦

معروضة على) أبو داود والنسائي .

٢٠ -- وهو الذى يعرف قدر نعمة الله عليه فيقوم بشكره ويقول للمتسائلين عن حاله وقد غفر الله له يقول : (أفلا أكون عبداً شكوراً)
خ ١ (التهجد) ص ٨١ .

٢١ -- ولقد كان مشغولاً بربه فى يقظته ونومه ، لا تنصرف عنه بصيرته
(إن عيني تنام ، ولا ينام قلبي) خ ١ (التهجد) ص ٨٢

٢٢ -- ولقد قامت تعاليمه على أساس من المنطق ، وفهم لخصائص النفس
فكل ما فى الكون إما خير أو شر . والشر يجب اجتنابه ، والخير مجال لتنافس
المتنافسين (فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء
فدعوه) .

٢٣ -- وجسده لا يبلى (كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟
قال : يقول بليت . قال النبي : إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء)
أحمد .

٢٤ -- وقد أمر الله بالصلاة عليه ، ومن لم يؤدها فذلك هو المحروم
(رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على) الترمذى .

٢٥ -- وإذا كان بعض الناس قد خرجوا على تعاليمه فليس ذلك يعيبها ، بل
يعيب الناس الذين مالوا بقدسية التعاليم إلى الوثنية والخرافات رغم التحذير
والتنبيه (لا تجعلوا قبرى عيداً ، وصلوا على فان صلاتكم تبلغنى حيث كنتم)
أحمد .

٢٦ -- وكان أعرف الناس بالرجال ، وأشد هم استمساكاً بحسن المعاشرة
يعلم ما تحدّثه الكلمة من أثر فى النفس فيقول (لا يبلغنى أحد منكم عن أحد)

من أصحابي شيئاً ، فإنني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

٢٧ - ولحديثه تأثير بالغ على القلوب والأسماع ، جعل البعض يروى تأثيره في الجماد فقال (بكى الجزع على ما كان يسمع من الذكر عندما فارقه ، واتخذ المنبر يخطب عليه) خ ح ١ (الجمعة) ص ٧١ .

٢٨ - - وكـم بلغت به الكياسة والفطنة إلى حد لم يجعل نفسه يوماً في موضع شبهة ، فيتهم ، وإن كان هو المعصوم عند الله والناس . كان ذات ليلة معه كهفاً فدخلت عليه إحدى زوجاته وقام يودعها في الظلام ، فرآه رجلان من أصحابه وعرفاه ، فحولا بصيرهما عنه وعن المرأة . فناداهما إنها صفيّة . فتعجب الرجلان . فقال مشفقاً عليهما (إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وإني خشييت أن يقذف في قلوبكما شر) خ ح ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

٢٩ - وشمل وده الأموات كما شمل الأحياء ، فلم ينسه طول الزمان أن يذكر للبيت حقه (صلى على قتلى أحد بعد ثمانين سنين وقال : إني بين أيديكم فرط ، وأنا شهيد عليكم ، وإن موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامى هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) خ ح ١ (الجنائز) ص ٩١ .

٣٠ - والعطاء يزنون الأمور بميزان غير الميزان الذي يزن الناس به أعمالهم ، فيلاحظون منصبهم الرفيع ، ومقام مولاهم الأسماء فتراهم يعظمون التافه من الأمور إن نسب إليهم ولو كان ترك الأولى وحسنات الأبرار سيئات المقربين (إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة) مسلم .

٣١ - ولقد كان يشعر أن تكريم مندوبيه تكريم لشخصه ، فيثيب عليه بأحسن منه (إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين ، وإنى أحب أن أكافئهم) .

٣٢ - وكم علم أصحابه الحياة السهلة الخالية من التكلف أو التعقيد (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) .

٣٣ - وأروع أمثلة العدل نستشفها من خلقه ونسألهمها من هديه - استدان ديناً فجاء الدائن يشتمه ، وهم بعض أصحابه بتأديب ذلك المتطاول على مقام النبوة . فقال لصاحبه (أنا وهو أولى منك بغير هذا ، تأمره بحسن التقاضى وتأمرنى بحسن الأداء) .

٣٤ - ومع مقامه المحمود وقيامه بواجبه ، لم ينج من البلاء - بل يربط بين الدين والابتلاء على أنه ضريبة يؤديها المتدين تكفيراً عن ذنوبه حتى ياتى الله طاهراً راضياً (أى الناس أشد بلاء ؟ قال : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . يتلى الناس على قدر دينهم ، فمن ثخن دينه اشتد بلاؤه ، وعن ضعف دينه ضعف بلاؤه ، وإن الرجل ليصيبه البلاء حتى يمشى على الأرض ما عليه خطيئة) .

٣٥ - ونشر بين أصحابه الوعى الصحى والاعتناء بالأسنان (لقد أمرت بالسواك حتى خشيت أن أدرد) .

٣٦ - ورسم طريقاً واضحاً يصل منها العبد إلى غايته ، مطمئن القلب هادئ النفس إن هو التزم بحدود مارسم له (ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه فلا يستبطن أحد منكم رزقه ، فإن جبريل ألقى فى روعى أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس . وأكملوا فى الطلب ، فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله . فإن الله لا ينال فضله بمعصيته) .

٣٧ - ولقد كان صاحب مبادئ لم يخرج عليها في شدته ورخائه ،
وهي أسس لحياته العريضة العميقة (المعرفة رأس مالى ، والعقل أصل ديني ،
والحب أساسى ، والشوق مركبي ، وذكر الله أنيسى ، والثقة كنزى ، والحزن
رفيقى ، والعلم سلاحى ، والصبر ردائى ، والرضى غنيمتى ، والفقر نفري ،
والزهد حرفتى ، واليقين قوتى ، والصدق شفيعى ، والطاعة حسبي ، والجihad
خلقى ، وقرة عيني فى الصلاة) القاضى عياض فى الشفاء الصحيح وقفه على

٣٨ - ولقد كان صادقا فى كل مايقول ، يضرب لأمثاله الأمثال بآب
وفى لأبنائه ، لا يشك فى حنانه (إنما أنا لكم مثل الوالد على ولده أعلمكم) .

٣٩ - ومن الناس من يدفعه تزمته فيمتنع عن المباح ظانا أنه الورع .
ولعمري إنه الجهل القبيح ، والجرأة المستترة وراء الخوف والخشية (ما بال
أقوام يتزهون عن الشيء أعينعه ، فوالله لئن لأعلمهم بالله ، وأشدهم له
خشية) .

٤٠ - ولقد كان يراعى مشاعر الناس وعواطفهم ، ويحس بأن التمهيد
لمسكل تغيير أمر لا بد منه ، وأن الثورة على التقاليد دفعة واحدة لها من ردود
الفعل أضرار وعواقب ينبغى للمصلح أن يتلاشها قال لعائشة (لولا قومك
حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم ، فأدخلت فيه ما أخرج منه ،
وبلغت به قواعد إبراهيم) خ ١ (الحج) ص ١٠٨ .

٤١ - والمساواة أساس لصحبته ، وحق المعلم على طلابه أن يتأسوا
به ، وليس هو السيادة واستغلال النفوس وتسخير الدهماء (علمت أنكم
تسكنوننى ، ولسكنى أكره أن أتميز عليكم . وأن الله سبحانه يكره من عبده
أن يراه متميزا بين أصحابه) .

٤٢ - وليس بفظ ولا غليظ ، ولسكنه حكيم رشيد ، يضع الدواء

فى موضع الداء فىمحو أثره . جاء وإلىه برجل وقالوا : أنه يحب الزنا . فقال (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ، وحسن فرجه ، فما كان شىء أبغض إلىه بعد من الزنا) مسند أحمد عن أبى أمامة وهو دعاء لمن قال ائذن لى فى الزنا .

٤٣ - وجاء آخر من المولعين بالحديث عن المعضلات وجهل الأوليات- وتلك ظاهرة خطيرة وإن بدت من الرجل ساذجة . قال له الرجل : علمنى من غرائب العلم . فقال النبى (اذهب فأحكم ما هنا لك ثم تعال أعلمك من غرائب العلم) .

٤٤ - ولقد كان بليغا يراعى مقتضى الحال ، ويطابقه كلامه ليسهل على السامع فهمه (أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم) .

٤٥ - وكان يعلم أن ضرب الأمثال يبرز المعقول فى صورة المحسوس المشاهد ، فيسهل على الناس فهمه ، ويتضح تصورهم له على حقيقته (إنى رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى يقول أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلاً . فقال : اسمع سمعت أذك ، واعقل عقل قلبك . إنما مثلك ومثل أمتك مثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه - فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من ترك . فإله هو الملك . والدار الإسلام ، والبيت الجنة ، وأنت يا محمد رسول ، فمن أجابك دخل الإسلام ، ومن دخل الإسلام ، دخل الجنة ، ومن دخل الجنة أكل منها) خ ٢ (الاعتصام بالكتاب والسنة) ص ١٦١ ، ١٦٢ قريبا منه .

٤٦ - وكان يعلم أن الأزمة الاقتصادية أشد تمزيقا لصفوف أعدائه ، فيسأل ربه أن ينزلها بهم ويقول (اللهم اشد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) خ ١ (الأذان) ص ٦٥ .

٤٧ - وكان يعطف على أصحابه الذين واجهوا المشكلات معه ، فلما مات عثمان بن مظعون (قبله النبي بعد موته) .

٤٨ - ولم تكن مهمته بالأمر السهل ، فقلوب أشد من الحجارة قسوة تعاديه ، وآيات كالزلازل تهز جسمه وروحه معا ، ووزير عدل من السماء ينزل عليه (شيبتي هود وأخواتها : الحاقة ، والواقعة ، وعم ، والتكوير ، والغاشية) .

٤٩ - ولقد كان ما يشعر به في داخل نفسه ينعكس آثاره على بدنه يراها كل راء (أتيت النبي وهو يصلي ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء) .

٥٠ - ومن سننه الاختلاط بالناس لحل مشاكلهم ولكن لا مانع من ساعة ينفرد فيها يراجع أعماله معهم ، ويستلمهم من ربه ما يزودهم به من نصح وإرشاد (حبيب إلى الخلوة والوحدة والنظر والتفكير) هداية المرشد ص ٣٧٥ .

٥١ - وله طريقة في الحياة ، بها انتصر على أعدائه ، ودعا الأمة للسير عليها ، فانتصرت حين أجابته ، فلما خرجت عليها افترسهم الذئاب . ولن يصلح الله هذه الأمة إلا بما صلح به أوائلها من عود إلى السنة (لازتم منصورين على أعدائكم مادتم متمسكين بسنتي ، فإن خرجتم على سنتي ساط الله عليكم من أعدائكم من يخيفكم ، فلا ينزع خوفه من قلوبكم حتى تعودوا إلى سنتي) .

٥٢ - وقد اتخذ خاتما لدوائنه ؛ وكتب عليه رسالته تميزا له عما يشبهه (اتخذ النبي خاتما من فضة ؛ ونقشه محمد رسول الله ، كما أني أنظر إلى بياضه في يده) خ ١ (العلم) ص ١٥ .

٥٣ — ولقد كان يعظم العلم ويعلمه أصحابه ، ويفضل من فيه استعداد له (بينا أنا نائم ، أتيت بقدرح ابن ، فشربت حتى إني لأرى الرى يخرج فى أظفارى ، ثم أعطيت فضلى عمر . قالوا : فما أولته ؟ قال : العلم) خ ١ (العلم) ص ١٦ .

٥٤ — والشفاعة العظمى التى سيمنحها الله له ، لا ينتفع بها إلا من سلم قلبه من الشرك ، وتنزهت جوارحه من صورته (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) خ ١ (العلم) ص ١٨ .

٥٥ — وعلى الناس أن يرققوا مشاعرهم ، فيبتغوا لأنفسهم الخير حين يتسمون باسمه ، وليس لهم أن يدعوا بعضهم بعضا بما هو من خصائص رسولهم (تسموا باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي) خ ١ (العلم) ص ١٩ .

٥٦ — وله خصائص لا ينبغى أن تنسب إلا إليه ، فقد روى نبع الماء من أصابعه^(١) ، فعلى المسلمين ألا ينسبوا هذا إلا له . على أنه معجزة ثانوية . وقد أمر قومه^(٢) بشرب أبوال الإبل وألبانها ، وليس لنا أن نأمر بذلك ، فهو يعلم عن ربه غير ما نعلمه نحن .

٥٧ — ولقد كان نظيفا طيب الرائحة . (وقد صح أنه شرب لبننا ومضمض وقال : إن له دسما) خ ١ (الوضوء) ص ٢٧ .

وصح كذلك أنه تبول قائما^(٣) . ونضح الماء بعد بول الصبى^(٤) على ثوبه ولم يغسله .

(١) خ ١ (الوضوء) ص ٢٥ (٢) خ ١ (الوضوء) ص ٢٧

(٣) خ ١ (الوضوء) ص ٢٨ (٤) خ ١ (الوضوء) ص ٢٨

٥٨ - وروى أن عدد المتوضئين من حجر صغير كان في يده ثمانون أو يزيد^(٥) وروى أنه داوى جراحه بغسل الدم وحشاه بمحصر محروق^(٦) . فإذا جاء الطب ينهانا عن ذلك لمافيه من خطر ، فعليتنا أن نمتثل . ولا مانع من أن تكون الواقعة من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

وخصائصه قد يصرح بها وقد يشير إليها . ومن القواعد أن من ادعى الخصوصية فعليه الدليل . وكلام الأطباء يصلح أن يكون مخصصا متى ثبتت الواقعة ، وإلا تعارض الشرع مع العلم وهذا بعيد . وما صرح به من الخصائص (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي - نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة وبعثت إلى الناس عامة) مخ ج ١ (التيمم) ص ٣٤ .

٥٩ - ومن الخصائص التي تخصه ما روى أنه لم يرد السلام على : من سلم عليه ، لأنه كان جنباً^(٧) — مع أنه يقول : (المؤمن لا ينجس) مخ ج ١ الغسل ص ٦١ .

٦٠ - وما هو مختص به قوله (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبات اللؤلؤ وإذا ترابها المسك) مخ ج ١ (الصلاة) ص ٣٦ .

(١) مخ ج ١ (الوضوء) ص ٣٦ .

(٢) مخ ج ١ (الوضوء) ص ٤٩ بعد غسل الدم .

(٣) مخ ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٦١ -- وكان لا يفارق الرفق بالصغار وإن كان في عبادته (كان يصلي وهو حامل أمانة بنت زينب ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها) (١) .

٦٢ -- وكان يشفق على الكبار كذلك (إنى لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي ، فأتجاوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه)
خ ١ (الآذان) ض ٦٠ ، ٦١ .

٦٣ -- وهو الذى قد أراه ربه العجائب ، ليبشر وينذر (قد دنت منى الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها ، ودنت منى النار حتى قلت : أى رب أوا أنا معهم ؟ فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة . قلت ما شأن هذه قالوا : حبستها حتى ماتت جوعا لا اطعمتها ، ولا أرسلتها تأكل من خشيش أو خشاش الأرض) (الآذان) ص ٦١ .

٦٤ -- ولقد كان سمحا لا يحمل الناس على ما يصبر عليه هو ، إلا أن يكلفه ربه به فيدعو الناس إليه (عن عائشة أنه دخل وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعات ، فاضطجع على الفراش وحول وجهه ، ودخل أبو بكر فاتهرنى وقال . مزمارة الشيطان عند رسول الله ؟ فقال : دعهما) (العيدين)
ض ٧٣ .

٦٥ -- وهو الذى استجاب ربه دعاءه (لما رأى من الناس إدمارا قال : اللهم سبعا كسيع يوسف ، فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ، وينظر أحدهم إلى السماء فيرى الدخان من الجوع . فأتاه أبو سفيان فقال : يا محمد إنك تأمر بطاعة الله وصلة الرحم ، وإن قومك قد هلكوا - فادع الله لهم . قال الله : فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين

يغشى الناس - هذا عذاب أليم . ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ،
أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون .
إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون (خ > ١) (الاستسقاء) ص ٧٦ .

٦٦ - ولقد ضرب في العفو أروع الأمثال حين انقطع عناد بن أبي
بموته ، وكان زعيما للمنافقين ، فطلب ولده المؤمن من الرسول أن يصلي عليه ،
فلما تقدم للصلاة (قال عمر . أليس الله قد نهاك أن تصلى على المنافقين ؟
قال ، أنا بين خيرتين : (استغفر أو لا . ثم صلى عليه . فنزلت ولا تصل
على أحد منهم مات أبدا ، ولا تقم على قبره) خ > ١) (الجنائز) ص ٨٧ .

٦٧ - وكما كان يتمنى أن يهدي الله أبا طالب للإسلام ، عرفانا من النبي
لمجاملة أبي طالب له ، وبدت منه كلمات تدل عما في قلبه من حب لهدايته ،
لسكن مشيئة الله أبت إلا ما كان من موت الرجل على ما كان عليه من شرك
(أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك . فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي ، من بعد ما تبين لهم أنهم
أصحاب الجحيم) خ > ١) (الجنائز) ص ٩٢ .

٦٨ - وكان يحب أن يرى الأعداء من نفسه القوة وبمن معه ، حتى
لا يطمع فيهم (عن عمر : قالنا والرمل ، إنما كنا رايننا به المشركين وقد
أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه النبي فلا نحب أن نتركه) خ > ١) (الحج)
ص ١٠٩ .

٦٩ - وكان لا يمنع أحدا من عمل خير كان قد تعود أن يعمل في
الجاهلية ، فإن الإسلام يدعو إلى الخير . فمن كان خيرا في الجاهلية ، فليواصل
عمله في الإسلام ولا حرج (استأذن العباس أن يبيت بمكة ليالى منى من
أجل السقاية ، فأذن له) خ > ١) (الحج) ص ١١٠ ،
(م ٢ نظرات في السنة)

٧٠ - وكان متواضعا (شرب من مكان أيد الناس في زمزم ، وعرض أن يعمل فيها) خ ١٠ (الحج) ص ١١٠ .

٧١ - وكان فقيها يعبد الله على علم ، فكل شيء لا يقطع الصلة بالله لا يفسد على العبد عبادته (تزوج ميمونة وهو محرم) والظاهر أنه كان عقدا لا دخولا . ومن أنكر هذا زعم أنه الدخول وهو بعيد الوقوع منه وهو محرم . ومتى صح الحديث وجب حمله على العقد^(١) (٢) خ ٣ (غزوة خيبر) ص ٨٣ .

٧٢ - وكان لا يخذعه عمل المتمسحين بالحرم ، وهم يعملون على تشويه قدسيته (دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزع جاءه رجل . فقال : إن ابن خطل متعلق بأستار الكعبة . فقال : اقتلوه) خ ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

٧٣ - ولقد أكمل الله به البناء ، وأودع فيه من الخصائص ما استغنى به عن إرسال جيش من المرسلين ، وضمن كتابه عموما ومرونة يسع بهما الزمان والمكان والأشخاص إلى يوم القيامة (مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون . هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا تلك اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) خ ٢ (لإسلام أبي ذر) ص ٥١ .

٧٤ - وهو الذي أيده ربه في غير موضع ، ورفع عنه الحجب ، فأجاب عن تحديات قریش بعلم من غير أن يكون هناك تصادم للمعقول . ومن العجب أن نفرأ يزعمون أن الله نقل له بيت المقدس ينظر إليه وهو في مكة ، مع أن

(١) خ ١٠ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

الحديث لم يتعرض لنقل البيت من موضعه (لما كذبتنى قريش ، قمت في الحجر فجلال الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه) (١) .

٧٥ - وكان يحب التيسر والأخذ بالرخص يروى أنه (أفطر عند الكديد وهو مسافر إلى مكة) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٣ .

٧٦ - وإذا كان الإسلام ثورة على الجاهلية ، فليس بالثورة العمياء بل ما فيها من خير أبقى عليه ، وما فيها من شر ألغاه . سأله سائل نذرت في الجاهلية اعتكاف ليال ثم أسليت . فقال له النبي : (أوف بنذرك الاعتكاف في الجاهلية) (٢) .

٧٧ - ولقد عاش حياته زاهداً في الدنيا ، يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين ، لتقتدى به أمته (رهن درعه عند يهودي وقال : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب ، وإن عنده لتسع نسوة) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٧٨ - ولقد تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة بالإجلال والتقدير ، ومهدت لرسالته ، ولفقت أنظار أهل الكتاب إليه لينتظروا مقدمه . وهذه صفة الرسول في التوراة (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين . أنت عبدي ورسولي . سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غيظ ولا صخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ،

(١) خ ج ١ (الاعتكاف) ص ١٢٧ .

(٢) خ ج ٢ (الإسرائ) ص ٦٤ .

ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، ويفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صميا ، وقلوبا غافلا (١) .

٧٩ - وكان يعلم المسلمين ألا يتوانوا في سداد ديونهم ، فإذا جاءه ميت سأل هل عليه دين ؟ فإن لم يكن عليه دين أو كان عليه وعنده وفاء صلى عليه وإن لم يكن عنده وفاء تركهم يصلون عليه ، حتى فتح الله عليه وقال (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه : من ترك مالا فإلهه ، ومن ترك ديناً أو ضيعة فإلى وعلى) .

٨٠ - وإذا كانت الدبلوماسية الحديثة يستدل بها على مدى تقدم الإنسان وتحضره ، فإن النبي أقر ما فيها من محاسن ، وتجنب ما فيها من عيوب (لا تخبروني على موسى فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم ، فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي ، أم كان بمن استثنى الله) خ ١ (الخصومات) ص ١٤٧

٨١ - وهو بشر يجوز أن ينسى بعد التبليغ ، ويستحيل أن ينسى قبل التبليغ وإنكار الأول مكابرة ، وإنكار الثاني كفر - إذ فيه ضياع الرسالة إن جاز النسيان قبل التبليغ . وعلى هذا نحمل الحديث (سمع رجلاً يقرأ في المسجد فقال : رحمه الله ، لقد أذكرني كذا وكذا - آيات أسقطهن من سورة كذا وكذا) خ ٢ (الشهادات) ص ١

٨٢ - وكان يكره الشرك والمشركين ، ويكافئ على المعروف (أوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزه ، ونسى الراوى الثالثة) خ ٢ (الحور) ص ٢٦ ، ٢٧

٨٣ - وكان ذا مروءة ، يقدم المرأة على نفسه ، ويدعو لمساعدتها (عثرت

ناقة النبي ووقع ، ووقعت صفيه فقال : عليك المرأة . فالتقى أبو طلحة ثوبا على رجليه وأتاها ، فألقاه عليها وأصلح لهما مركبهما (خ > ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٤ - وإذا وسع الله عليه فلا مانع عنده من أن يستمتع بما هو مباح له . ويروى : (انكسر قدحه ، فاتخذ مكان الشعب سلسلة من فضة) (خ > ٢ (الحور) ص ٢٧

٨٥ - ولقد أيد من سبقه من المرسلين وآمن بهم ، وأعلن أخوتهم له ، وتلاقى شرائعهم معه (أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والألنياء أخوة لعلات : أمهاتهم شتى ودينهم واحد) (خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥

٨٦ - ولقد كانت له أسماء يعبر بها عن صفاته وشمائله ، فصح عنه (لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب) (خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٠

٨٧ - وكانت قريش تطعن فيه شأن كل عدو يطعن عدوه ، وكان لا يرد عليهم ويدافع الله عنه (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما ، وأنا محمد) (خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥١

٨٨ - وكان بعض أبناء بنته يشبهه في جسمه (قال أبو بكر للحسن : بأبي شبيه بالنبي لا شبيه بعلي) (خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥١

٨٩ - وكان زمان بعثته من خير الأزمان التي مر بها الإنسان . (بعثت من خير قرون بني آدم قرنا ، حتى كنت من القرن الذي كنت فيه) (خ > ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢

٩٠ - واقعد مهد الله لنبوته بالرؤيا الصالحة في النوم . فيروى (جاء ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام ، فقال أولهم : أيهم هو ؟ وقال أوسطهم : هو خيرهم . وقال آخرهم خذوا خيرهم . فكانت تلك . فلم يرم حتى جاءوا ليلة أخرى فيما يرى قلبه والنبي نائمة عيناه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء . فتولاه جبريل ثم عرج به إلى السماء) (١) .

٩١ - ولقد عاش واثقا بربه ، مطمئنا لوعده ، متحدثا بفضل الله عليه (إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يحيا أو يخير) خ ٢٠ (مرض النبي ووفاته) ص ٩٧

٩٢ - وكانت تتنابه الأمراض غير المنفردة ، ويعالج نفسه منها . ويروى (إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذتين ، ومسح جسمه بيده) خ ٢٠ (مرض النبي ووفاته) ص ٩٧

٩٣ - ولا نشك في أن الله أيده بالمعجزات ، وأولها وأبقاها القرآن الكريم . ولا ننكر أن له معجزات أخرى ، وإن توقف البعض فيها فلا نهم يشكون في ثبوتها لا في إمكانها . ومن ذلك ما روى أنه (انشق القمر في عهد النبي شقتين ، فقال : اشهدوا) (٢) .

٩٤ - وكذلك ما تنبأ به من أحداث فردية غيبية ، يتوقف البعض فيها . ويرى أنه كان على أحد فاضطرب الجبل . فقال (اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) (٣) . يعنى أبا بكر وعمر وعثمان . ورأينا في مثل هذه

(١) خ ج ٢ (لإسلام أبي ذر) ص ٥٢

(٢) خ ج ٢ (لإسلام أبي ذر) ص ٥٥ .

(٣) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٧ .

الأخبار أن نستبعد تدخل العقل ليحكم عليها . فهي منسوبة لنبي قد لا يدرك العقل ما يؤيده الله به . وعلى المتوقفين فيها أن يكون سندهم نقليا . فإن صح ما يستندون إليه أنكرناها ، وإن لم يستطيعوا صدقناها والله أعلم .

٩٥ - ولقد كان في المعارك يصاب بجراح ، ويصاب من يدافع عنه (عن طلحة أنه وثق النبي بيده ، فضرب فيها حتى شلت) خ ج ٢ (فضائل الصحابة ص ٥٨ : ٥٩ .

٩٦ - وكان يعجب بالمهارة الشخصية ، ومن ذلك أن أسامة بن زيد وأباه كانا نائمين فدخل قائف وقال (إن هذه الأقدام بعضها من بعض . فسر النبي وأعجبه وأخبر به عائشة) (١) . أما العمل بمقتضى الثقافة والحكم بها فسألة فقهية أنكر الحكم بها علماء الحديث ، واختلف فيها الفقهاء .

٩٧ - وكان يدعو الله لمن سأله الدعاء (سألني جن نصيين الزاد ، فدعوت الله ألا يمر بروث ولا بعظمة إلا وجدوا عليها طعاما) خ ج ٢ (مبعث النبي) ص ٦٤ .

٩٨ - ولقد زاد إكرام الله له فطيب خاطره ، وخفف العذاب عن عمه الذي جامله ، وإن كان في الحقيقة نصره نصره لله (ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك وينضبط لك . قال : هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) (٢) .

(١) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩ .

(٢) خ ج ٣ (مبعث النبي) ص ٦٤ .

٩٩ - ولن تجد لسنة الله تبديلا أو تحويلا ، ولعل هذا يوضح لنا شق صدره قبيل المعراج لإعدادا لعالم الفضاء الذى سيصعد إليه . ولا يقال اصططنعه الله لنفسه ، فلماذا لم يعده الله من قبل ؟ والحق أن للطيار ملابس لا غنى له عنها أثناء طيرانه ، ولو استمر يرتديها لضايقته كثيرا . وفى الحديث (بينما أنا فى الحطيم . وربما قال فى الحجر مضطجعا إذ أتانى آت يقول فشق ما بين ثغرة نحره إلى شعرته ، فاستخرج قلبى ثم أوتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا ، فغسل قلبى ثم حشى ثم أعيد ، ثم أوتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، ويضع خطوه عند أقصى طرفه وذكر من هم فى السموات : آدم فيحيا وعيسى ، فيوسف ، فادريس ، فهارون ، موسى ، إبراهيم ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة . قال : ثم أوتيت يانا من خمر وإنا من لبن وإنا من عسل فأخذت اللبن . فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك . فلما جاوزت نادانى مناد : أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى) خ ج ٢ (الإسراء والمعراج) ص ٦٤ - ٦٦ .

١٠٠ - ولقد أرشده ربه حين تكلم فى ثورة غضبه (شج النبى يوم أحد فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ؟ فنزلت ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) (١) .

١٠١ - وكان أحيانا يعالج بعض أصحابه الذين أصيبوا معه (ضرب سلمة بن الأكوع فى ساقه يوم خيبر ، فنفت فيها النبي ثلاثا ، فما اشتكى بعد منها) خ ح ١ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١) خ ح ٢ (غزوة أحد) ص ٧٦ .

١٠٢ - وكان يحسن الظن بالناس ، ويعلم الأمة أن تقيم الأحكام على أساس الظاهر من أحوالهم ، بعيدة عن التجسس أو التخمين (وإن لم أومر أن أنقب قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم)^(١) .

١٠٣ - والحق عنده وحدة لا تقبل التجزئة . قال له مسيلمة الكذاب : الأرض بيني وبينك . فكتب إليه (لو سألتني قطعة الجريد ما أعطيتكها ، ولن تعدو أمر الله فيك . ولئن أدبرت ليعقرنك الله ، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما أريت - وهذا ثابت يحميك عنى) خ ٢٠ (وفدبنى حنيفة) ص ٩٠ .

١٠٤ - ولقد أراه الله بعضا من أحوال أمته فى حياتهم الأبدية ، ومدى تجاوز الله عنهم ، وأراه كذلك منزلته التى أعدها الله له جزاء على عمله الصالح (أتانى الليلة آتيان ، فابتعثانى فانتھيا بى إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة ، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء ، وشطر كأقبح ما أنت راء . قالوا لهم : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه . ثم رجعوا إلينا فذهب ذلك السوء عنهم ، فصاروا فى أحسن صورة ، قالوا لى : هذه جنة عدن وهذاك منزلك . قالوا : أما القوم فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، تجاوز الله عنهم)^(٢) .

١٠٥ - وصرح القرآن بشيء مما سيعطيه الله له ، فلما صعد إلى السماء أطلعه الله عليه (لما عرج به إلى السماء قال : أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفا فقلت ما هذا ؟ قال : هذا السكوثر)^(٣) .

(١) خ ٢٠ (غزوة الطائف) ص ٨٨ .

(٢) خ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .

(٣) خ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١١٥ .

١٠٦- وكان عظيماً في سلبه وحربه ، لم تنسه حلاوة النصر أن يمنح أعداءه الحرية الشخصية ، وإن كانت امرأة تملكها بملك اليمين ، وأصبحت لاحول لها ولا قوة نتيجة الحروب التي ارتضاها أهلها ، ليعوقوا بها سير الدعوة الإسلامية (روت عائشة أن ابنة الجون لما أدخلت على النبي قالت : أعوذ بالله منك . فقال لها : لقد عذت بعظيم ، ألحقى بأهلك) خ > ٢ (الطلاق) ص ١٢٤ .

(١٠٧) وكان رحيمًا بالضعفاء يوصي بهم ، ويعد الأوصياء المحسنين بمنزلة تدنو من منزلته عند الله (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا . وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرج بينهما شيئاً) خ > ٢ (الطلاق) ص ١٢٥

(١٠٨) والذين لا يحسبون للمستقبل حساً بأفيسرفون ما عندهم لا يفكرون في غدهم ، وقد ابتعدوا عن تعاليمه كثيراً . فلقد كان يدخر ويروى (كان يبيع نخل بنى النضير ، ويحبس لأهله قوت سنتهم) خ > ٢ (الحور) ص ٢٠

(١٠٩) ونهى عن المثلة ولو كانت بالحيوان (لعن النبي من مثل بالحيوان) (١) .

(١١٠) وكان بصيراً بالأمور نبيل الغاية ، يدخر لأمته ما هو الأنفع لها (لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها ، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعاً لأمتي في الآخرة) خ > ٢ (الدعوات) ص ١٥٧

(١١١) وإذا كان بالناس جذب ، كان أبعد الناس عن الاحتكار وحتى

(١) خ > ٢ (الذبائح والصيد) ص ١٢٠

الادخار ، فإنه في وقت الشدة لون من الاحتكار ، ويجب أن يكون الإنسان مع الناس في شدتهم ورخائهم . وهذه حاله يدخر في الرخاء ويبدل في الشدة (أنفق بلال ، ولا تخش من ذي العرش إقلالا . أما خشيت أن يكون له بخار في جهنم) (أخرجى الذهبية ، فما ظن محمد بربه وهذه عنده) .

(١١٢) وكان بشرا رسولا ، إن أنسته بشريته ذكرته نبوته (إني بشر اللهم من دعوت عليه فاجعل دعائي عليه رحمة) (١) .

(١١٣) وفي رواية (إن لكل نبي دعوة مستجابة ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي ، فهي نائلة منكم إن شاء الله ، من مات لا يترك بالله شيئا) .

(١١٤) وكان وفيا بالعهد ، يحذر من الإخلال به (من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة) .

(١١٥) وكان يعرف أنه ضيف في الدنيا ، فلم يعبأ بها (مالى وللدنيا إنما أنا كرجل . قال تحت شجرة ثم تحول عنها وتركها) .

(١١٦) وكان يحب أن يرى أمته طيبة القلب نظيفة البدن (مالمكم تدخلون على قلحا . استاكوا) .

(١١٧) وكان يفعل الشيء ويتركه تشريعا لأمرته فلبس الخاتم وخلعه وكذا الحبيصة (٢) ، ومزق الستر المعلق على حجرة إحدى زوجاته (٣) . كل هذا ليبصر أمته ، وعليهم أن يتفقهوا وأن يفقهوا سنته صلى الله عليه وسلم .

(١) سنن ٢ : ١٠٨ (الدعوات) ص ١٥٨ خا ص بالمؤمنين .

(٢) سنن ٢ : ١٠٨ (الصلاة) ص ٢٤ (٣) سنن ١ : ١٠٨ (الصلاة) ص ٢٤

وصدق الله إذ يقول (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً) .

(الموضوع الثاني)

(الله)

(١) ليست الفكرة عن الله في السنة كالفكرة عنه في علم الكلام أو الفلسفة ، فإنها فيهما معقدة أو مشوهة . أما في السنة فإنها واضحة لاتعقيد فيها ولاتشويه ، لأنها حديث المتكلم عن الله بعلم ، وأساسها الصلة بينه وبين خلقه ، وهي صلة وثيقة لاانقطاع فيها ولافجوة . فهو السيد المالك الذي التزم بالشئ تفضلاً قبل أن يلزم به العبد ، ويكلفه به تكليفاً عادلاً . إذ فيه مصلحة العبد ، والالتزام به يتمشى مع فطرته . وهو السيد المنقذ بإرشاده من كل تخطيط وحيرة . وهو الصمد المحتاج إليه في كل شئ . وهو السيد الذي يعفو عن أساء وندم ، ومد يده رافعاً زلته إليه . وهو السيد ذو السلطان والقوة ، لاينتفع بطاعة ولايضرار بمعصية ، ولكنه يكلف بما شاء ، لااعتراض على المالك فيما ملك . وهو السيد الذي لا حدود لملكه ، فلا ينقصه عطاء ولايزيد فيه منع . وهو السيد السائد الحاكم بين عباده ، الذي يجازيهم على أعمالهم . (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرماً ، فلا تظالموا . يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم . يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم . يا عبادي كلكم عار إلا من كسوت ، فاستكسوني أكسكم . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم . يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن

أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من مالكي شيئا . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها . فمن وجد خيرا فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه (م تحرير الظلم > ١٦ .

٢ - والحب انعكاس لإحساس داخلي . وثمرة لشعور وجداني ، تبدو معاملته في نحو التعجب والفرح . وكل إنسان مطالب بهذا الحب لربه ، تعبير عن معرفته لنعمه . ولسوف يمنح الله عليه جزاء ، لا يحسن القلم تصويره ، ولا تدرك الخواطر كنهه (أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلمهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي) م فضل الحب في الله > ١٦

٣ - والذين آمنوا أشد حبا لله ، يحبونه عن معرفة ، ويتشوقون لمسا عنده . فهو غاية مسعاهم ومنتهى رجائهم (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور . يغطهم النيون والشهداء) .

٤ - وقد تنساءل هل كل من تحبه يحبك ؟ إن ذوى الحس المرهف لا يترددون في أن يقولوا نعم . والعليم الخبير يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فكل من اجتمع عليه أو أعطى من أجله أو مشى في سبيله ، له حب بحب ، وعطاء بعمل (وجبت محبتي للمتحابين في ، والمجالسين في ، والمتزاوئين في ، والمتبازلين في) .

٥ - ولسوف يقف كل عبد بين يدي ربه ، يسأله عن عمله من غير وسيط بينهما ، وبلغته يفهمها . وهذا قرع للنفوس الغافلة وعون للهمم العالية أن تزيد نشاطها ، لتقدم إلتاجها ، فتمتقي به سوء العذاب يوم القيامة (ما منكم

من أحد إلا سيكلمه ربه ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم . وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه . فاتقوا النار ولو بشق تمرة (خ - ١) (الزكاة) ص ٩٦ ، ٩٧

٦ - والله على عبده حقوق ، وللعبد عند ربه مطالب ، ثمها أن يرهب مقامه ، ويسير في ركب الحياة ، مستحضرا عظمته (من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل . ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة) .

٧ - وللجزاء ميزان عنده : -

الخير فيه أجور لا حدود لها * والشر بالمثل أو عفو وغفران .
تنسج ساحتها للوافدين من خلقه ، وتنسج رحمتها المذنبين من عباده ، إن أقبلوا عليه أسرع إليهم بفضله ، وإن أدبرت عنه جوارحهم ، وهتفت بوحدانيته قلوبهم - تشكو إليه ضعف الجوارح ، وتبته أسفها - تلقتهم مغفرتة (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد ، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة سيئة مثلها أو أغفر . ومن تقرب مني شهرا تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً . ومن أتاني يمشي أتيته هرولة . ومن لقيني بقراب الأرض خطايا لا يشرى بـ شيئا ، لقيته بمثلها مغفرة) (خ - ٢) التوحيد ص ١١٢ ، ١٦٣

٨ - ورحمته وسعت كل شيء ، والتوبة عنده لا تحددها كلمات . والذنب إن تكرر من غير إصرار عليه قد يدخل في دائرة عفوه .

والمهم عنده إحساس العبد بذنبه ، واستعظامه له ، وخشيته من عصاه - فيوقن أنه في قبضة غافر الذنب ، وقابل التوب . شديد العقاب ، ذى الطول ، لا إله إلا هو ، إليه المصير . وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم . فلا يغريهم حلمه (أذنب ذنبا عبد فقال : اللهم

اغفرلى ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنبا ، فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ بالذنب . ثم عاد وأذنب فقال : أى رب - اغفرلى ذنبى فقال تبارك وتعالى مثل ما قال ثلاثا . ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل ما يشاء (خ ٢ (التوحيد) ص ١٦٣ .

٩ - ومن ستر الله عليهم فى الدنيا ، وتيقظت ضمائرهم بعد ، وعملوا الصالحات - تكفيرا عن ماضيهم ، قد تنسيهم الأيام سوء ما قدموا ، ويفتح لهم الأمل صفحة جديدة مع مولاهم - هؤلاء سوف يمثلون بين يديه فيقررهم بذنوبهم من غير أن يفضحهم ، ليعلموا فضله عليهم (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة . فيقرره بذنوبه - فيقول : أتعرف ذنب كذا . فيقول : رب أعرف . قال : فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم - فيعطى صحيفة حسناته) خ ١ (المظالم) ص ١٤٨

١٠ - والعقد الذى أبرم بين المخلوق والخالق ، قد يجهل العبد بعض جوانبه ، نتيجة انحراف طرأ على فطرته . وحين يتكشف له ربما يسلم نظريا بحق سيده ، ولا يرضى به عمليا ، وربما يتمسك بحق نفسه من غير أن يلتزم عمليا بحق سيده . وحق السيد لإفراده بالعبادة . وحق العبد الممنوح له تفضلا النجاة من العذاب . ولأمر ما - كان من الحكمة ألا يخبر العامة بما منح لهم ، فيسيئوا تأويله ، ويشوهوا جماله (هل تدري ما حق الله على عباده ، وما حق العباد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فان حق الله على العباد أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئا . وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . فقلت : أفلا أبشر الناس . قال : لا تبشرهم فيتكلوا) خ ١ (العلم) ص ٢٢ بالمعنى .

١١ - والله لا تحجبه الحواجز عن عبده ، بل هو فى شعوره ، ومعينه

ساطعة في وجدانه - إن هو إستقامت فطرته ، وسلبت من الآفات ذاكرته
(أنا عند ظن عبدي ، وأنا معه حيث يذكرني) .

١٢ - وبما يرضيه أن تشعر بالحاجة اليه - فتطلب منه ، وتأمل فيه . وفي
لحظة رضائه عنك لو وضعت خطيئتك في رحمته ، لذابت وتلاشت مهما بلغ
حجمها ، وزاد جرمها . (يا ابن آدم إنك مَدْعَوْتِي ورجوتني ، غفرت لك
على ما كان منك ولا أبالي . يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم
استغفرتني غفرت لك) .

١٣ - وهو شديد المحال ، جبار متكبر . لو كشف سر جبروته لقطع
الباركل رجاء فيه . وهو الغفور الرحيم ، لو رفع الستار عن فضله - لطمع
فيه كل مجترئ عليه (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد .
ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من جنته) (خ ج ٢ الاستئذان
ص ١٤٤ .

١٤ - ولله في كل شيء حكم ، بعضه واضح جلي ، وبعضه خفي - ابتلى
الناس به . وله في أرضه حمى يرعاه ويصونه . وعلى الناس أن يسلكوا
سبيل السلامة ، وأن يتجنبوا طريق الندامة . فان اشتبه عليهم طريق ،
فالأسلم لهم ألا يعبروه ، وعليهم أن ينصرفوا لإصلاح قلوبهم التي عليها حياة
أبدانهم (إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتهيات لا يعلمهن كثير
من الناس - فمن اتقى الشبهات إستبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات
وقع في الحرام - كالراعي يرعى حول الحمى ، يوشك أن يقع فيه . ألا وإن
لكل ملك حمى ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا
فستدت فسد الجسد كله - ألا وهي القلب) (خ ٢ ج ١) (الإيمان) بالمعنى ص ١٣
واللفظ لمسلم .

١٥ - ولله صفات لا تشبها صفات الحوادث ، بيد أنه لتيسير فهم
صفاته - يخاطبنا بما نعلم . وعلينا أن نؤمن بالتنزيه . وما لا تدركه حواسنا

يستحيل أن تتصوره على الحقيقة عقولنا . وصفات الله له وحده ليس لأحد أن ينازع فيها ؛ وإلا استحق أشد العذاب لجرأته وتطاوله (العز إزارى ، والكبرياء ردائى . فمن ينازعنى فى واحد منها فقد عذبتة) .

١٦ - ويجب من عباده أن يرفقوا بأنفسهم فى كل شئ . (إن الله يحب الرفق فى الأمر كله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

١٧ - ويجب كذلك أن تكون نعمه ظاهرة على عباده من غير فخر ولا خيلاء (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) .

١٨ - ولم يكن الله قد عزل نفسه عن العالم كما تقول بعض الفلاسفات . ولم تكن حركة العالم بالشوق إليه وهو فى عزلة عنه كما تروى بعضها ، ولكنه مع خلقه أينما كانوا وحيثما وجدوا - هو بجانب مريضهم لينظر من عاده ، وبجانب المحتاج لينظر من وده - فإنه أغنى وأفقر ، وأعطى ومنع ، وأصح وأمرض . وينظر ماذا عمل الأمناء فيما استودعهم إياه ، ليكافئهم أو يعاقبهم . (إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى . قال : يارب وكيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أن عبدى فلانا مرض فلم تعده . أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده . يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعنى . قال : ياربى كيف أطعمك وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه ، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى . يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقى . قال : يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه ، أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى) .

١٩ - والسز والعلانية سواء بالنسبة لعلمه ، وربما كان السر أفضل - رحمة بالعبد من أن تستهويه الشياطين ، فتجعل عمله رياء وسمعة . والطالبون منه يمكن أن يكتفى منهم بما فى سرائرهم ، لكنه أراد أن يعبدوه كذلك بالسنتهم فى هدوء وخشوع . (أربعوا على أنفسكم ، فانكم بالسنتهم فى هدوء وخشوع) (م ٣ - نظرات فى السنة)

لا تدعون أصمًا ولا غائبًا ، إنه معكم ، إنه سميع قريب) ، خ ١٢٠ (الحوز)
ص ٢٣ .

٢٠ - وما دعا الله أحدا إلى خير إلا كان سبحانه يضرب للناس الأمثال بعمله . وربما رجحت ميزان العبد عنده ذرة من الخير ، يقدمها العبد إلى غيره . فينال بها ثواب الله ورضوانه (حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء ، إلا أنه كان يخالط الناس . وكان موسرا . وكان يأمر غلمانَه أن يتجاوزوا عن المعسر . قال الله عز وجل : نحن أحق بذلك منه - تجاوزوا عنه) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

٢١ - وهو الذي تحيا القلوب بذكره ، وتموت بالغفلة عنه (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره ، مثل الحي والميت) خ ج ٣ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٢ - ومن أجل معاني الذكر الشعور بمراقبته ، ولذلك الشعور جزاء بالخير عنده (فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) خ ج ٢ (التوحيد) ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

٢٣ - والله جنود يبحثون عن الذاكرين له بالعالم ، أو بالتأمل والتفكير ، أو بتريد ألفاظ مأثورة في أدب وخشوع ، ليس فيها تشويش أو مجاهرة . ولهؤلاء الذاكرين ومن يسعده الله بالجأوس معهم جزاء . نكمل بيانه للحديث فيقول : (إن الله تعالى ملائكة يطوفون في الطرق ، ياتمسكون أهل الذكر . فإذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا إلى حاجتكم ، فيحنونهم بأجنتهم إلى السماء الدنيا - فيسألهم ربهم وهو أعلم : ما يقول عبادي ؟ قال : يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك . فيقول : هل رأوني ؟ فيقولون : لا والله مارأوك . فيقول : كيف لو رأوني ؟

قال : يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيذا ، وأكثر لك تسبيحا . فيقول : فماذا يسألون ؟ قال : يقولون يسألونك الجنة . قال : يقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله مارأوها . قال : يقول فكيف لو رأوها ؟ قال : يقولون لو رأوها كانوا أشد عليها حرصا ، وأشد لها طلبا ؛ وأعظم فيها رغبة . قال : فمن ما يتعوذون ؟ قال : يقولون يتعوذون من النار . قال : فيقول وهل رأوها ؟ قال : يقولون لا والله مارأوها . فيقول : كيف لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال : فيقول فأشهدكم أني قد غفرت لهم . قال : يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء ؛ لا يشقى بهم جليسهم) خ ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

٢٤ - والخجول من المعصية أقرب إليه من المغرور بالطاعة ، لأن الأول عاصى نائب ، والآخر طائع عاصى - فأهدر طاعته بغروره ، أما الأول فأزال معصيته بالتوبة - ولذلك كان أحظر بفضل الله من الآخر . ويروى في هذا أن طائعا لقي عاصيا . فقال له العاصي . عسى الله أن يغفر لي . فرد عليه المغرور : والله لا يغفر الله لك ، فقال الله عز وجل (من ذا الذي يتألى على ألا أغفر لفلان ؟ إني قد غفرت له وأحببت عمله) .

٢٥ - وإذا كانت أحكام الناس قد تكون عقبة في سبيل الضعفاء ، ولا تحد من سلطان الأقوياء ، فحكم الله نعرفه على غير هذا الوجه - ينصف الضعفاء ، ويمهذب الأقوياء (إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يغنى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

٢٦ - وكل حق للجماعة هو حقه ، وكل من يؤذيها يقتص الله منه (إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا) .

٢٧ - وكل ما حرمه على العبد فهو لمصلحته ، أيس لله فيه منفعة . ولكنه يريد من العبد أن يطيعه (إن الله تعالى يغار ، وغيره الله أن يأتي المرء ما حرم الله عليه) خ ٢ (النكاح) ص ١٢٢ .

٢٨ - وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة ، الكبير المتعال ، يحل ويحرم ، ويدع أموراً لم ينسها . ولكن اقتضت حكمته ألا يظهر الحكم فيها . رحمة بالناس - فقد يسوؤهم إظهارها ، وعليهم أن يحملوا المسكوت عنه على المذكور الشبيه به ، أو يحملوها على البراءة الأصلية - فهي مباحة لهم . هذا إن كان المسكوت عنه حكماً شرعياً يتعلق بمصلحة العباد .

لما إن كان حكماً قديراً ، فعليهم ألا يشتغلوا به . وقد أراد الله بنا شيئاً ، وأراد منا شيئاً - فما أراد بنا طواه عنا ، وما أراد منا أظهره لنا . ويكفي أن نشغل بالمعلوم ، ولا ننتبه في غياهب المجهول ، وأن نلتزم بحدود ما وضح لنا ، ولا نبحث فيما لا طائل فيه (إن الله تعالى فرض فرائض . فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها ، وحرم أشياء فلا تنتهكوها ، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) .

٢٩ - ومن الناس من يمتنعهم الله بالحديث معهم ، أو يتجلى عليهم برحمته ليأثم أو يطهرهم بغفران ذنوبهم . ومنهم المحروم من كل هذا ولهم بعد الحرمان عذاب الحريق . هؤلاء الخائبون الخاسرون . منهم من منع عن مضطر حاجة ، أو خان أخاه فصدقه وهو عليه كاذب - متخذاً اليمين بالله خداعاً ونصباً ، أو وضع يده في يد ظالم لينال دنياً ، أو خلع يده من يد عادل لينال الدنيا عند غيره . وكل هؤلاء معتدون على الفضيلة ، ومنتهكون لهماها ، يروعون المجتمع ويؤذونه - فأغضبوا الله الذي يرعى المجتمع ويصونه (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم ولهم عذاب

أليم : رجل على فضل ماء بالفلاة ينمعه من ابن السبيل . ورجل بايع رجلا سلعة بعد العصر فخلف بالله لأخذها بكذا وكذا فصدقه وهو على غير ذلك . ورجل بايع إماما لا يبايعه إلا لادنيا فان أعطاه منها وفي ، وإن لم يعطه لم يف (خ ح ١) (الشرب) ص ١٤٤ .

٣٠ - وهو الذى يحب عباده إن أحبوه ، ويغضهم إن جحدوا نعمته . وعلى الطالبين منه أن يراجعوا أنفسهم هل استجابوا له قبل أن يطالبوه بالإجابة ؟ وهم العبيد ، فكيف لا يستجيبون للسيد ثم يطمعون فى فضله ؟ وليس الموت . هو باب الوصول إليه وكلنا يكره الموت . كلا . لقد صح الرسول فهم عائشة حين قال (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه . قالت عائشة : فكلنا نكره الموت . قال لها : ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته ، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه . وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه) خ ح ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

٣١ - ولكن الوصول إليه بالعمل الصالح (إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء - يارب يارب . ومظمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام - فأتى يستجاب لذلك) .

٣٢ - والصالح الذى يتقرب به إليه ما شرعه لعباده ، وأخلصوا نياتهم لله فيه - فاستبعدوا عن أذهانهم وجرارحهم كل صور الشرك . وأفردوه وحده فتوجهوا بالعمل إليه ، عندئذ يبقى عملهم ويسقط ما عداه من الأعمال (إذا كان يوم القيامة جرى بالدينيا فيميز منها ما كان لله . وما كان لغير الله رضى به فى نار جهنم) .

٣٣ - والإخلاص له والقيام بأوامره - كلها سبيل رضا (من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض) .

٣٤ - ولقد حارب الله الرياء وعده لونا من الشرك وإن تفه مقداره ، لما في ذلك من ضرر وخطورة (اليسير من الرياء شرك) .

٣٥ - وقد خلقنا لعبادته وهدانا سبيلا الخير والشر . وفي مسيرة الحياة تعترض الإنسان مشاكل معقدة ، يحتاج في حلها إلى بصيرة نيرة وعقيدة راسخة . فقد تحمل يارضاء المخلوق وسخط الخالق - وهنا يكون الابتلاء . فالؤمن لا يرضى بغير الله بديلا ، والفاجر لا يعرف لربه سبيلا - فيغضبه ويرضى غيره . وسرعان ما تبدل الأحوال ويحول الله عنه القلوب التي اكتسبها بسخط الله، فتقلب عليه ناقة لاعة (من أسخط الله في رضا الناس سخط الله عليه ، وأسخط عليه من أرضاه في سخطه . ومن أرضى الله في سخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه من أسخطه في رضا حتى يزينة ويزين قوله وعمله في عينيه) .

٣٦ - وأودع في يد الإنسان المال واختبره فيه؛ لأنه من أعز ما يحرص عليه الإنسان . وقد أمره الله على استمساكه به وصيائته له . بيد أنه قد يضيع منه لأمر فوق إرادته ، وقد ينفق منه بإرادته . ومن عدل الله معه أن ما أنفقه الإنسان بإرادته ابتغاء وجه الله يحفظه له عنده ، لاتصيه آفة ولا يطرأ عليه نقصان (يا ابن آدم أفرغ من كنزك ، وعندى لا غرق ولا حرق ولا سرق . أو فيك أحوج ما تكون إليه) .

٣٧ - ولا يظن ظان أن ما يبدله الله ينقص ما عنده ، ولو سكن يطرزه وينميه . وليس الله في حاجة ، فالكل فقير إليه . وهو الغني الحميد . سخاؤه لا

ينقطع ، وعطاؤه لا يحد . لكنه منع عن بعض خلقه - ليعلم الناس فضله وعدله إن هو بدل الأحوال وصير الغنى فقيراً (يا عبادى أنفق أنفق عليك . يد الله ملاقى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار . أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ، فإنه لم يغيض ما بيده ، وكان عرشه على الماء . ويبيده الميزان يخفض ويرفع) خ ج ٢ تفسير القرآن ص ١٠٥

٣٨ - ولا يحب الله من العبد أن يعذب نفسه من تلقاء طاعة يخترعها ، يريد منها القربى إلى الله ، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يتهاذى بن ولديه يبدو عليه التعب . قال : ما شأنه ؟ قالوا : نذر أن يحج الله ماشياً . قال : مروه أن يركب وليهد بدته . ثم قال (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى) خ ج ١ (جزاء الصيد) ص ١١٧

٣٩ - والله مع العبد في حركاته وسكناته ، في حسه وضميره ، ومن الأمور البديهية أن نزوع الإنسان في وحدته يغير نزوعه وهو مع الناس ، فقد يكبت بعض رغباته بالقدر الذى تذكره الجماعة عليه ، ويظهرها بالقدر الذى تؤيده فيه عملاً بتقاليدهم ، وإحساس المرء بأن الله معه دائماً يتطلب منه أن يدرك أنه ليس وحده ، وأنه ملتزم بتعاليم صادرة إليه من يملك زمامه . وعليه أن يهذب غرائزه ويستحي من الله (الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى - فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحياء) .

٤٠ - والذين يجتمعون على الله ويؤلف بين قلوبهم حبه ، هم في كنفه ورعايته ، يحبهم ويحبونه . وأكثرهم حبا لصاحبه هو الأكثر حظاً بحب الله له (ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه) .

٤١ - وهو المنعم الذي يجرى بعض نعمه على أيدي أناس من خلقه ، فأوجب شكرهم لأن خيرهم جرى على أيديهم (من لا يشكر الناس لا يشكر الله) .

٤٢ - بيد أن لهذا الشكر ميزانه الذي وضعه الله لنا ، فلا نرضى مخلوقا بسخط الخالق المالك . والصبر واليقين والرضا بما قسم - سبل إلى الفرج والراحة (لا ترضين أحدا بسخط الله ، ولا تحمدن أحدا على فضل الله ، ولا تذمن أحدا على ما لم يؤتكم الله - فإن رزق الله لا يسوقه إليك جرح حريص ولا ترده عنك كراهية كاره . وإن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرج في الرضا واليقين . وجعل الهم والحزن في السخط) .

٤٣ - وهو ذو مغفرة وذو عقاب أليم ، وإن كان إلى الرحمة بعباده أسبق (إن رحمتي تغلب غضبي) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢

٤٤ - وللعلم والحلم مكانهما عنده في نيل مغفرته (إنني لم أجعل على وحلي فيكم إلا وأنا أريد أن أغفر لكم على ما كان فيكم ولا أبالي) .

٤٥ - ولا يكلف نفسا إلا وسعها ، وأحب الأعمال إليه أدومها عنوانا للصلة بينه وبين العبد (يا أيها الناس خذوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يمل حتى تماوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله مادام وإن قل) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤

٤٦ - ومن الناس من يلعن أيام الضيق وليالي البؤس ، ظانا أن الزمان قد أنزل به الشقاء . وربما كان الإنسان هو السبب فيما نزل به ، فعليه أن يأخذ بالأسباب وأن يدع النتائج للخالق ، ولا يسب زمانا أجرى الله فيه ما قدره فبكون قد سب الله ومقادير . نعوذ بالله من ذلك (يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر ، بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١١

٤٧ — والله يحب من العبد أن يكون بينهما سر لا ينكشف ، وأن يكون اهتمام العبد منصرفا إلى ربه ، مصلحا لسريته أكثر من علانيته ذا كرا آخرته أشد من ذكره لدنياه . (من أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس . ومن أصلح سريته أصلح الله علانيته . ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه) .

٤٨ — ومن عرفه حق معرفته تولدت في نفسه الرهبة منه ، ومن لم يعرفه لم ينشغل به . والذين يرهبون سلطانه في الدنيا فيستقيمون على شرعه يؤمنهم في حياتهم الأبدية من الفزع الأكبر . أما الذين لم ينشغلوا به وأمنوا مكره فسوف يخيفهم حين يعرفهم جبروته (وعزتي وجلالي لا أجمع على عبيد خوفين ، ولا أجمع له أمنين - إن أمننى في الدنيا أخفته يوم القيامة ، وإن خافنى في الدنيا آمنتته يوم القيامة) .

٤٩ — وهو العليم بأحوال عباده . من أرهبهم سلطانه أسقط عنهم أنقاعهم رحمة بهم . وللرهبة منه آثار تبدو على وجه الخائف منه ، فتمت أحس بها من غير افتعال منه أو تظاهر فله تلك البشارة (إذا اقشعر جسد العبد من مخافة الله عز وجل ، تحانت عنه خطاياها كما يتحانت عن الشجرة اليابسة ورقها) .

٥٠ — وهو العادل في حكمه ، لا يقبل من العبد أن يطلب أكثر مما يعمل . وأكثر الناس بغضا له الذين يطلبون بغير عمل ، ولا يؤدون شيئا يطلب منهم (ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل . كيف أجود برحمتي على من يخل بطاعتي) .

٥١ — والعدل والتسامح من أحب شيء إليه (أحب الأديان إلى الله الخنيفية السمعية) .

٥٢ - والله خلق عباده على فطرته ، ومنحهم إدراكا وقدرة يتمكنون بهما أن يختاروا اختيارا حرا خال من أى تأثير لتقوم مسئوليتهم ويصنع تكليفهم ، وليسوا كالريشة فى الهواء تميلها الريح كما قالت الجبرية . وكان من الممكن أن يحملهم الله على ما يريد منهم ، لكن لا يتفق مع عدله وثوابه وعقابه ، وفضل الناس فيما بينهم بالعمل ، فناداهم الله عن طريق شرعه ، ونادتهم الشياطين عن طريق شهواتهم : ومن الناس من يجيب الشيطان لضعف رضيه الإنسان لنفسه أجلبه عليه هواء لا لعجز القادر الذى حكم فعدل (عبدى أخذك الشيطان منى لا لعجزى ، ولكن لضعفك أنت) .

٥٣ - والله قضاء على خلقه ، لكنه أخفاه عنهم ، ولم يكلفهم معرفته ولكن كلفهم الإيمان به . وطالبهم أن يكونوا بقضائه راضين ولتقديره مستريحون . وحذرهم أن يقعوا فى المعاصى محتجين بقضائه . فعندهم من أسباب تجنبها ما يقيم شرها ، فإن رضوا بتقديره عليهم استراحوا وأراحوا . وإن سخطوا أتعبوا أنفسهم وفقدوا إيمانهم ، وليس لهم إلا ما كان (عبدى إن رضيت بما قسمته لك أرحمت نفسك وبدلك وكنت عندى محمودا . وإن لم ترض بما قسمته لك سلطت عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش فى البرية ، ولا ينالك منها إلا ما قسمته لك ، وكنت عندى مذموما) .

٥٤ - وهو المنعم على عباده ، المتجاوز عن خطاياهم - الذى فتح بابه لكل عائد إليه . فلا نجد أحدا ينعم على من يسىء ثم يعفو إلا القاهر فوق عباده ، الغفور الرحيم (يا ابن آدم خلقتك يدي وريبتك بنعمتي وأنت تعصيني ، وإن رجعت إلى تبت عليك ، فمن أين تجد لك ربا مثلى وأنا الغفور الرحيم) .

٥٥ - وهو العزيز ذو الجبروت ، يتساقط أمام جبروته كل جاء . وقدرة أزلية أبدية ، يحصى كل مستجير به . وقد يرى أن الخير للعبد مفارقاته

الدنيا ليستريح مما فيها من متاعب ، ولينعيم بما عنده من راحة . وهو أنيس لمن يستأنس به ولا أنس بغيره ، فقد تكون مصيبة المرء من جليس سوء يظن الإتناس به . وقد خلقنا الله للعمل ونهانا عن الكسل ، وأمرنا أن نصون النعم وأن نتجنب الأحقاد (يا ابن آدم لا تخف من سلطان مادام سلطانى باقيا وسلطانى لا ينفد أبدا . يا ابن آدم لا تأنس بغيرى وأنا لك ، فإنك إن طلبتني وجدتنى ، وإن أنست بغيرى فتك وفاتك الخير كله . يا ابن آدم خلقتك للعبادة فلا تلعب ، وقسمت لك رزقك فلا تتعب . إن كثرت فلا تفرح ، وإن قل فلا تجزع) .

٥٦ - وهو يحب ويكره ، ويزيد حبه ويزيد بغضه كلما كان المرء إلى ربه أقرب وعن هواه أبعد . فيحب الجود والكرم ، والتواضع والتوبة . ويبغض البخل والتكبر والعصيان (أحب ثلاثا وحبى لثلاث أشد - أحب أهل السخاء وحبى للفقير السخى أشد . وأحب المتواضعين وحبى للغنى المتواضع أشد . وأحب التائبين وحبى للشاب التائب أشد . وأبغض ثلاثا وبغضى لثلاث أشد - أبغض البخلاء وبغضى للغنى البخيل أشد ، وأبغض المتكبرين وبغضى للفقير المتكبر أشد ، وأبغض الفساق وبغضى للشيخ الفاسق أشد) .

٥٧ - ومن الناس من يقابل إحسانه بالإساءة ، وغفرانه بالتماذى فى المعصية . والويل لهم إن لم يتوبوا (عبدى كم أحبب إليك بالنعم وتتبعض إلى بالمعاصى ، خيرى إليك نازل وشركى إلى صاعد) .

٥٨ - وهو الذى يرزق من أطاعه ، ويعطى من عصاه - لا ينسى أحدا . ومن الخير للإنسان أن يستجيب لمن يطلب منه أن يستجيب له ، وألا يتعجل (يا ابن آدم لا تطالبنى برزق غد كما لا أطلبك بعمله ، فإنى لم أنس من عصائى ، فكيف من أطاعنى ؟) .

٥٩ — وهو الحليم - يؤخر العقاب عن شاء الحكمة ، فلا يحملنك حبله أن تتبادى فى مخالفته - فهو يملك ولا يهلك . وقد يسكن من غضبه أناس صالحون ، لم يعاجلك بالعقوبة عسى أن يكون صلاحهم حاملا لك على التوبة ، وحافزا لك على الندم (لاني أهم بعذاب عبادى ، فأنظر إلى عمار المساجد وجلساء القرآن وولدان الإسلام فيسكن غضبى) .

٦٠ — وهو العفو الغفور ، ينمى بالعائدين من معاصيهم إلى الرجاء فى رحمته ، ينتظرهم بفضله ، فكيف بمن عكف على طاعته وغار على انتهاك حرمانه ، وقام بالأمر والنهى يصون حماه ؟ (لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ، ورفقى بهم ، وشوقى إلى ترك معاصيهم ، لأقبلوا - هذا بالمدبرين عنى ، فكيف بالمقبلين على ؟) .

٦١ — والله يخفض ويرفع . ومن قوانينه فى الدنيا أنه مامن شىء يرتفع فيها إلا خفضه (حق على الله ألا يرتفع شىء من الدنيا إلا وضعه) خ ح ٢ (الحور) ص ١٨ ، ١٩ .

٦٢ — والدنيا وما فيها متاعها قليل عنده . أما الحياة الآخرة فهى الحيوان التى تعظم الحياة فيها ، ولذلك فمن أراد الآخرة قد يعطيه الله الدنيا معها — ومن أراد الدنيا فما له فى الآخرة من نصيب (إن الله يعطى الدنيا على نية الآخرة . ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا) .

٦٣ — ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، ومنهم من يجادل فيه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ومنهم الملحدون الذين لم يقدره قدره فينسبون إليه الصاحبة والولد ويذكرون البعث ، محكمين العقل فى أمور غيبية لا تدركها العقول ، متجاهلين قدرته وأوصافه . ولو أن عندهم ذرة من عقل أو أنارة من علم ، لأيقنوا أن الصاحبة والولد بخالفان

للتوحيد ومناقضان للتنزيه الواجبين له سبحانه ، وأن إنكار البعث حد
لقدرته وطعن في أخباره . والصانع يرى من نفسه القدرة في المرة الثانية أكثر
من الأولى - فكيف بالخالق الذي لا ينقطع ابداعه (يشتمني ابن آدم وما ينبغي
أن يشتمني ويسكذبني وما ينبغي له . أما شتمه فقله إن لي ولدا . وأما تكذيبه
فقله ليس يعيدني كما بدأني) (١) .

٦٤ - والكلام عن الله سبحانه في القدم بقدم الفكر الإنساني ، ولم
تخبطت الفلسفات وجد الفكر - ومع ذلك لم تقدم لنا البحوث العقلية فكرة
صحيحة عن الله . وكان التسلسل الذي ينتهي إلى الله ينتهي بهم إلى الحكم على
الله بما يحكمون به على الخلق ، وهذا قياس حذرنا منه (يأتي الشيطان أحكم
فيقول : من خلق كذا . من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك ؟ فإذا بلغه
فليستعذ بالله ولينته) خ > ٣ (بدء الخلق) ص ٣٦ .

٦٥ - بل إن بعض الشرائع السماوية تدخل في تحريفها وتأويلها تأويلا
غير صحيح ، أناس يصورون فيه الله بصورة الإنسان . فيروى أنه
جاء حبر فقال : (لانا نجد أن الله يجعل السماء على أصبع ، والأرضين على
أصبع ، والشجر على أصبع ، والثرى على أصبع ، وسائر الخلق على أصبع -
فضحك لقول الحبر ثم قرأ وما قدروا الله حق قدره) خ > ٢ (تفسير
القرآن) ص ١١١ .

٦٦ - والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه
سبحانه وتعالى عما يشركون . وهو الملك لا مالك معه (يقبض الله الأرض
ويطوى السموات بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟) خ > ٢
(تفسير القرآن) ص ١١١ .

٦٧ - وهو على كل شيء قدير ، وهذا لون من التصوير لقدرته (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلاً لأهل الجنة ، فصدقه اليهودى) خ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

٦٨ - والله يحب عباده المؤمنين به ، يحب لقاءهم وهم يريدون البقاء في الدنيا (وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته) .

٦٩ - وإذا ساءت لك سيئتك وسرتك حسنتك ، فأنت ذلك المؤمن ، والله يحب منك أن ترتفع بنفسك إلى أسنى الفضائل ، وإياك أن تنزلق إلى أسفل الرذائل فيخضعك الله (إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها ، ويكره سفاسفها) .

٧٠ - وكل ما فاتك من الله سوى الله يسير ، وكل حظ لك سوى الله قليل . والمحب يتعلل إلى محبوبه بكل شيء ولا يتملى عنه بشيء ويتبع آثاره ولا يدع استخباره . وينبغي أن يكون فرحك في العطاء بالمعطى ، ولذتك في اللذات بخالق اللذات ، وتنعمك في النعمة بالمنعم دون النعم لأن ذكر النعمة عند ذكر المنعم حجاب ، ورؤيتك النعمة عند رؤية المنعم حجاب ، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها . ومعرفة الله تأتي القلب من عين الجود وبذل الموجود ، والسريرة إذا كانت أقبح من العلانية فذلك الجور . فإذا استوت معها فذلك العدل . وإذا فضلت السريرة على العلانية فذلك الفضل . ومن بث وحزن على ما أنزله الله به فكأنما يشكوه . وإنه ليفنى حزن كل ثكلى . وحزن التائب لا يفنى ، والزاهدون في الدنيا يبيحهم الله الجنة . وليست الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك .

وإذا أصابتك مصيبة من غير أن تكون السبب فيها كنت بشواها أفرح منك بها لو بقيت عنك . ونحن نحب الله لما يغذيها به من نعم لا تنقطع . وقد أوحى لعيسى إني أحب إلى عبدى المؤمن من نفسه التى بين جنبيه . وقال موسى يوماً يارب أوصنى . قال : أوصيك بى . قال : وكيف ؟ قال لا يعرض لك أمران أحدهما لى والآخر لنفسك إلا آثرت محبتى على هواك . فلا يكتر همك ما يقدر يكون . وما ترزق تأكله . وقد كان الأولاءل يتشوقون إليه . وقال حذيفة عند موته : حبيب جاء على فاقة لا أفلاح من ندم . وعن ابن عمر لمن كلفه أثناء طوافه : كلمتنى فى الطواف ونحن نتخيل الله بين أعيننا . فسر فى طريقك إلى ربك على الحب له . (إن الله يأمر جبريل فيقول : أقبض حلاوة الطاعة من قلب عبدى ، فإن تأسف عليها فردها عليه وزده ، وإلا فدعه) .

٧١ — (إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا ركن إلى الدنيا أن أنزع حلاوة مناجاته إياى من صدره ، وأن أدعه فى الدنيا حيرانا) .

٧٢ — وفيما نزل من كتب (معشر المتوجهين إلى بحبى ما يضركم ما نأبكم من الدنيا إذا كنتم لكم حصناً ، وما يضركم من عاداتكم إذا كنتم لكم سلماً) .

وقد أوحى لعيسى (أنزلى منك كهملك واجعلنى ذخراً لك فى معادك) .

٧٣ — (إني والإنس والجن فى نبأ عجب ، أخلق ويعبد غيرى ، وأرزق ويشكر غيرى) .

٧٤ — وأعظم شئ للإنسان أن يحس بأن الله رقيب عليه (سبق المفردون . قالوا : وما المفردون ؟ قال الذاكرون الله كثيراً والذاكرات) .

٧٥ - وهو الذى ينجى الإنسان من عذابه (مأعمل آدمى عملاً قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل) .
٧٦ - وسأل سائل عن أعظم شيء . فقال له (لا يزال فوك رطباً من ذكر الله) .

٧٧ - وقد ذكر قوم ربهم . فقليل لهم (إنما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد ، يتعاطفن حول العرش له دوى كدوى النحل ؛ يذكرن بصاحبهن . أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به ؟) .

٧٨ - وذكر الله فى أدب وخشوع روضة من رياض الجنة (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياضها ؟ قال خلق الذكر) .

٧٩ - والمطلوب من كل إنسان أن يحدد صلته بربه من قلبه ولسانه وجوارحه (جددوا إيمانكم . قالوا : وكيف نجده ؟ قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله) .

٨٠ - وفيما يروى (أن أحب الكلام إلى الله عز وجل ما أصطفى الله لملائكته سبحانه ربى وبحمده سبحانه ربى وبحمده) .

٨١ - وللإخلاص قيمة فى الثواب على العمل (إن عبداً من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك ولعظيم سلطانك فعضلت بالملكين فلم يدريا كيف يكتبانها . فقالا : ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟ فقال الله لها : اكتبها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها) .

٨٢ - والله عز وجل أسماء يدعى بها (إن لله تسعة وتسعين اسماً من

أحصاها دخل الجنة) خ ٢ (الشروط) ص ١٢ .

وهذه أسمائه : —

هو الله ، الذى لا إله إلا هو ، الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس .
السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . الباري . المصور .
الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط .
الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكيم . العدل .
اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير .
الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل . الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع .
الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين .
الولى . الحميد . المحصى . المبدى . المعيد . الحق . المميت . الحى . القيوم .
الواجد . المسجد . الواحد . الأحد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم .
المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالى . المتعالى . البر . التواب .
المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط .
الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور . الهادى . البديع .
الباقى . الوارث . الرشيد . الصبور . الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد .

٨٣ - وطاعته مفتاح الخير (لو أن عبادى أطاعونى لسقيتهم المطر بالليل ،
فأطلعت عليهم الشمس بالنهار ، ولم أسمعهم صوت الرعد) ذلکم الله
رب العالمين .

الموضوع الثالث

(الدعاء)

١ - وقال ربكم أدعوني أستجب لكم ، أجيب دعوة الداعي إذا دعاني ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون . وفي القرآن غير ذلك من الأدعية وكذا في السنة - وهي أدعية مأثورة علمها الله للناس . ومن العجيب أن ينصرفوا عنها إلى غيرها من الأدعية ، مع أنهم قد يحفظونها ويعدلون عنها والأولى أن تتبع ولا تبتدع ، وأن نحفظ أدعيتنا - فهي أسلم وأحكم وأحق بالقبول .

والناس يختلفون في دعائهم - فمنهم من يدعو بما هو محرم ، أو يطلب قطعة ، أو يعتدي في دعائه . وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا ونعلم منه . فبأي شيء دعا ، وماذا طلب ؟ (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) لقد طلب الثبات على الهدى ، والازم لتقوى الله ، والتعفف عن كل مكروه ، والكفاية لكي لا يحتاج - وتلك حاله .

٢ - وعلى المسلم أن يقتدى برسوله ، فإذا خرج من بيته لجأ إلى ربه واستعان به ليحفظه من الغواية ، أو الهوى إلى الرذيلة ، أو الابتلاء ، أو التعرض للظلم (اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل علي) .

٣ - وعلى العبد أن يخضع لربه ، ويؤمن به ، ويأخذ بالأسباب ، ويندم على معصيته ، ويغار على حرمة ربه ، وينتصر به ويسأله العصمة - فهو القادر الباقي (اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تضلني . أنت الحي الذي لا تموت ، والجن والإنس يموتون) .

٤ - وعليه أن يقول عند نومه (اللهم أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنيبك الذي أرسلت) (١) .

٥ - فإذا انتهى من صلاته قال (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

٦ - وعليه أن يستعين بربه من كل ما يريق ماء وجهه ، أو يخذله عند الله والناس (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنه بئس البطانة) .

٧ - وهذا مسافر يحىء للنبي فيقول له (استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك . فيقول المسافر : زدني . فيقول له : زدك الله التقوى . قال زدني . قال : وغفر ذنبك . قال : زدني . قال : ويسر لك الخير حيث كنت) .

٨ - ولقد كان يعلمهم الإستخارة كما يعلمهم الآية من القرآن (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ثم ليقل : اللهم إني استخيرك بعلمك ، واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم . فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ، ثم بارك لي فيه . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، فاصرفه عني واصرفني عنه وأقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به - ويسمى حاجته)
خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

٥ - فإذا جلس في مجلس وأراد الانصراف منه قال ما يكفر عنه ذنبا أذنبه في ذلك المجلس (من جلس في مجلس كثر فيه لخطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك . إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك) .

١٠ - ونسأله أن يرزقنا الخشية منه حتى لا نقع في معصية تغضبه ، وأن يوفقنا لطاعته ، ويثبتنا على اليقين به ، وأن يهون علينا مصائب الدنيا ولا يسلطها علينا ، ولا يبتلينا في ديننا (اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتنا ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهن به علينا مصائب الدنيا . اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييننا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

١١ - فإذا سافر العبد قال عند سفره (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا ، واطوينا عنا بعده . اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنظر ، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد) وإذا رجع قال ما تقدم وزاد (آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون) (١) وإذا ارتقى مكانا عاليا في سفره كبر ، وإذا نزل سبى ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

١٢ - وعلى العبد أن يدعو في السر (أربعوا عل أنفسكم فإنكم لا تدعون أصبا ولا غائبا ، إنه معكم ؛ إنه سميع قريب) (٢) .

(١) خ ج ١ (العمرة) ص ١١٦ (٢) خ ج ٢ (الحور) ص ٢٣

١٣ - فإذا ذهب للقاء العدو قال (اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم) .

١٤ - وإذا نزل مكانا جديدا قال (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .

١٥ - فإذا هل هلال الشهر قال (اللهم أهله علينا بالآمن والإيمان والسلامة والإسلام ، ربى وربك الله ، هلال رشد وخير) .

١٦ - وعلى العبد قبل أن يعين حاجته أن يثنى على ربه ، ويصلى على النبي صلى الله عليه وسلم (إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه ، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يدعو بعد بما شاء) .

١٧ - وليقل بعد الفراغ من صلاته (اللهم إني أعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا ، وأعوذ بك من عذاب القبر) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥ .

١٨ - وليستغفر الله ثلاثا ويقول (اللهم أنت السلام ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام) (اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد) خ ج ١ (الأذان) ص ٦٨ .

١٩ - ولبعض الكلمات رجحان في ميزان العبد (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن : سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضاء نفسه ، وزنة عرشه ، ومداد كلماته) .

٢٠ - فإذا آوى إلى فراشه فليستمع لذلك الإرشاد (إذا آوى أحدكم إلى فراشه فلينفذ فراشه بداخلة إزاره ، فإنه لا يدري ما خلفه عليه . ثم يقول : باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسي فارحمها ،

وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (خ ج ٢ (الدعوات)
ص ١٥٨ .

٢١ - ولزوم الطاعة من أجل النعم على الإنسان (اللهم مصرف القلوب
صرف قلوبنا على طاعتك) .

٢٢ - وهناك أمور على الإنسان أن يفر إلى الله منها (تعوذوا بالله من
جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء) (١) .

٢٣ - (اللهم إني أعوذ بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ،
والبخل ، وأعوذ بك من عذاب القبر ؛ وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) (خ
ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٤ - ولكل إنسان ذنوب نسأله التجاوز عنها (اللهم اغفر لي خطيئتي ،
وجملي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به مني . اللهم اغفر لي جدي وهزلي ،
وخطئي وعمدي ، وكل ذلك عندي . اللهم اغفر لي ما قدمت ، وما أخرت ،
وما أسررت ، وما أعلنت ، وما أنت أعلم به مني . أنت المقدم وأنت المؤخر
وأنت على كل شيء قدير) (خ ج ٢ (الدعوات) ص ١٥٩ .

٢٥ - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ونسأله بقاء نعمه ورفع نقمه
(اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك وجفأة نعمتك ،
وجميع سخطك) .

٢٦ - ورضا الله خير ما يحصل عليه الإنسان في الدنيا (اللهم آت نفسي
تقواها وزكها ، أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك

من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

٢٧ - والقناعة رأس الغنى (اللهم اكفني بحلالك عن حرامك ، واغنني بفضلك عن سواك) .

٢٨ - والله يغضب إن تركت دعاءه . وبنى آدم حين يسأل يغضب يطبع على أه بيت من الشعر (اللهم إني أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم ، والغنيمة من كل بر ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار) .

٢٩ - وعلى المرء أن يدعو لأخيه بظهر الغيب (ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل) .

٣٠ - وعلى الداعي ألا يستعجل ربه ، فإنه لا يعلم ما يمكنه له من خير ، ويصرفه عنه من شر (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول قد دعوت ربي فلم يستجب لي) (خ ٢٠٠ الدعوات) ص ١٥٨ .

٣١ - وقد يظن الداعي أن تحقيق مطلوبه هو الخير له . وربما كان هذا صحيح ، وربما كان هناك خير منه (ما على ظهر الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلاً ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) .

٣٢ - وعلينا أن نتجنب الحقد على الناس ، ودعوى كل يوم (اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك ، فلك الحمد ولك الشكر) .

٣٣ - وعلى الإنسان ألا ينسب مظاهر الطبيعة ، فإن رأى ما يزعجه فليجأ إلى ربه (لا تسبوا الريح ، فإذا رأيتم ما تسكروهون فقولوا اللهم إنا نسألك من

خير هذه الرياح ، وخير مافيها ، وخير ما أمرت به . وأعوذ بك من شر هذه
الرياح ، وشر مافيها ، وشر ما أمرت به) .

٣٤ - واستقامة العبد واستجابته لربه يقربان من إجابة الله له . وفيما
سبق من أحاديث أنه ذكر الرجل (يطيل السفر ، أشعث أغبر ، يمد يديه
إل السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذى بالحرام -
فأني يستجاب له) .

٣٥ - وقد تعترى المرء أزمات نفسية فيقول (اللهم إني أعوذ بك من
الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والسكسل ، وأعوذ بك من الجبن
والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) .

٣٦ - ولا يدعو على شيء لا يستحقه (ولأنه من لعن شيئاً ليس له بأهل ،
رجعت اللعنة عليه) .

٣٧ - وإذا رأى إعوجاجاً في الناس قال (اللهم لا يدركني زمان
لا يتبع فيه العلم ، ولا يستحيا فيه من الحليم) .

٣٨ - وعليه أن يبدأ عمله مبكراً في الحديث : (اللهم بارك لأمتي
في بكرها) .

٣٩ - ولا يلوم عاصي، وعليه أن يحمده الله على عافيته . وقد سبق
أن رجلاً جاء إليه وهو يحب الزنا فدعا له (اللهم طهر قلبه ، واغفر ذنبه ،
وحصن فرجه . فما كان شيء أبغض إليه بعد من الزنا) مسند أحمد عن أبي
أمامة .

٤٠ - وعلى الإنسان أن يعرف ربه في رخائه حتى يستجيب له في

وقت شدته (من سره أن يستجاب له عند الكرب والشدة فليكثر الدعاء عند الرخاء) .

٤١ - ومن دعاء داود (اللهم إني أسألك أربعا وأعوذ بك من أربع : أسألك لسانا ذا كرا ، وقلبا خاشعا وبدنا صابرا ، وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي ، وأعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ، ومن امرأة تشيبنني قبل وقت المشيب ، ومن مال يكون نعيما لغيري ووبالا علي ؛ ومن جار سوء إن رأى مني حسنة كتمها ، وإن رأى مني سيئة أفشاها) .

٤٢ - وعلى المرء أن يؤمن عند الدعاء خصوصا في الصلاة (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) خ ١ (الأذان) ص ٦٤ .

٤٣ - وليطلب من الله أن يقيه شر الديون للناس ، وأن يستعين بربه من غلبة الدين (فما أكثر ما تستعين من المغرم . فقال : إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) .

٤٤ - وكان يقول (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة الحيا والممات . اللهم إني أعوذ بك من المسأمة والمغرم) خ ١ (الأذان) ص ٦٧ .

٤٥ - وتجوز الصلاة على الناس فإنها دعاء لهم . فقد ورد (اللهم صل على آل فلان ، اللهم صل على آل أبي أوفى) (١) .

٤٦ - والرقية نوع من الدعاء (باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يشفي سقيمنا ياذن ربنا) خ ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

٤٧- وكان يقول عند الكرب (لا إله إلا الله . العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) خ > ٢ (الدعوات) ص ٥٨ .

٤٨- ويروى : (اللهم إني أسألك لذة العيش بعد الموت ، والنظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك) .

٤٩- وعلى الإنسان أن يتبعد عن ظلم الناس حتى لا يتعرض لدعائهم عليه (دعوة المظلوم مستجابة . وإن كان فاجرا ففجوره على نفسه) .

٥٠- وفي معنى الحديث (اتقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) خ > ١ (الزكاة) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

الموضوع الرابع

﴿ تنبؤات ﴾

١- قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله . وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو . عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا - ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا .

والغيب الحقيقي هو ما استأثر الله به . وقد يكون الغيب إضافيا أو تسيبيا . فهو غيب بالنسبة لمن يحمله ، وشهادة بالنسبة لمن يعلمه .

ونحن نتحدث في هذا المقام عن تنبؤات نبي ورسول ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . فإذا كان الواقع يصدقه فذلك أمر ضروري ، لأنه يخبر بعلم ووحى من ربه .

وأول ما يصادفنا من هذه التنبؤات فتنة الإنسان في دينه وتساطد الدنيا عليه إلا من عصمهم الله (بادروا بالأعمال الصالحة فستكون فتن كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويصبح كافرا ويمسى مؤمنا - يبيع دينه بعرض من الدنيا) .

٢ - والإسلام يدعو إلى صالح الأعمال دائما ، فإن الإنسان يتقلب في حياته بين الضيق والفرج ، ثم ينتهى بما لا بد منه ، ثم يقدم للحساب على ما قدم (بادروا بالأعمال سبعا : فهل تنتظرون إلا فقرا منسيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسدا ، أو هراما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشر غائب ينتظر ، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر) .

٣ - وقد أيد الله هذه الأمة بقدر تمسكها بأثر رسوله ، فإن كذبت عليه وابتدعت في الدين مالم يس منه - فقد خرجوا من عداد المبشرين ، ووجب على المؤمنين أن يأخذوا حذرهم منهم (يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آبائكم ، فياياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

٤ - وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم . والخروج على الله ورسوله والتنازع يسببان الفشل وينذران بالفناء مالم تعصم بالدين ، ونعمل على وحدة الصف وإزالة ما في القلوب . ولا يقال إن الصلاح لم يزل في بعض أفراد من الأمة - فاتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (دخل فرعا وقال ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها . فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم . إذا كثرت الخبث) . خ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٨ ، ٣٩ .

٥ - وتبقى الأمم وتزدهر حياتها بمقدار أمانة أهلها . فإذا ضاعت الأمانة

فما بينهم وهى أعم من الودائع ، فكلمة الحق أمانة والصدق أمانة ، وكل فضيلة فى عنق الجميع أمانة . وسياق زمان ترتفع فيه هذه الأمانة ويكثر فيه النفاق والكذب والغش ، والويل للناس يؤمئذ من أنفسهم ومن الله (حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ، ثم نزل القرآن فعملوا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل الوكت (١) . ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، ويظل أثرها مثل أثر المجل (٢) كجمر دحرجه على رجلك فنقط (٣) فتراه منتبرا (٤) وليس فيه شيء ، ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله . فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أميناً . وحتى يقال للرجل ما أجلده ! ما أظرفه ! ما أعقله . وما فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت . لأنه إن كان مسلماً ليردنه على دينه . وإن كان نصرانياً أو يهودياً ليردنه على ساعيه . وأما اليوم فما كنتم أبايح منكم إلا فلانا وفلانا) خ ح ٢ الاستئذان ص ١٤٥ .

٦ - وإذا انتشر حب الذات وتحسكت الأهواء وأحس المؤمن كأنه فى غربه ، فعليه نفسه - سائلاً ربه أن يصرف عنه شر الأشرار (لأنه ستكون بعدى أثره وأمور تكرهونها . قالوا : فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذى عليكم ، وتسألون الله الذى لكم) .

٧ - ولقد كان غير خائف على الأمة من فقر ينزل بها ، ولكنه كان

(١) أى ناقصاً . وهو بالتاء المشناه .

(٢) انتفاض اليد من أثر عمل شاق .

(٣) اضطرب .

(٤) مرتفعاً .

يخشى أن تفتح الدنيا ذراعها فيتسابقوا إليها لينالوا متاعها بطريق غير مشروع ، فيحملهم التنافس على أن يضرب بعضهم رقاب بعض (أبشروا وأملوا ما يسركم - فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكنى أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها - فتهلككم كما أهلكتهم) (١) .

٨ - والصدق والوفاء من أعظم الفضائل . وقد أخبرنا أنه سيشتيع السكذب والإخلال بالوعود وسيطرة شهوات البطون على العقول . (خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يكون بعدى قوم يشهدون ولا يستشهدون ، يخونون ولا يؤتمنون ، يذرون ولا يؤفون ، ويظهر فيهم السمن) . خ ٢ (الشهادات) ص ١٠ .

٩ - ومن أعظم ما يصيب الإنسان أن تصادر حريته الدينية أو يفتن في دينه (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شرف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) خ ١ (الإيمان) ص ١٠ .

١٠ - وقد حذرنا من تلاعب الشيطان بنا لإيقاع الشقاق في صفوفنا (إن الشيطان قد يشئ أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ، ولكنه لم ينأس من التحريش بينهم) .

١١ - ولقد أندر أقواما يجيئون من بعده ، يظلمون الناس ، ونساء يغرين الرجال بمفاتنهن (صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات

رؤوسهن كأسنمة البخت ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها - وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا) .

١٢ - وقد تنبأ بكثرة المال في أيدي الناس (يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان ، يحثو المال ولا يعده) .

١٤ - ولقد تنبأ بحروب مدمرة تحصد الرجال حصداً (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب فلا يجد أحداً يأخذها منه ، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة - يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء) خ ١ (الزكاة) ص ٩٧ .

١٤ - ولسوف تنقرض جماعة صالحة ، تخلفها جماعة فاسدة الضمائر ، لا يباليهن الله بالا (يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حشالة كحشالة الشعير أو التمر لا يباليهن الله بالا) (١) .

١٥ - وليست العبرة في الأمم بكثرة عددها بل بمقدار إيمانها وتماسكها ، وتمسكها بترائثها ، وبذل حياتها دفاعاً عن مبادئها (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت) .

١٦ - وقد أشار إلى بعض البلاد بأنها ستكون مسرحاً لفتن ، يمرح الشيطان بأناس فيها (اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قيل وفي نجدنا ؟

قال :. هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان (خ > ١) (الاستسقاء)
ص ٧٧ .

١٧ - وقد يكون بعض ما تنبأ به لم يكشف لنا الله عنه بعد ، فلا نستطيع وقوعه - فتمنى صح الخبر وثبتت نسبته إليه فهو واقع بالضرورة .
ومن هذه الأخبار نزول عيسى المسيح ليحكم بشريعة الإسلام ، ويصيح
الأوضاع ، ويقتل الفتنان (ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً ،
فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله
أحد) (١) .

١٨ - وسيأتي زمان يكاد الناس لا يثقون في الرجل ولو حلف (ثم يحىء
أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته) (٢) .

١٩ - وللقيامة علامات تبعد وتقترب من قيامها ، فإن الزمان وإن طال
علينا فهو حاضر من الأزل إلى الأبد أمام الله ، ليس هناك شيء بعيد عنه .
ونلاحظ أنه يذكر الحروب مرتبطة بقيام الساعة ، وفي ذلك من الإشارة
إلى أن فناء الإنسان من أسبابه تلك الحروب المدمرة (لا تقوم الساعة حتى
تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم
المجان) (٣) المطرقة . ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر (خ > ١
(الخور) ص ٢٠ .

٢٠ - ولقد أخبرنا عن زوال دولتين كبيرتين ، تحكما الدنيا في
عصره . وصدقت نبوءته والتاريخ خير شاهد (هلك كسرى ثم لا يكون

(١) خ > ١ (البيوع) ص ١٣٥ . (٢) خ > ٢ (الشهادات) ص ١

(٣) لا يستحيون من شيء ولا يباهون به .

كسرى بعده . وقصر ليهلكن ثم لا يكون بعده . ولتقسم كنوزهما في سبيل الله (خ ج ٢ (الحور) ص ٢٤ .

٢١ - ولقد أشار إلى أوصاف لسكان بعض البلاد فقال (رأس الكفر نحو الشرق . والفقر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر . والسكنة في أهل الغنم) خ ج ٢ بدء الخلق ص ٣٧ .

٢٢ - ولما لفت النظر إليه أنه كلما تولى أمر الناس جماعة غير أكفاء ، فهذا إيدان بالزوال (هلاك أمتي على يدي غلبة من قريش ، إن شئت أن أسميهم بنى فلان وبنى فلان) (١) .

٢٣ - ويبلغ الخطر درجة يستحيل معه العلاج إن كان غير كفء يخدع الناس باسم الدين ، فإنه يحطم الأمة من داخل نفوسها ، ويحطمها كذلك في حياتها . إذ الخداع بالدين يصيب المرء في ضميره وحسه . وإمامة غير الأكفاء تصيب المرء في أملة (يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ، يقولون من قول خير البرية ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية - لا يجاوز إيمانهم حناجرهم : فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة) خ ج ٢ (إسلام أبي ذر) ص ٥٣ ، ٥٤ .

٢٤ - وهؤلاء الذين يفتنون الناس بغير علم ، الذين أوجب الإسلام قتالهم - إنما استحقوا ذلك لأنهم يحللون الحرام (ليسكون من أمتي أقوام يستحلون الخمر (٢)) والحريز والخمر والمعازف . ولينزلن أقوام إلى جنب علم (٣) يروح عليهم بسارحة لهم ، يأتيهم الحاجة فيقولون ارجع إلينا غدا ،

(١) خ ج ٢ (إسلام أبي ذر) ص ٥٣ .

(٢) أي يستحلون تمتنه أي الزنا . (٣) أي جبل .

فبيعتهم الله ، ويضع العلم . ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة (خ ح ٢ الأشربة ص ١٣١ ، ص ١٣٢ .

٢٥ - وقد حذرنا من الفتن والسير فيها ، فإن التحريض عليها أو السعي في إثارتها اشتراك فيها وجريمة تعظم أوزارها وقانا الله شرها (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي من تشرف^(١) لها تستشرفه ، ومن وجد فيها ملجأ أو معاذاً فليعذ به) خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٤ ، ١٥٥ .

٢٦ - ولما كانت الفتن أسباباً للأحقاد ، فالحروب فالدمار فالفناء . ربط كل هذا بقيام الساعة واقتربها (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى^(٢))

٢٧ - والرخاء والسكندب مع ماسبق من علامات الفناء (لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة . وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين - كلهم يزعم أنه رسول الله . وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ، وتظير الفتن ، ويكثر الهرج وهو القتل . وحتى يكثُر فيكم المال فيفيض حتى يهمل رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا إرب^(٣) لي به . وحتى يتناول الناس في البنيان . وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه وحتى تطلع الشمس من مغربها . فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون - - . فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً . ولتقوم الساعة وقد نشر الرجlan ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا

١ - سعى لها فإنها تبتلعها .

٢ - خ ح ٢ (الفتن) ص ١٥٥

٣ - حاجة .

يطويانه . ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته^(١) فلا يطعمه .
ولتقوم الساعة وهو يلبط^(٢) حوضه فلا يسقي فيه . ولتقوم الساعة وقد
رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) خ ٢٠ (الفتن) ص ١٥٥ .

٢٨ - والموفق من ابتعد عن الفتن وانكرها قلبه وجوارحه (تعرض الفتن
على القلوب كالخصير عودا عودا ، فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ،
وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين - على أبيض
مثل الصفا ، فلا نضره فتنة ما دامت السموات والأرض . والآخر أسود
مر بآدا كالكوز مجخيا^(٣)) ، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب
من هواه) .

٢٩ - وقد حذرنا من خصال نذكرها والأسف يملأ قلوبنا أنها أدركتنا
ونسأله السلامة منها (يامعشر المهاجرين خصال خمس لمن ابتليتم بهن ونزلن
بكم أعوذ بالله أن تدركوهن : لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها
إلا فشى فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم . ولم ينقصوا المكيال والميزان
إلا أخذوا بالسدين وشدة المؤنة وجور السلطان . ولم يمنعوا زكاة أموالهم
إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا . ولم ينقضوا
عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم فبأخذ بعض ما في
أيديهم . وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم) .

٣٠ - وقد نهانا عن سب أصحابه . وما كنا نتصور أن أحدا يرضى ضميره
أن يطلع فيهم وهم السابقون الأولون المتبعون باحسان وقد رأينا من
يجرحهم باسم حرية البحث . ونسى أننا دونهم شأنا (لا تسبوا أصحابي ،
فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) خ ٢٠
(فضائل الصحابة) ص ٥٧ .

الموضوع الخامس

(الرؤيا)

١ - كلما صفا القلب وسمت الروح ، تكشف للإنسان في نومه ما كان محجوباً عنه في يقظته . ولعلماء النفس تفسيرات للاحلام تدور حول ما كان مشغولاً به الإنسان في يقظته . لكن قد يرى الإنسان في نومه ما لم يطرأ له على بال من قبل . ونرى أن التقريب لهذا هو أن القلوب الصافية ينضح عليها من الاشعاع العلوى ما يرسم لها خطوطاً سرعان ما يكشف الواقع عن صحتها (إذا اقترب الزمان ^(١) لم تسكد رؤيا المؤمن تسكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) خ - ٢ (التعبير) ص ١٥٢ ، ١٥٣

٢ - وقد يرى الانسان في منامه شخصاً يأمره بأشياء . فان كانت هذه الاوامر تتفق مع ما جاء به الشارع فهو صحيح ما يراه . وقد يكون النبي صلى الله عليه وسلم . وإن كانت الاوامر مخالفة ، فتلك أضغاث أحلام (من رأى في المنام فسيراني في اليقظة ، أو كأنها يراني في اليقظة - لا يتمثل الشيطان بي) خ - ١ (العلم) ص ١٩

٣ - وقد تكون الرؤيا صالحة . أعم من أن تكون مطمئنة أو مهددة إن وقعت منه مخالفة لله ، فتلك رؤيا صالحة من الله وإن كان فيها تهديد ووعيد أما إن رأى ما يطمئنه على مخالفة أو ما يهدده على استقامة - فذلك حلم أو حى إليه به الشيطان فلا يفرع منه ، وعليه أن يتحول عن الجنب الذى كان نائماً عليه وليتفث عن يساره . ويستحسن أن يتوضأ ويصلى ما شاء . ولا يخبر

(١) الزمان الذى يصفو فيه القلب قلما تتخلف رؤياه عن الواقع .

أحداً به كي لا يعاوده الشيطان بوساوسه (الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان - فمن رأى شيئاً يكرهه فلينفث عن شماله ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان فانه لا يضره) خ ح٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

٤ - ومن الناس من يخلق ويكذب ويرى عينيه ما لم تكن رآته . وهذا ظالم افترى على الله كذباً وقال أوحى إلىّ ولم يوح إليه شيء (إن من أعظم الفراء أن يدعى الرجل إلى غير أبيه ، أو يرى عينه ما لم تر ، أو يقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل) خ ح٢ (مناقب قريش) ص ٤٨

٥ - وكم كانت الرؤيا من المسلمين يقرهم النبي عليها في الأذان وفي ليلة القدر (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر - فمن كان متحريراً فليتحررها في السبع الأواخر) خ ح١ (فضل ليلة القدر) ص ١٢٦ ، ١٢٧

٦ - وما يراه الانسان في نومه يجب أن يكون صادقاً فيه ، كما يجب أن يكون صادق الحديث دائماً (من تحلم حلماً لم يره ، كلف أن يعقد بين شعيرتين ولم يفعل . ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة) خ ح٢ (التعبير) ص ١٥٣

الموضوع السادس

(الأولياء)

١ - هم المؤمنون الذين لم تنقطع صلتهم بالله والتزموا بمباشرة للناس أجمعين . فالإيمان والقيام بالفرائض والتزام الشرع - أصول لا بد منها لتحقيق الولاية . هؤلاء من آذاهم أو عاداهم فقد عادى الله لأنهم صور عملية لما شرعه ، يحبهم ويحبونه - أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل

الله ولا يخافون لومة لائم . يقومون بالفرائض ويتسابقون في التطوع إلى أن يستغرقوا بأحاسيسهم ، فلا يسمعون مكروها أو محرماً ولا ينظرون إليه ولا يمشون في طريقه . لا تغريهم الدنيا يلجأون إلى الله فيجبرهم (إن الله تعالى قال : من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه . وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ورجله التي يمشي عليها . وإذا سألني أعطيته . وإن استعاذني لأعيذنه) خ ٢٠ (الاستئذان) ص ١٤٥

٢ - وتلك المنزلة العالية والهمة السامية - قد وجدت فيمن سبقنا من الأمم . ولا حرج على فضله أن يهب هذه الهمة لأناس من خير أمة أخرجت للناس ، وفي مقدمتهم من تعلموا من النبي مشافهة ، وسطعت عليهم أنواره (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر) خ ٢٠ (فضائل الصحابة) ص ٥٨

٣ - ولقد نضح على قلبه مراد الله في غير موضع من القرآن . قال عمر (وافقت ربي في ثلاث : آية الحجاب ، ومقام إبراهيم ، وعسى ربه . . .) (الآية) خ ١٠ (الصلاة) ص ٤١

وآية الحجاب نزلت عندما قال للنبي : أنه يدخل عليك البار والفاجر فلو أمرت نساءك أن يحتجبن . فنزلت (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

ومقام إبراهيم عندما أشار بالصلاة فيه . فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) .

وعسى ربه . . . قالها تهديداً لبعض زوجات النبي اللاتي أغضبن
رسوله .

٤ - والأولاياء يعملون ويجاهدون ، ولا يستريحون على حساب الناس .
يعمل الناس ولا يعملون . ومع ذلك يلقبون (كان النبي سهراً فقال : ليت
رجلا من أصحابي صالحاً يحرسنا الليلة إذا سمعنا صوت سلاح فقام سعد بن
أبي وقاص بالحراسة) خ > ٢ (الحور) ص ١٩

وقصته وغيره من كرمهم الله وفيها كرامات الأولياء سأوردها في باب
القصص .

ومن الناس أديعاء يعبدون المال وييغون الجاه ، لا ترى لهم عملاً ينتفع
به . وعودوا أنفسهم الكسل وزهدوا في العلم ، ومع ذلك يسميهم بعض
الناس أولياء (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة - إن أعطى رضى
. وإن لم يعط سخط . تعس وانتكس . وإذا شيك فلا انتقش ^(١)) . طوبى لعبد
أخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماء ، إن كان في الحراسة
كان في الحراسة . وإن كان في الساقة كان في الساقة . إن استأذن لم يؤذن له
وإن شفع لم يشفع) خ > ٢ (الحور) ص ١٩

٦ - ومن أراد أن يتعرف على نماذج صالحة من المؤمنين الأولياء فليرجع
إلى تاريخ الصحابة ليعرف مدى أعمالهم (لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة
أبو عبيدة) خ > ٢ (فضائل الصحابة) ص ٦٠

(١) لم يستخرج له ماشيك به ، ولم ينتبه إلى ما ينبه الفطن .

٧- وها هو علي بن أبي طالب يقول له النبي (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه ليس نبي بعدي)^(١)

٨- وقد حدد الشارع مظاهراً من مظاهر الولاية ، وبين منزلاتهم العظيمة عند الله (يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن الله عز وجل عبداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغطهم النبيون والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله . فقال أعرابي : لانتعهم لنا ؟ قال النبي : هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا . يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها . فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً ، يفرع الناس ولا يفزعون . وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

٩- وهم يتقلبون في البلاء ويصبرون عليه . أحسنوا عبادة ربهم وقنعوا بالكفاف . لا يعرفهم الناس - ليس لهم خرافات تردد عنهم (إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ^(٢) ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه ، وأطاعه في السر ، وكان غامضاً في الناس ، لا يشار إليه بالأصابع . وكان رزقه كفافاً فصبر على ذلك . ثم تقر بيده فقال : عجلت منيته . قلت بواكيه . قل ترائه) .

(١) خ ح ٢ (غزوة تبوك) ص ٩٢

(٢) خفيف الظهور -

(الموضوع السابع)

العلم

١ - إن كل علم لا يعمل به صاحبه هو حجة عليه عند الله . ولا بد من أن يكون كل قول مصحوبا بعمل (يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك - ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية) (١)

٢ - ولقد دعا الإسلام إلى العلم ، وأكرم طلابه ، وشاد بمطلبهم . (الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب) .

٣ - وقد قارن الإسلام بين العابد على علم والمتعبد بجهل ، فأظهر فروقا بعيدة بينهما لا يكادان يجتمعان . فإذا أضاف العالم العامل بعلمه تعليمه للناس فقد اكتسب ربحا لا يكاد يحصل عليه بعمل آخر (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم . ثم قال : إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ، ليصلون على معلم الناس الخير) .

٤ - وقد ورث العلماء تركة الأنبياء ، فانهم ما تركوا لأعمهم مالا أوجاها ، ولكن تركوا لهم معارف يحملها ويحافظ عليها علماءهم الذين شرفهم الله ، واستأمنهم على ما استأمن عليه أصفياه ومرسله (العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، إنما ورثوا العلم - فمن أخذه أخذ بحظ وافر) .

٦ - ولقد أخذ الله على العلماء الميثاق ، وأوجب عليهم تبليغه وتبيينه ، ووجه الناس إليهم يسألونهم عن حكم يجهلون . وإذا كان قد بشرهم فإنه كذلك

توعدهم إن هم كنتموا شيئاً يعلمونه (من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار)

٦ - ومن العلم ما يجب أن يبذل للناس كالماء والهواء - وهو ما يحتاج إليه العبد لتصحيح دينه . وحينئذ يجب على العالم أن يبذله الله ، وأن يكون تعلمه له من أجل الله لا من أجل الدنيا . فإن اتجهت نية العبد إلى طلب الدنيا عن طريق تعلم علم يحتاج إليه الناس في دينهم ، فقد خسر ديناه وآخرته (من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف^(١) الجنة يوم القيامة) .

٧ - ومن حكمته أنه لا يمحو العلم من أذهان الناس ، ولكن إذا أراد بقوم سوء فانه ينتقص من علمائهم بأن يتوفاهم . وتحدث للناس أفضيات لا يجدون من يسألونه ، وعندئذ يلجأ الناس إلى الأدعياء فيسألونهم فيفتونهم بغير علم ، فيقع المفتي والمستفتي في ضلال وحيرة . والويل لمن أفتى الناس بغير علم (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا) خ ١٠ (العلم) ص ١٨ .

٨ - ومن العلم ما يحرم تعلمه - كالسحر إلا لعالم عاقل يتعلمه ليحذر الناس من شروره وليميز بينه وبين المعجزة كما قيل .

وللسحر حقيقة كما قال أهل السنة ، وليس بخيال كما زعم الزاعمون الذين حكموا العقل في مسائل لا يعرفون كنهها . ومن الأولى أن نحمل النصوص على ظاهرها كي لا تصطدم بالواقع على أننا نعتقد أن الله هو النافع الضار ،

لكن يهيمىء الأسباب . وهامم الصحابة يسألون عن السحرة فيقول لهم النبى :
(ليسوا بشيء . فقالوا : يا رسول الله انهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون
حقا . فقال : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرها فى أذن وليه ، فيخلطون
معهها مائة كذبة)

(٩) ومن أصدق حسا وأبعد عن الخرافات من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم ؟ ومن أعلم بالحقائق منه ؟ لم يعترض على أصحابه أن يقولوا
كلاما دقيقا . لأنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا . فهل أنكر عليهم أنه
حق ؟ أو أنه بين لهم كيف يحصل السحرة على ذلك الحق ويكذبون من عند
أنفسهم ، شأن كل انسان كذاب لانجد له فى كل مائة كلمة كلمة صدق . وليس
علم السحر مما يمت بصلة إلى علم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى
من رسول . وما أبعد السحرة عن الرسل ، فإن بينهما حواجز كثيفة وفوارق
بعيدة . فالرسل يتلقون عن الله ، والسحرة يتلقون عن الشياطين — وهى
لا تنزل إلا على كل أفك أثم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . فالشياطين
كذبة ، وأولياؤهم من الإنس أكذب منهم (إن الملائكة تنزل من العنان وهو
السحاب ، فتذكر الأمر قضى فى السماء فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحى به
الى الكاهن فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم) (١)

(١٠) وقد يتعلم البعض من سير النجوم علما — هو شعبة من السحر (من
اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد)

(١١) أما التشاؤم الذى قد يعتاد عليه بعض الناس من غير أن يتحرر
من سلطانه — فالمطلوب من ذلك المتشائم ألا يمنعه تشاؤمه عن خير ولا يصدده
عن عمل . وإلا فقد رجع بنفسه إلى الجاهلية التى أنقذنا الله من شرورها ،
وإلى الشرك الذى نقى الإسلام أبناءه من جراثيمه .

وأما علم الفلك - فعلم قيم احتوى من دقائق البحث ما يجعلنا نقطع بأن مصدره السماء (ومننا رجال يتطيرون ؟ قال : ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم . ومنار رجال يخطون ؟ قال : كان نبي من الأنبياء ، يخط فن وافق خطه فذاك)

١٢ - لكن من الناس من يبالغ ويغالى ، فيضيف إلى الحق زورا وإلى الصدق بهتاناً ، فإن صدقت عنده نظرية اندفع لتقديس قائلها ، ونسى دينه فأمن بعلمه المحدود وكفر بربه (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : قال أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر بى فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب) خ ١ (العلم) ص ١٩ ، ٢٠ .

١٣ - وعلى الإنسان أن يتشرب من روح العلم النافع - فيهذب نفسه وأن يترفع بها عن الجدل والفسفسطة ، وأن يتواضع ، يبتغى الحق ويدعن له (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا تماروا به السفهاء ، ولا تخيروا به المجالس - فمن فعل ذلك فالنار النار) .

١٤ - وأخطر شيء على الجماعة الإنسانية عالم لا ضمير معه ، سايط اللسان قوى البرهان ، يخدع الناس بدهائه (إن أخوف ما أخاف عليكم بعدى منافق عليم اللسان) .

١٥ - وقد حض الإسلام على تعلم العلم - ومنه ما يكون تعلمه فرض عين وهو ما يحتاج إليه كل إنسان . ومنها ما هو فرض كفاية وهو ما تحتاج إليه الجماعة . وتعلم العلم بفرعيه خير من صلاة يؤديها صاحبها بغير علم (لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة ، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلى ألف ركعة) .

١٦ - وكم كان الشيطان يلعب بجهالة العباد ويفسد عليهم عبادتهم، ولا ينجو من حباله إلا فقيه حاد البصيرة (فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد)

١٧ - وخير ما يحزنه الإنسان من دنياه هو العلم - الذى يهديه للحق أو يرده عن الباطل - ولن يستقيم دين العبد حتى يكون دينه بعلم وتعقل (ما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يرده عن ردا ، وما استقام دينه حتى يستقيم عقله) .

١٨ - والإيمان يحمل على البحث ويدفع المؤمن أن ينشد الحكمة أنى وجدها - فهي بغيته وهو أحق من غيره . ومن الإهانة له أن يكون غيره أغزر علما منه (الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها)

١٩ - وسبيل الله كل طريق يلتمس فيها الخير . وطريق العلم هو من سبل الله (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) .

٢٠ - وإذا كانت الأمم الحديثة تتباهى بمحو الأمية منها ، فإن الإسلام سبق إلى تقرير هذا المبدأ ، بل وذهب أبعد من هذا فقصر الأجر على العالم والمتعلم فقط (العالم والمتعلم شريكان في الخير ، ولا خير في سائر الناس) .

٢١ - وقد أوجب على كل إنسان أن يقول بما يعلمه إن سئل . فان لم يكن يعلم فعليه أن يحيل السائل على من يعلم ، أو يقول له لا أدري وفوق كل ذى علم عليم . ولم تستح الملائكة أن تقول لا علم لنا إلا ما علمتنا (من علم شيئا فليقل به . ومن لم يعلم فليقل الله أعلم) (تفسير القرآن) ص ١٠٩ عن ابن مسعود .

٢٢ - وعلى العالم البيان للناس والعمل انفسه . فان لم يكن يعمل لسكرته يبين فقد حمل من الشر نصفه ، وكان كالشمعة تضيء للناس وتحرق نفسها .

٢٣ - وقد يكون للقليل من العلم ثمار طيبة ، وهو أفضل من علم كثير يصحب صاحبه غرور (وكفى بالمرء علما إذا عبد الله عز وجل . وكفى بالمرء جهلا إذا أعجب برأيه) .

٢٤ - ومن الناس من يسأل ليتعلم . وعلى العالم أن يجيبه ، والا كان ظالما . ومن الناس من يسأل للتعمت ، وعلى العالم أن يرشده للفائدة (لا تمنعوا العلم أهله ، فإن في ذلك فساد دينكم والتباس بصائرهم . ثم قرأ إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وينوا)

٢٥ - وبذل العلم من العالم يزيد في علمه ، وهو صدقة منه على من علمه . وكذا الناصح الأمين تعد نصيحته صدقة على من أرشده (تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأى يسدده) .

٢٦ - وتعلم العلم وتعليمه للناس فيه أجر غير ممنون ، فيه غفران الذنب ورفع الدرجات (تعلموا العلم وعلّموا فإن أجر العالم والمتعلم سواء . قيل : وما أجرهما ؟ قال : مائة مغفرة ، ومائة درجة في الجنة) .

٢٧ - وعلى المعلم أن يكون بصيرا بالناس ، فلا يعلمهم معضلات العلم قبل البدهى منه (اذهب فاحكم ما هنالك ، ثم تعال أعلمك من غرائب العلم)

٢٨ - وقال عيسى عليه السلام (لا تضع الحكمة في غير أهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم . كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء) .

٢٩ - وعلى المتكلم في القرآن والسنة أن يبحث عن المأثور الصحيح قبل أن يبدي رأيه . فإن وجد لله بيانا فيها ونعمت ، وإن لم يجد بحث عن بيان لرسوله صلى الله عليه وسلم - فهو أعلم الناس بمراد الله اذ عليه نزل . فإن لم

يجد بياناً لرسوله بحث عن أقوال الصحابة فرأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا .
فان لم يجد اجتهد رأييه . فان قدم الرأى على النص فذلك هو الطوى (من فسر
القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار) .

٣٠ - وكل عمل يجب أن يكون لله . فاذا كان التعلم والتعليم لله فله تلك
البشارة (تعلموا العلم فإن تعلمه لله حسنة ، ودراسته تسييح ، والبحث عنه
جهاد ، وطلبه عبادة ، وتعليمه صدقة ، وبذله لأهله قربى) .

٣١ - وعلى العالم أن يواصل دراسته ، فحياة العلم مذاكرته . والدراسة
غذاء عقلى ممتع ، ولا يصح الإقناع بشهادة . فان ظن أنه أصبح عالماً لحصوله
عليها فذلك الجمل بعينه (لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم . فاذا ظن أنه قد
علم فقد جهل) .

٣٢ - وعلى العالم أن يكون مثلاً صالحاً لأبنائه - فينشئهم ويعلمهم في
مرونة ، واضعاً نصب عينيه أنهم سيواجهون زماناً غير الزمان الذى عاش
فيه (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٣٣ - ويجب على العالم أن يرجع فيما يقول الى مصادر موثوق بها . فان
لم يعتمد على مصادر صحيحة كان ضرره أقرب من نفعه . وعليه أن يكون
يقظاً - لا يصدق كذبا ولا يكذب صدقا . فان شك ولا يمكنه الترجيح فعليه
أن يتوقف . وموقفنا من أقوال أهل الكتاب كما يبين لنا (لا تصدقوا أهل
الكتاب ولا تكذبوهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم) خ ح ٢
(تفسير القرآن) ص ٩٩ .

٣٤ - ويؤسفنى أن يتضارب العلماء فى أقوالهم ، فى حين أنهم لو رجعوا
الى النص ربما لم يختلفوا . لكن منهم من يحكم عقله دون أن يتعب نفسه
فيرجع الى النصوص وأقوال العلماء . ومن الناس من يخلط بين استخدام

الجن وإلهامات الصالحين الملتزمين بالشرع . ونحن نقول في ثقة إن تحضير الأرواح فكرة لا أصل لها في الإسلام ، وأن إلهام الصالحين أمر ممكن . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . ليس على الصورة التي يروجها الغوغاء فلاصفياء سر مع ربهم - لا يزيدون ولا يحاولون أن يطلع عليه الناس .

أما استخدام الجن فنحن لا نشكره (إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها ، خضعنا لقولك كالسلسلة على صفوان ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسترها الشياطين وهم فوق بعض . فربما أدركه الشهاب فيحرقه ، وربما لم يدركه ، فتصل الكاهن ويكذب معها مائة كذبة) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٥

الموضوع الثامن

(الأسرة)

١ - هي تلك المجموعة الصغيرة المكونة من الزوجين والأولاد . وقد أوجب الإسلام على رب الأسرة كل ما تحتاج إليه حسب طاقته وحذره أن يضيع من يعولهم (كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت) .

٢ - وقد يرزق الله الأسرة بأنث ربما لم ينشرح لهن صدر الزوجين وذلك جهل ونزعة جاهلية حكاهما القرآن . د وإذا بشر أحدهم بالأنثي ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به - أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون . وقد جاءت السنة فأمرت بالإحسان إليهن (من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن ، كن له ستراً من النار)

خ ١ (الزكاة) ص ٩٧

٣ - وقد يشاء الله أن يموت رب الأسرة ، وتحتاج لمن يأخذ بيدها في الحياة ويقدم لها المساعدات . وهنا تظهر المرموات من ذوى الضمائر الحية والأخلاق الطيبة . وترغب السنة في الإحسان إلى كل محتاج ، وترفع الساعى على الأرملة والمساكين إلى درجة المجاهدين ، والذين لم تنقطع طاعتهم لله بأفضل العبادات . (الساعى على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله ، وأحسبه قال وكالقائم الذى لا يفتر ، وكالصائم الذى لا يفطر)^(١)

٤ - ولقد أوصى الإسلام الرجل أن يحسن اختياره لشريكه حياته ، فيها راحتها أو منها تنشأ متاعبه . وأساس الاختيار هو الصلاح فى الدين والدنيا معا (الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)

٥ - ومن الخير للإنسان أن يجتهد فى رفع مستواه الاقتصادى ، وأن يعطى ولا يأخذ ، وأن يوفر حياة كريمة لمن يعولهم ، وألا ينسى حق الفقراء وذوى الحاجات (اليد العليا خير من اليد السفلى ، وأبدأ بمن تعول . وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى . ومن يستعفف يعفه الله ، ومن يستغن يغنه الله)
خ ١٠ (الزكاة) ص ٩٨

٦ - وقد راعى حق الأولاد ، حتى إنه ليرفض أن يوصى الإنسان بكل ماله وله ذرية من بعده . وإذا كانت الوصية واجبة أو مندوبة للفقراء والأقربين غير الوارثين وهى من أعظم القرب ، فلا بد أن يحسب الموصى لأولاده حساباً . ولما جاء سعد بن أبى وقاص يوصى بماله كله قال له الثلث والثلث كثير (إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى

امرأتك . قال : فقلت أخلف يا رسول الله بعد أصحابي ؟ قال : إنا لن نخلف فتعمل عملاً إلا ازددت به درجة ورفعة . ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم . ولكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة (بخ - ١) (الجنائز) ص ٨٨ ، ٨٩

٧ - ويتسائل بعض الناس عن تنظيم النسل ، وعن المرأة تختلف دورتها الشهرية ويظن حملها . فهل يجوز أن تتعاطى من الحقن ما يؤكد لها خلو الرحم من الحمل ؟ والذي نعلمه أن الجنين قبل أربعة أشهر لا روح فيه . فإذا كانت هناك ضرورة قبل الأربعة أشهر فلا تری به بأساً . وإذا كانت بعد الأربعة أشهر فلا يجوز إلا أن تهدد حياة الأم من الوضع . وتعاطى موانع الحمل أو استعمال وسائل الحيلولة بين البويضة والحيوان لا بأس بها . ولنا مقال طويل في هذا المقام نرجو أن نضيفه إن لم يخرجنا عن موضوعنا ، لأنه أكثر صلة بالفقه .

وجاء الحديث يوضح أن الجنين لا روح فيه قبل أربعة أشهر . وأن عمله ورزقه وأجله وحياته — كل ذلك مكتوب ومعلوم عند الله . وعلم الله لا يصلح أن يكون حجة للإنسان ، فإن العلم صفة انكشاف ولا تأثير له — وقد سبق أن بينا أن للإنسان اختياراً (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل ملك فينفخ فيه الروح ويأمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ (م ٦ - نظرات في السنة)

٨ - ويدعو الإسلام إلى الوفاء بالشروط خصوصاً ما كان منها متصلاً بأركان العقد أو شروط صحته أو كماله (إن أحق ما وُفِيت به من الشروط ما استحللتم به الفروج) خ ٢ (الشروط) ص ٧

٩ - ومن المحافظة على حياة الأسرة وتماسك بنائها ألا تهدم . بحجة بمن حلفه رب الأسرة وله كفارة . ومن الخير للعبد أن يكمر عن يمينه ، فإن الله نهى عباده أن يمتنعوا عن البر أو التقوى أو الإصلاح بحجة أنهم حلفوا بالله (لأن يلج أحدكم يمينه في أهله ، آثم له عند الله تعالى من أن يعطى كفارته التي افترض الله عليه) خ ٢ (الأيمان والنذور) ص ١٤٨ ، ١١٩

١٠ - ويجب على المسلم أن يؤدي ما عليه من مهر ، فإنه مسئول عنه عند الله (أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها فمات ولم يؤدي إليها حقها - لقي الله يوم القيامة وهو زان . وأيما رجل استدان ديناً لا يريد أن يؤدي إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله فمات ولم يؤدي إليه دينه - لقي الله وهو سارق) .

١١ - وعلى الإنسان أن يعامل أهله بالإحسان (إذا دخلت على أهلك فسلم ، يكن بركة على أهل بيتك)

١٢ - وللبيوت حرمة يجب أن تصان ، وقد صانها الإسلام بالاستئذان قبل دخولها (الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع)^(١)

١٣ - وعلى المستأذن ألا يمد بصره داخل البيوت فيرى عوراتها (إنما جعل الاستئذان من أجل البصر) خ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢

(١) خ ج ٢ ص ١٤٢

١٤ - وعلى المستأذن أن يذكر اسمه عند السؤال عن من ينادى . وبعض الناس يقول أنا - وهذا مكروه : فقد جاء في بعض الروايات (من هذا ؟ فقلت أنا . فقال : أنا - كأنه كرها)^(١)

١٥ - وعلى المسلم أن يحترم أهله : فلا يغيب عنهم طويلا فإن لهم حقوقا عليه - فإن سافر لمصلحة فعليه أن يعود فور انتهاء مصلحته (السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه - فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله) خ ١٥ (العمرة) ١١٦

١٦ - وإذا سافر المرء وطالت مدة سفره فليخبر أهله بعودته حتى يرى منهم ما يحبه ؛ ولا يفجأهم فرما يراهم في غير استعداد للقاءه فيغضبه ذلك منهم . (إذا أطال أحدكم الغيبة فلا يطرقن أهله ليلا) خ ١٥ (العمرة) ص ١١٦

١٧ - وعلى المرأة أن تراعى مشاعر زوجها ، فلا تجلس بمفردها مع رجل محتجة أن الثقة بها أمر ضروري وواجب على الرجل ، فإن المسألة ليست مجرد ألفاظ رنانة . فإذا دعا الاسلام إلى أخذ الحيلة صيانة للعرض وحماية للمرأة ، فهو لم ينقصها حقها بل يزيد في تكريمها (لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم . فقال له رجل : يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا قال : انطلق فحج مع امرأتك)^(٢)

١٨ - وقد راعى الإسلام شعور الزوج إلى أبعد الحدود ، إلى حد أنه

(١) خ ٢٥ (الأحكام) ص ١٥٦

(٢) خ ٢٥ (الحور العين) ص ٢٣

قد يمنع الزوجة من طاعة مندوبة ما لم يأذن الزوج بها كي لا يتطلع لغيرها
لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه (خ ج ٢) (النكاح)
ص ١٢٢

١٩ - وعلى المسلم أن يعدل بين أولاده ولو في القبلية ، وكم رأينا عقداً
تكونت من سوء تصرف آباء وأمهات لا يزنون بميزان العدل بين أبنائهم
(إني نخلت ابني هذا غلاماً . فقال له النبي : أكل ولدك نخلت مثل هذا ؟
فقال : لا ، قال النبي : ارجع) وفي رواية (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم) وفي
رواية (أشهد عليه غيري - لا أشهد على جور . ثم قال للسائل : أيسرك أن
يكونوا في البر سواء ؟ قال نعم . قال : فلا إذن) (خ ج ١) (الهبه) ص ١٥٤
ينكر النبي على بشير والد النعمان أن يخصه بشيء دون اخوته .

٢٠ - وعلى الزوجة أن تراعى حق الزوج وسمعة نفسها ولو بعد وفاة
الزوج (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت
فوق ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً) (خ ج ١) (الجنائز)
ص ٨٧

٢١ - وخير ما ينفقه الإنسان من المال ما أنفقه في حاجة أولاده
الضرورية لهم (دينار أنفقته في سبيل الله ، ودينار أنفقته في رقبة ، ودينار
تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك - أعظمها أجراً الذي
أنفقته على أهلك)

٢٢ - ومن فضل الله أنه اعتبر الاتفاق على الأهل ابتغاء وجه الله وقياماً
بالواجب يعد ذلك من الصدقات (إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو
يحتسبها كانت له صدقة) (١)

٢٣ - وأنه قد تواجه الإنسان مشاكل اقتصادية يحاول معها ، ولكي يتغلب عليها أن يتنوع عن الإنجاب . وليس هذا التصرف تدخلا من العبد في قضاء الله - فكل شيء بقضائه . ونحن نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وفي الحديث : (كذبت يهود لو أراد الله أن يخلقه ما استطاع العبد أن يصرفه)

٢٤ - فإذا اتخذ الإنسان العزل وسيلة لمنع الحمل ، فلا بد من رضا المرأة به . وإذا عزل الإنسان بدون مبرر بأن كان موسرا فذلك لا يجوز له - ولعله ورد في هذا المعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : (العزل ذلك الوأد الخفي) .

٢٥ - ولا مانع من أن يستعمل الإنسان وسائل جربت من غير إحداث ضرر (لقد هممت أن أنهي عن الغيلة^(١) ، فنظرت إلى فارس والروم فإذا هم يغيلون ولا يضر أولادهم ذلك شيء) .

٢٦ - وقد يحدث الضرر من عامل وراثي . فعلى كل من يرغب في الزواج أن يبحث عن المرأة الصالحة الصحيحة (تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس) .

٢٧ - ويختلف الناس في مقاييسهم للمرأة الصالحة . فمنهم من يشد الجاه أو المال أو الجمال أو أي شيء من زينة الدنيا ، صارفا نظره عن شيء أهم من كل هذا (خير النساء امرأة إن نظرت إليها سرتك ، وإن أمرتها أطاعتك ، وإن غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها) .

٢٨ - والمندفعون وراء اللذة فقط يقعون في أزمات يصعب التخلص منها وكم طالعنا الواقع أن الميزة التي دفعت الرجل إلى الزواج من المرأة ليستمتع بتلك الميزة - كانت هي السبب في تحول جنة كان يستغيا إلى جحيم يحاول الفرار منه (لاتزوجوا النساء لحسنهن - فعسى حسنهن أن يردبن .

(١) إتيان الأم وهي ترضع ، أو حملها وهي ترضع .

ولا تزوجوهن لأموالهن ففسى أموالهن أن تطلعن ، ولسكن تزوجوهن على الدين . ولأمة سوداء ذات دين أفضل)

٢٩ - ونرى اتجاهات للناس مختلفة لها صلة بالزواج . فبعض البيئات الريفية تصر على ألا يرى الخاطب مخطوبته . وفي المدن تغالى فتترك الحبل على الغارب للخاطب والمخطوبة كأنهما زوجان ، فتحدث أزومات من كلا التقليدين . وخير الأمور الوسط (أنظر إليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما)

٣٠ - والأخلاق التي ينشدها المحافظون في بحثهم عن الزواج هي ما تمثلت صورها في مقررات الاسلام وفيها الخير كله . (من نكح امرأة لما لها وجمالها حرم ما لها وجمالها . ومن نكحها لدينها رزقه الله ما لها وجمالها)

٣١ - وقد يتوقف بعض الناس في هضم وتقبل هذه النتائج العكسية . كيف يتزوجها للمال والجمال فتكون النتيجة حرمانه منهما ؟ ونحن نستشهد على هذا أولا : بخبر الصادق صلى الله عليه وسلم . وثانيا : بالواقع الذي يكشف لنا كل يوم عن هذه النتائج . وثالثا فالدراسة لنفسية المرأة تكشف لنا عما فيها من كبرياء وغرور حين ترى اندفاعا نحوها أو إلى ما في يدها (من تزوج امرأة لعزها لم يزد الله إلا ذلا . ومن تزوجها لما لها لم يزد الله إلا فقرا . ومن تزوجها لحسبها لم يزد الله إلا دناءة . ومن تزوج امرأة لم يردبها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه)

٣٢ - ويجب ألا تكون المادة عقبة في طريق اتمام الزواج ، فقد نهينا عن التكلف في حياتنا . والتساهل في الزواج بالذات من أهم العوامل لاستقرار الحياة الزوجية وقيام المودة بينهما (أعظم النساء بركة أيسرهن صداقا)

٣٣ - والمقياس الصحيح للرجل أن يكون ذا خلق ودين - إن أحبها أحسن إليها ، وأن أبغضها لم يظلمها . (إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)

٣٤ - والإحسان الى المرأة بما أكد النبي الوصية به (اتقوا الله في الضعيفين : المملوك والمرأة)

٣٥ - ومن الناس من يتزوج ثم يعيش في مكان وأسرته في مكان من غير ضرورة - وهذا خطأ . والواجب الرعاية الفعالية (الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم)

٣٦ - والبيت هو المدرسة الأولى ، فيه يتعلم الطفل وفيه يتلقى أسلوبا خاصا لحياته . ومن هنا تقع مسئولية تنشئته على الوالدين (كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه) (البخاري)
ص ٩٢ بالمعنى .

٣٧ - وتلعب المرأة دورا خطيرا في حياة الرجل ، وإذا كانوا يقولون إن وراء كل عظيم امرأة .. فعليهم أن يتدبروا ذلك الأثر كذلك (ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء)^(١) .

٣٨ - وأول شيء يجب على الزوجين نحو الأولاد بعد قيامهما بالحاجات الأولية للحياة - أن يقوموا بغرس المبادئ الصالحة في نفوس الأولاد - ومن أهمها تعودهم على الصلاة من الصغر لتتبع فيهم الشعور بالمسئولية والنظافة والنظام والمحافظة على الوعود وغير ذلك من الفضائل (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع) .

(١) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٩ .

٣٩ - وإذا عرف الطفل ربه عن طريق سهل، وقربناه إلى ذهنه بصورة محسوسة هي أن كل ما يرضى أبويه يرضى ربه عنه . فإن الطفل سوف يعرف ربه عن هذا الطريق ولا يعصى والديه صغيرا كان أو كبيرا (رضا الله في رضا الوالد ، وسخط الله في سخط الوالد) .

٤٠ . ومن عوامل التنشئة الصالحة أن يشرك الوالد أولاده معه في بعض المسائل التي تدركها أذهانهم ، فيحسوا بمسئولية الوالد نحوهم وكيف يتعب في الحياة من أجلهم ، فإذا شربوا كانوا على وعي وعرفان للجميل الذي قدم لهم ، فلم يحدوا نعمة أبيهم عليهم . كما روى أن ولدا جاء يشكو والده للنبي قائلا : إن أبي يأخذ من مالي . فاستدعى أباه فقال : كنت غنيا وهو فقير وقويا وهو ضعيف - وقد تبدلت الأحوال وأصبحت فقيرا وهو غني وضعيفا وهو قوي - أفلا آخذ من ماله ؟ فبكى النبي وقال : (ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى - أنت ومالك لأبيك) .

٤١ - ومن حقوق الأبناء على الآباء أن يعلموهم (علموا أولادكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم) .

٤٢ - وعلى الرجل أن يدرس نفسية المرأة فيخاطبها على قدر ادراكها ، ويعلم أن عاطفتها قد تنسبها ما قدم لها من معروف فتذكره زمنا يسيرا - ثم تعود فتذكره (لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأته منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط) خ ج ١ الكسوف ص ٧٨ .

٤٣ - وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله وكل راغب في الزواج أن يعد العدة له من القدرة على الانفاق ، فإن لم يستطع الإنفاق فليسلك سبيل الوقاية التي حددت له من صوم يخفف من سلطان الغريزة الجنسية بالتقليل من الطعام . والمفروض أن هذا لم تسمح له ظروفه أن يعيش في سعة (من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج . ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢

٤٤ - وللقدره على الانفاق دخل كبير فى استقرار الحياة الزوجية ،
فلمرأة مطالب قد تتعب الرجل كما أتعبت النبى صلى الله عليه وسلم . وىروى
أنه : (آلى من نسائه شهرا)^(١) أى حلف لا يقربهن لما طلبن منه من يدا من
الحياة الدنيا وليس عنده .

٤٥ - وللمرأة أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها بالمعروف - رضى
أو لم يرض ، علم أو لم يعلم (جاءت هند إلى النبى فقالت : إن أبا سفيان رجل
شحيح فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : خذى أنت وبنوك ما يكفيك
بالمعروف)^(٢) .

٤٦ - وفى رأينا أن للمرأة أن تشتط على خاطبها ألا يتزوج عليها ومن
واجبه الوفاء بهذا الشرط ، وان كان بعض الفقهاء لا يلزم أن يوفى بهذا
الشرط . وسندنا فى ذلك ماروى : (خطب على بن أبى طالب بنت أبى جهل
فأنت فاطمة بنت النبى وقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك . فقال
النبى صلى الله عليه وسلم : أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثنى وصدقنى ،
وإن فاطمة بضعة منى وإنى أكره أن يسوءها . والله لا تجتمع بنت رسول الله
وبنت عدو الله عند رجل واحد . فترك على الخطبة)^(٣) وللقصه تأويلات
نميل إلى ما اخترناه من أن الظاهر انه كان قد اشترط عليه الا يتزوج عليها ،
كما اشترط على أبى العاص حين تزوج بزینب . هذا إذا تأكد أن الحديث كان
قبل نزول ولا تنكحوا المشركات والله أعلم .

٤٧ - وإذا اتفق الزوجان على العزل فلا بأس بذلك كما سبق (سألناه
عن العزل فقال : ما عليكم ألا تفعلوا ما من نسمة كائنه الى يوم القيامة الا هى
كائنه) خ ج ٢ (غزوة بنى المصطلق) ص ٧٨ .

١ - خ ج ١ (الصوم) ص ١٢٢ ٢ - خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٤

٣ - خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩

٤٨ - والإيقطاع عن الزواج والتفرغ للعبادة بدعة ردها رسول الله كما ثبت أنه : (رد على عثمان بن مظعون التبتل ولو اذن له لاختصيننا) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٨ .

٤٩ - وللزواج احكام عديدة تتصل بالفقه ، ويكفي ان نشير إلى ما يترتب على الرضاع من تحريم النكاح - فلو رضع الكبير من ام الزوجة فانه لم يكن اخا بهذا الرضاع ، لأنه وقع في غير مدة الرضاع فلا يتعلق به تحريم (انظرن من إخوانك - فانما الرضاة من المجاعة) خ ج ٢ (النكاح) ص ١١٩ ، ١٢٠ .

٥٠ - وإذا تزوج زيد أخت عمرو مقابل أن يتزوج عمرو أخت زيد - فذلك الشغار المنهى عنه : (نهى عن الشغار) خ ج ٢ النكاح ص ١٢٠ .

٥١ - وللبنت الثيب أن تختار زوجها بنفسها لا يرغمها أبوها على الزواج من انسان لا ترضى به (رد النبي نكاح الأب لابنته الثيب)^(١) أى التى زوجها أبوها من غير أن توافق .

٥٢ - وعلى الزوج حين يأتى أهله أن يذكر الله فيقول باسم الله فان ذلك يجنب ما يرزق به من الأولاد - يجنبهم الشيطان . وهذه من الآداب الإسلامية المحمودة (أما لو أن أحدهم يقول حين يأتى أهله باسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، ثم قدر بينهما فى ذلك أو قضى بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا) خ ج ٢ (النكاح) ص ١٢١

٥٣ - فاذا كرهت المرأة زوجها ولم ترض العيش معه ، كان عليها أن تفتدى نفسها فتد على زوجها ما أخذت منه من مهر - وهذا هو المعروف بالخلع ، وأنه لأعدل من الأفكار المتطرفة يمينا ويساراً ، فبعضها يمنع الطلاق

(١) خ ج ٢ النكاح ص ١٢٠ ، ١٢١

وبعضها يبيح للمرأة أن تنفصل عن الرجل متى شامت. ولكن لا يصبح الزواج تجارة في أيدي النساء ، ولا يصبح الطلاق لعبة في أيدي الرجال - شرع الخلع وشرعت النفقات على الرجل المطلق (قالت زوجة ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولادين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام . فقال النبي . أتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم . فقال له : أقبل الحديقة وطلقها تطليقة)
خ ج ٢ (الطلاق) ص ١٢٥

٥٤ — وإذا رأى الزوج من زوجته الفاحشة ولم يكن له شهوداء - فعليه أن يلاعن . يحلف أربعة إيمان أنه لصادق والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان كاذباً . وتحلف المرأة أربعة إيمان إنه لكاذب وفي الخامسة أن غضب الله عليها إن كان صادقاً . فإذا حللوا فرق بينهما القاضي . وهل تحل له بعد أو لا ؟ وهل يتم اللعان بمجرد الحلف أو بتفريق القاضي ؟ وإذا نكلت المرأة فهل تحل أو لا ؟ أقوال عند الفقهاء . ولما لاعن هلال بن أمية زوجته قال النبي للشتلعةين : (حسابكما على الله ، أحكما كاذب لا سبيل لك عليها . قال الزوج مالى . قال له : لا مال لك . ان كنت صدقت عليها فهو بما استحللت من فرجها . وان كنت كذبت عليها فذلك أبعده لك)^(١)

٥٥ — وإذا رزق الله الأسرة بغيلام — فعليهم أن يعقوا عنه بذبح شاة في اليوم السابع . كما روى : (مع الغلام عقيقة — فأهريقوا عنه دماً وأميطوا عنه الأذى) خ ج ٢ (العقيقة) ص ١٢٩

٥٦ — وقد سبق أن للبيوت حرمة يجب أن تصان ويعاقب المعتدى عليها (لو اطلع في بيتك أحد فلم تأذن له فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك من جناح) خ ج ٢ (الديات) ص ١٥٢

(١) خ ج ٢ (الطلاق) ص ١٢٥ ، ١٢٦

٧ :- والطلاق من أبغض الحلال الى الله ، لا يصح للناس أن يتلاعبوا به ، ولا يصح للمرأة أن تطلبه من غير مبرر (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس - فحرام عليها راتحة الجنة)

الموضوع التاسع

(حقوق الأقارب)

(١) لم نعرف دعوة من الدعاوى عرفت للأقربين حقوقهم مثل دعوة الإسلام ، فإنه أوصى بهم خيراً . وشملت دعوته رعاية حق الأقارب على اختلاف جهاتهم . والأقارب في المسكن كحقوق الجار . ومن تأكيده لحقوق الأقارب أن الله يجازى بالإحسان من قام بحقوقهم (إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : نعم - أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت بلى . قال : فذلك ثم قرأ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(٢) ولقد دعينا إلى صلة الرحم في غير موضع . وأن بتلك الصلة يحصل المرء على أحب ما يتمناه في الدنيا (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) خ ج ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٣) وقد يتلى الإنسان بأقارب يقابلون إحسانه بالإساءة فهل ينقطع عنهم ؟ كلا : إنه يجب عليه أن يداوم الصلة وإن قابلوا بالإحسان بالإساءة -

فإنه معه نصير من الله ، ومن عفا وأصلح فأجره على الله (إن لي رحماً
أصلهم ويقطعونني وأحسن إليهم ويسبؤون إلى ، واحلم عنهم ويجهلون على .
فقال : لئن كنت كما قلت فسكانما تسفهم المل (١) ولا يزال معك من الله ظهير
عليهم مادمت على ذلك) .

٤ - وللجار على جاره حقوق . بيد أنهم يتفاضلون في تلك الحقوق
نظراً لأقربهم مسكناً . قالت عائشة : (إن لي جارتين فإلى أيهما أهدى ؟ قال
إلى أقربهما منك باباً) خ ج ١ (الشفعة) ص ١٣٦ .

٦ - ومن الوفاء الذي لم تصل إليه أفكار الإنسانية أن على الابن أن يصل
أحباء أبيه ، وذلك من أبر البر (ان من أبر البر أن ير الرجل أهل ود أبيه
بعد أن يولى) .

٦ - وقد لا يتعرف الناس بعد موت آبائهم على الأصدقاء الذين كانت
بينهم وبين آبائهم علاقات طيبة ، لكن من البر بالآباء أن يحاول الابن معرفة
أصدقاء أبيه ، ليبرهم ويكرمهم فإن ذلك من بر أبيه وعلمته له بعد موته .
وكذا إكرام الأخوات ومن يتلاقون معه من الأقارب فينتهون إلى أبيه أو أمه
(هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم الصلاة عليهما ،
والإستغفار اليهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا
بهما ، وإكرام صديقيهما) .

٧ - والمرأة أحوج إلى العطف والصلة من الرجل ، ولذا فمن الأولى
البدء بها . وكل قريب تقدم الانثى على الرجل - ولذا نرى الوصايا تعتني بالأم

قبل الاب (إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الامهات ، ومنعاً وهات ،
وواد البنات . وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال) خ ج ١
(الحج) ص ١٤٦ .

٨ - ومن العناية بالاقارب أن خصهم بلون من الحقوق كالرزق والقول
المعروف ، وأن الصدقة على الاقارب أفضل . بل قيل أن الصدقة على الاجنبي
لا تجوز مادام في قرابة المتصدق المحتاج (يا أمة محمد والذي بعثني بالحق
لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابه محتاجون الى صلاته ويصرفها الى غيرهم
والذي نفسى بيده لا ينظر الله اليه يوم القيامة) الطبراني .

٩ - ومن الاصول المقررة أن الصدقة على المسكين فيها أجر . أما على
القريب ففيها أجر الصدقة وأجر الصلة معا (الصدقة على المسكين صدقة .
وعلى القريب صدقتان - صدقة وصلة) (١) .

١٠ - وخير الناس أنفعهم للناس أجمعين ، وخير منه من بدأ بأقاربه
فنفهم بحق دون تعصب أو محاباة (خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم) .

١١ - وليس الإهتمام بالاقارب من التعصب في شيء بل هو من المروءة
اذ التعصب تعاون على الظلم كما روى : (العصبية أن تعين قومك على الظلم) .

١٢ - وكان الناس في الجاهلية لا يعدون أبناء البنات أقارب . فجاء
الإسلام وقضى على هذه النزعة وقال النبي صلى الله عليه وسلم : **« إن ابن
أخت القوم منهم »** ، خ ج ٢ « الفرائض » ، ص ١٥٠ .

١٣ - ولقد علمنا أن أولى الناس بهذه الحقوق الوالدان وقد مر الحديث
عنهما . ومر كذلك أن برهما جهاد . كما روى أن رجلاً خرج للجهاد فسأله :
« أحى والدك ؟ » قال : نعم . قال : فقيهما فجاهد ، خ ج ٢ « الحور » ، ص ٢٣ .

١٤ - وإذا اختلف الاقارب مع الانسان في الدين فإن ذلك لا يعنى قطيعه
رحمهم - بل لهم رحم تراعى . ولقد ثبت أن عائشة أمرت ببر أمها المشتركة
اذ ذاك « أم رومان » ، وهذا البر لا يعنى الرضى عن من كفر - فإن الرضى
بالكفر كفر . ولكن صلة الرحم شئ والولاية المنهى عنها شئ آخر ، ان
آل أبى فلان ليسوا بأولياى - إنما ولي الله وصالح المؤمنين . ولكن لهم
رحم أبلاها ببلالها) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩ .

١٥ - وإذا كان الرحم يصلون أنفسهم فنعم ما هم عليه . والواصل على
الحقيقه المستحق للأجر كاملا هو من وصل المسيئين من أقاربه (ليس الواصل
بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعته - حمه وصلها) خ ج ٢ (الأدب)
ص ١٣٩ .

(الموضوع العاشر)

(الرحمة)

١ - الرحمة كمال فى الطبيعة يجعل المرء يرق لآلام الخلق ويسعى لإزالتها
ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم الهدى . هى كمال فى الطبيعة ، لأن تبلد الحس
يهوى بالانسان الى منزلة الحيوان ويسلبه أفضل ما فيه . وهو العاطفة الحية
النابضة بالحب والرأفة ، بل إن الحيوان قد تجيش فيه مشاعر مبهمه تعطفه على
ذرائه ، ومن ثم كانت القسوة ارتكاسا بالفطرة لا إلى منزلة البهائم ، بل الى
منازل الجماد الذى لا يعى ولا يهتز (جعل الله الرحمة مائه جزء فأمسك عنده
تسعة وتسعين وأنزل فى الأرض جزءا واحدا - فمن ذلك الجزء يتراحم
الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه)

٢ - وهى هدية الله الى خلقه يرحم من قبلها ورحم غيره (هذه رحمة جعلها

الله تعالى في قلوب عباده ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء) خ ج ٢ (الأدب)
ص ١٣٩

٣ - وقد اتسعت سماحة الإسلام فأوصى بالرحمة والشفقة حتى على البهائم
المعجمة - (فاركبوها صالحة واكلوها صالحة) .

٤ - وقد ضرب القادر على كل شيء لنا أروع الأمثلة فقال : (إن رحمتي
تغلب غضبي) خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ -

٥ - وكل مارق القلب كان أقرب الى مولاه . وبقدر ما فيه من غلظة
يبتعد الإنسان عن ربه (إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب)

٦ - ولما كانت الرحمة رقة في القلب ، ربطها الشارع بالإيمان الذي هو
والرحمة وعاء وهما القلب . وكان الاسلام دقيقا حين أراد الرحمة بالرحمة العامة
- وليست مجرد عاطفة خاصة يرق بها الانسان نحو صديقه أو ولده . ولسكى
تتلاقى الرحمة مع العدل تراه يريد العموم - فقد يرق الانسان لصديقه
الظالم أو ينعطف نحو المتألم بحق - وتلك رافة وليست الرحمة التي يريد
الشارع ، إذ هي والعدل تتلاقيان وتجتمعان فيمن أقيم عليه القصاص (لن
تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا : كلنا رحيم ، قال : إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه
ولسكنها رحمة العامة)

٧ - وقد ربط الله عز وجل رحمته بالذين يرحمون الناس (من لا يرحم
الناس لا يرحمه الله . ومن لا يغفر لا يغفر له) خ ج ٢ الأدب ص ١٣٩ : ١٤٠ .

٨ - والرحمة فضيلة من مجموع فضائل أوصى بها الإسلام ، وكلما صادفت
الرحمة المستحقين لها كان صاحبها أكثر مشوبة وأعظم أجرا (طوبى لمن
تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسألة ، وأنفق مالا جمعه في غير

معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقة والحكمة)

٩ - وإذا خلا القلب من الرحمة فهو قلب لإنسان شقى (لا تنزع الرحمة إلا من شقى)

١٠ - وقد أشقت الرحمة من الإسم الكريم الرحمن . ووضع الرحمن لاسما لأمس الناس به وأقربهم إليه (الرحم شجنة من الرحمن - من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعته الله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٨ ، ١٣٩

١١ - وقد رأى رجل النبي يقبل ولد ابنته - فقال الرجل : إن لى عشرة أولاد لم أقبل واحدا منهم . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٣٩

١٢ - وقد تدمع العين من الرحمة ويخشع القلب منها حين يصادف الإنسان فى حياته فقدان عزيز لديه . كما روى أن النبي قال عند موت ولده : (إن العين تدمع وإن القلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) (١) .

١٣ - وأولى الناس بالرحمة كل محتاج إليها من الضعفاء واليتامى وذوى الحاجات (لرحم اليتيم ، وامسح رأسه وأطعمه من طعامك ، يلبس قلبك وتدرك حاجتك) .

١٤ - ومن أحوج الناس للرحمة الخدم والأرقاء . وإذا كان تأديبهم مشروعا ، فإنه مشروط ألا يتجاوز الحد المقرر له شرعا وهو لزوم الرحمة ، وقد رأى

(١) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٩ .

(م ٧ نظرات فى السنة)

وسول الله رجلا يضرب غلامه فأنكر عليه وقال له : (إن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام فأعتقه . فقال : لو لم تفعل للفتحك النار)

١٥ - وصاحب الخلق الحسن يعبر عما في قلبه من الرحمة أما أصحاب الخلق الرديء فإنهم يظهرون ما فيهم من قسوة (حسن الملكة نساء وسوء الخلق شؤم) .

١٦ - وكل من يظلم الناس وتفوته الرحمة بهم - فإن الله يقنص منه يوم القيامة (من ضرب سوطا ظلما اقتنص منه يوم القيامة) .

١٧ - وتعاليم الإسلام في الذبح من سن السكين بعيدا عن الذبيحة وإراحتها هو دليل على ما ينطوى عليه من الرحمة . وفي الحديث لمن يذبح الشاة : (إن رحمت الشاة رحمتك الله) .

١٨ - ولقد كانت الرحمة سببا لغفران الله للبغى التي سقت الكلب رحمة به كما سيبيح في باب القصص .

(الموضوع الحادى عشر)

(الصبر)

١ - هو ضبط النفس عندما يواجه الإنسان مثير ، أو تعذيبه عقبة تصدمه وكما عظمت البلية عظم فيها الأجر للصبر عليها (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٢ - وأشق شيء على النفس أن تصدم في إنسان يبادلها حبا ومن جميل مواساة الاسلام لتلك النفس المصابة أن يذكرها بقضاء الله وأن كل شيء مصيره إليه . فليترود بالصبر ولتطلب من الله - أن يعوضها خيرا (إن الله

ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب (خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٨ .

٣ - وقد يصعب على النفس أن تنس ما فقدته وتحتاج إلى عوامل لنسيانها والإسلام يقدم وسائل تعين على النسيان . فالوضوء والصلاة وترداد التناء على الله والصدقة والإصغاء إلى القرآن وما فيه من مواعظ - كل هذا يخفف من وقع البلاء ويقرب إلى الله (العلوم شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ أن أو تملأ ما بين السموات والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك . كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) .

٤ - والمؤمن يتقلب بين البلاء والنعم ، وكله له خير يتقلب بين شطرى الإيمان فيصبر أو يشكر . أما غير المؤمن فلا ينعم بنعمة ولا يؤجر على بلاء - لأنه يعيش بين الكفران أو الجزع (عجا لأمر المؤمن - إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له)

٥ - وعلى المرء أن يجاهد نفسه ولو تكلف تلك المجاهدة ليقوى على حمل ما ابتلى به ، وعندئذ سوف يجد الله من وراءه يعينه ويخفف عنه ويسخ عليه من النعم ما ينسيه بليته . ومن الناس من يربط الله على قلوبهم فلا يفقهون . وهذا من أعظم ما نراه كرامة من الله لأوليائه (ومن يتصبر يصبره الله ، وما أعطى أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر) خ ج ١ (الزكاة) ص ١٠٢

٦ - ولقد وامس الله بعض المصابين وعوضهم الجنة بدلا عما أفقدوه . وهم في أمس الحاجة إليه (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ^(١) فصبر عوضته منهما الجنة) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٢٣ .

٧ - ويحزن المؤمن على فقدانه صديقا حميما يجمع الله قلوبهما عليه ، فإذا صبر واحتسبه عند الله كانت له الجنة (مالعبدى المؤمن عندى جزاء إذا قبضت صديقه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة) خ ح ٢ (الاستبذان) ص ١٤٣ .

٨ - وقد يتساءل الإنسان لماذا لم يعصم الله المؤمنين من البلاء والابتلاء ؟ والقول الفصل أن الإيمان ليس مجرد كلمات تردد ، ولكن فوق هذا هو مسئولية الفرد عن حياته ولا تخلو من هفوات وزلات يحتاج لما يكفرها عنه (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا عم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها عن خطاياها) خ ح ٢ (المرضى) ص ١٣٣ .

٩ - وقد يمرض الإنسان مرضا يستعصى أو يطول علاجه ، يفضل الإنسان أن يموت ليستريح من عناء التعب . ولما كان الإنسان لا يدري هل يستريح بعد الموت أو لا يستريح - طالبه الإسلام أن يصبر وأن يفوض الأمر لله الشافي من كل الأسقام . وإذا كان لا بد أن يقول شيئا ينفس به عن آلامه فليطلب من الله الخير (لا يتمنين أحدكم الموت لضر أصابه فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرا لى ، وتوفنى إذا كانت الوفاة خيرا لى) خ ح ٢ (المرضى) ص ١٣٤ .

١٠ - وتقويض الأمر لله والصبر على ما قضى به والرضى بقدره ثم التوجه إلى الله بالدعاء - فإن هذا كله مما يرفع النعمة ويستبدل بها نعمة تخلفها (ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون . اللهم أجرني في مصيبتى وأخلف لى خيرا منها إلا أجره الله تعالى فى مصيبته وأخلف له خيرا منها)

١١ - وإذا أصيب المرء فى ثمرة فؤاده وفلذة كبده فصبر على ذلك ، كان ذلك الصبر المحمود محور حديث من الله للملائكة - يباهى بذلك العبد الصبور

الذى عرف أن الله ما أخذ فحمده واسترجع . وكان جزاؤه أن يشيد الله له قصرا في الجنة يكتب عليه ما قابل الصدمة به من كلمات الحمد (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته : قبضتم ولد عبدى ؟ فيقولون : نعم . فيقول : قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون : نعم . فيقول : فإذا قال عبدى ؟ فيقولون . حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : لابنوا لعبدى بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد)

١٢ - ومن الطبيعى أن تدمع العين ويأسى القلب لهذه البلية ولغيرها من البلايا المحزنة . ومن رحمته بعباده أنه لا يعذبهم على هذا . ولكن يعذبهم بما ينطقون به وهم في وعيهم (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا أو يرحم . ويشير إلى لسانه)^(١) .

١٣ - ومن الناس من يصاب في كثير من أولاده ، أو ربما لا يعيش له منهم أحد . وكان أهل الجاهلية يعدون مثل هذا أبرا . فجاء الإسلام وبين بطلان هذا الزعم ، ووعد هؤلاء المصابين بالجنة التى سيدخلها الله هؤلاء الأولاد ويرحم أبويهم معهم (ما من مسلم يموت له ثلاثة لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

١٤ - والمؤمنون أكثر الناس تعرضا للبلاء حتى يطهرهم الله وينقيهم ثم يصطفيهم للبقام في جواره . أما الفاجر فقد ينجو من البلاء استدراجا من الله ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر (ومثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيؤها الريح تصرفها مرة وتعد لها أخرى حتى يأتيه أجله . ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذبة على أصلها لا يصيبه شيء حتى يكون إنجماعه مرة واحدة) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٢

١٥ - وكل بلاء لم يتسبب الإنسان فيه بسوء تديره يضاعف فيه الأجر من الله . وكم سيتمنى أهل العافية في الدين لو أنهم أصيبوا فيها

(١) خ ج ١ (الجنائز) ص ٨٩ ، ٩٠

من أجل الله لينالوا ثواب أهل البلاء (يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت بالمقاريض) .

١٦ - وتساءل لما إذا يتعرض العبد لمثل هذا البلاء الذي يصعب عليه أن يحتمله ؟ والحق أن الإنسان قد لا يدرك بعمله تلك المنزلة التي أعدها الله له فيبتليه فيعمل بالصبر على تطهير نفسه كي يبلغ تلك المنزلة (إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة فلم يبلغها بعمل ابتلاه الله في جسده أو ماله أو في ولده ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله عز وجل)

١٧ - ولقد تعرض أوائل المسلمين للبلاء الشديد والاختبار القاسى حتى أن بعضهم وهو في مكة طلب من الرسول أن يدعو الله للتخفيف عنه . فقال له : (إنه كان من قبلكم فيشط أحدكم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ، ويوضع المنشار على فرق رأس أحدكم فيشقى ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليظهرن الله تعالى هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه) خ ج ٢ (إسلام أبى ذر)

١٨ - ومن الناس من لا يحتملون البلاء ، فيعمدون إلى التخلص منه بالإنتحار وهؤلاء قد ارتكبوا في آخر حياتهم ما عرضهم لسوء العاقبة (كان برجل جراح فقتل نفسه . فقال الله : بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة) خ ج ١ (الجنائز) ص ٩٣

١٩ - وإذا كان البلاء للتطهير ولكل امرئ ذنوب ، فقد صح : (من يرد الله به خيراً يصب منه) خ ج ٢ (المرضى) ص ١٣٣

٢٠ - وقد يكون الصبر على مواصلة الطاعات ، كما قد يكون الصبر على احتمال المكروه . وقد يكون أشق من الأول . وفي هذا المعنى يروى : (إن الصبر على المكروه من حسن اليقين) .

الموضوع الثاني عشر

(الأمانة)

١ - كل موضوع تناولناه أو نتناوله فهو مندرج تحت عموم الأمانة .
فهى لا تقتصر على الودائع ، بل تشمل كل التكاليف . ونكتفى هنا بإشارة إليها . فمنها السر الذى يكون بين اثنين لا يجب أحدهما أن يطلع عليه سواهما فهو أمانة (إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة)

٢ - وللجالس حرمة يجب صيانتها ، وكل ما يجرى فيها من آراء فهو أمانة لا يصح إفشاؤها (المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس : مجلس سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع مال بغير حق)

٣ - وما يحدث بين الزوجين فهو أمانة . ومن قلة المروءة أن يشيع الرجل شيئاً يمس حياء زوجته . ومن قلة الحياء أن يتحدث امرأة عما يفعله زوجها معها : وأن هذه من العورات التى يجب سترها (لعل رجلاً يقول ما فعل بأهله . ولعل لمرأة تخبر بما فعلت مع زوجها . فأذم القوم سكتوا وجلين . فقلت : أى والله يا رسول الله إنهم ليفعلون وأنهن ليفعلن : قال : فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيهما والناس ينظرون)

٤ - وقد أحاط الإسلام كل ما يجرى بين الزوجين بالسرية التامة ، إذ لا مصلحه فى نشره وهو من الأمانة (إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها) .

٥ - وقد سبق أن الأمانة لا تختص بالودائع كما خصها الفقهاء ، بل هى عامة كما روى : (الصلاة أمانة ، والوضوء أمانة ، والكيل أمانة ، والوزن أمانة - وعد أشياء أخرى) .

الموضوع الثالث عشر

(التوبة)

١ - للتوبة أحكام تتصل بالفقه كشروطها ، وسقوطها للحد ، أو عدم إسقاطها للحد ، ومكاتها في جرائم التعازير مما يخرجنا عن موضوعنا . ولكن نكتفي بكلمة موجزة عنها . فإن الله عز شأنه يحب التوابين ، وتتسع رحمته لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح . والتوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - فؤلائك يتوب الله عليهم . وإن إقلاع العبد عن الذنب وعوده لطاعة ربه هو السبيل الذي ينجيه بن يديه (الله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة) خ ح ٢ (الدعوات)

ص ١٥٧ ، ١٥٨

٢ - دوتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ، ونداء الله للعبد لا ينقطع ، يدعوه للتوبة ليكفر عنه ذنوبه ويدخله جنات تجري من تحتها الأنهار (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ؛ ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)

٣ - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن . والتوبة تصنع العجايب - تبدل السيئات حسنات وكم من الذنوب تمحوها التوبة (يضحك الله سبحانه وتعالى إلى رجليه يقتل أحدهما الآخر - يدخلان الجنة ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيستشهد)

٤ - وفي الإنسان غرائز ، وفي الدنيا مظاهر قد تغرى الإنسان بفعل السوء - لذلك كانت التوبة فرصة ليصحح الإنسان ما أفسده حين تغلبت شهوته على عقله (لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان -

ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب (خ > ٢) (الإستئذان)
ص ١٤٣ .

هـ — د والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولن يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون
أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنتات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ونعم أجر العاملين ، . فتلک الآيات تشترط للنجاة من عذاب الله والفوز
برضوانه ألا يكون مصراً على الذنب ، وأن يعرف أن له رباً يأخذ بالذنوب
ويغفر الذنب — وقد سبق الحديث : (أذنب ذنباً عبداً فقال : اللهم اغفر لي
ذنبى . فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب
ويأخذ بالذنوب . ثم عاد فأذنب فقال : أى رب أغفر لي . فقال تبارك وتعالى
مثل ذلك ثلاثاً ثم قال : قد غفرت لعبدى وليفعل ما يشاء) (خ > ٢
(التوحيد) ص ١٦٣ .

الموضوع الرابع عشر

(الحكم)

١ — الإسلام نظام لا كلام ، وتنظيم لشئون الدنيا وما فيها من صلاة
فردية وجماعية ، وصلة الناس بالناس ، وصلتهم برب الناس وقد دعا في غير
موضع إلى الحكم بالعدل . والذي يتولى شئون الناس ويرعى مصالحهم قد
ارتبط بعهد بينه وبين ربه ، وعهد بينه وبين الناس . فيجب أن يتوافر فيه
الأمانة والكفاءة . إن خير من استأجرت القوى الأمين . والأمانة عنوان
الإيمان ، والقوة من مظاهر السلطان ، ويسمو صاحبها كلما كان وفيّاً بعهده
(لا إيمان لمن لا إيمان له ، ولا دين لمن لا عهد له) .

٢ - ونقض العهد من أخس ما يوصف به الإنسان (اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ، وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة).
٣ - وقد يطلب الإنسان أن يتولى منصباً وهو غير كفء له . وحينئذ يحرم عليه وعلى من يوليه أن يمكنه من ذلك المنصب ولو كان الطالب تقياً ورعاً . فإن مناصب الحكم لها رجالها الذين تمكنهم استعداداتهم أن يحملوا تبعاتها . ويروى أن أباذر قال للنبي يوماً : (ألا تستعملني ؟ فضرب يده على منكبي ثم قال : يا أباذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزى وفدامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) .

٤ - وعلى الوالى العام أن يختار الأكفاء ليقوموا بشئون رعيته ، فإنه مسئول عن توليه لهم . فإذا اختار غير كفء كان خائناً لرعيته ومسئولاً أمام الله (من استعمل رجلاً على عصابة وفيهم من هو أَرْضَى الله منه فقد خان الله ورسوله والمؤمنين) .

٥ - ومن أمر غير كفء بحبابة عاقبه الله بالنار ورفض كل أعماله لأنه يعتدى على غيره بتمكينه ذلك المحسوب وتسليطه على الناس بالباطل (من ولى من أمر المسلمين شيئاً فأمر عليهم أحداً بحبابة فعليه لعنة الله . لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم) .

٦ - وإذا تولى غير الأكفاء وغير الأمانة كان ذلك إنذاراً بالفناء . فإن الفناء لا يحدث فجأة ولكن له مقدمات على الأمة أن تتلأشها (متى تقوم الساعة ؟ فقال : إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة فقال : وكيف أضاعتها ؟ فقال : إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة) خ ١٠ (العلم) ص ١٤ بالمعنى .

٧ - وكل حاكم يحىء يوم القيامة بما قدم ، فإن كان غادراً خائناً جىء به يوم القيامة وقد كتب الله عليه ما ارتكبه من غدر وخيانة حتى يعرفه الناس ويفضحه الله أمام الخلاق (إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم

القيامه يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدرة فلان (خ ٢٠
(الخور) ص ٣٢ .

٨ - وإذا كان الموظف يتقاضى مرتبا فيحرم عليه أن يأخذ ممن لهم
مصلحة عنده شيئا ولا يخفف من مسؤوليته أن يسمى بالهدية فالحقيقة أنه
رشوة وغلول (من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد ذلك
فهو غلول) .

٩ - وإذا قام الموظف بواجبه وأدى ما عليه ولم يتقبل شيئا فوق حقه
فهو مأجور من الله ومحمود من الناس (العامل إذا استعمل فأخذ الحق وأعطى
الحق لم يزل كالجاهد في سبيل الله حتى يرجع إلى بيته) .

١٠ - وكل من تولى أمر أمة فهو مجازى بما قدم . فإذا استعمل معهم الرأفة
فسوف يرحمه الله ، وإن كان غليظا عليهم فسوف ينتقم منه الله ، وقد صح
أن دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم من ولي من أمر أمتي
شيئا فشق عليهم فاشقق عليه . ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به)

١١ - وعلى الحاكم أن يكون صريحا واضحا مع محكوميه ، فهم جنوده
وأنصاره ، وهوبهم قوى إن نشأهم على العزة . وإن أزلهم وغشهم فهوبهم
ضعيف وله النار من بعد ذلك (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم
يموت وهو غاشى لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) خ ٢ (الأحكام)
ص ١٥٦ .

١٢ - وكل مسئول عن رعيته . ومن الخطأ أن تلقى التبعة على الوالى العام
فكل إنسان له حق وعليه واجب ، يرتبط بمدى السلطة الممنوحة له (كلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته - الإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل
راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة

عن رعيته ، والخادم راع في مال سيده ومستول عن رعيته ، وكلكم راع
ومستول عن رعيته (خ ح ١٠ الجمعة) ص ٧٠ .

١٣ - وهذه فكرة عن أنظمة الحكم في أمة من الأمم ، وعن شيء مما
سيحدث لهذه الأمة ، يرسم لهم طريق النجاة من تكالب المتكالبين (كانت
بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ولأنه لا نبي بعدى .
وسيكون بعدى خلفاء فيكثرون . قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال .
أوفوا ببيعة الأول فالأول ثم أعطوهم حقهم ، وأسألوا الله الذي لكم فان
الله سائلهم عما استرعاهم) خ ح ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥ .

١٤ - وإذا كانت مظاهر الديمقراطية تبدو واضحة بمقدار صلة الحاكم
بالمحكومين واندماجه معهم واقترابهم منه - لا تمنعهم حواجز ولا يحيل بينهم
وبينته أبواب - فان الإسلام قد سبق لتقرير هذا المبدأ ودعا الحاكم أن ينزل
لرعيته يتعرف مشاكلهم ويعمل على حلها (من ولاه الله شيئا من أمور
المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم - لاحتجب الله دون حاجته
وخلته وفقره يوم القيامة) .

١٥ - وشر الناس هم المتكبرون على رعيته (إن شر الرعاء الحطمة)^(١)

١٦ - والعلاقة بين الحاكم والمحكوم والشعور المتبادل مقياسان
لليموقراطية - فاذا كان الحب والدعاء الخالي من الرياء هما مظهر العلاقة
كانت الديمقراطية . واذا كان البغض والنفاق كانت الديكتاتورية (خيار
أمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم . وشرار
أمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم . قلنا : أفلا ننابذهم ؟
قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، لا ما أقاموا فيكم الصلاة)

١ - اسم من أسماء النار . ورجل حطمة أى كثير الاكل . والمراد الغنيف

على رعيته .

١٧ - وعلى المسلم أن يكون وفياً بما تعهد به لحاكمه . فإذا تحلل من هذا الوعد من غير مبرر كان قد انحل من الإسلام . ومن لم يكن مؤيداً أو معارضاً فقد رجع بنفسه إلى مظالم الجاهلية (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له . ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) .

١٨ - وطاعة الحاكم واجبة - سواء كانت في صالح المسلم أو ضد مصلحته الخاصة ، فعليه أن يسمع ويطيع ، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فإذا أمر بمعصية ولو كانت فيها مصلحته فانه لا يلتزم بها شرعاً . ومقياس الطاعة والمعصية الموافقة لأمر الشارع والبعد عنه (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) خ ٢ (الحور) ص ٢١ .

١٩ - وقد بين لنا رسول الله خير ما يعلمه لنا ، وحذرنا من شر ما يتوقعه لنا . وأشار إلى ما يواجه الأمة في حياتها ، وكيف الوقاية من شره ، وما الواجب عمله (لانه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم . وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها . وتكون فتنة يرفق بعضها بعضاً ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف . وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه هذه - فن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليؤت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه . ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع . فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) .

٢٠ - ومن الناس من يسأل حقه ولا يعرف حق غيره ، وتلك بلية وإن كانت في الحكم فهي أشد وأخطر ، وقد كره النبي أن يسمع سؤالاً في هذا المعنى فأدار وجهه بتقديره وأسى لما قد تحدثه هذه الظاهرة الخطيرة في المجتمع

الإسلامي (أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألون حقهم ويمنعون حقنا فما تأمرنا؟ فأعرض عنه . ثم سأل . فقال له النبي : إسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)

٢١ - ومن يحرص على الإمارة وتوليها يجب أن يحرم منها - فإن حرصه عليها دليل على أمانته وعدم شعوره أنها خدمة وعبء ثقيل يسأل عنه عند الله والناس . فإن جاءت بها الظروف إليه من غير طمع فيها فعليه أن يستعين بالله ، وأن يقبلها ، وسيعينه ربه ويسدد خطاه (لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ، وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها)
خ ٢ (الإيمان والنهوض) ص ١٤٨

٢٢ - ولاختيار الحاشية دخل كبير في سلوك الحاكم . وهي عنوان لما ينطوى عليه نفسيته من خير أو شر . ويجب أن يكون مؤثرا فيهم أكثر من تأثره بهم ، والإناقلبت الأوضاع وصارت الأمم تحكم من وراء ستار يدير شؤونها من لم تعرفهم وترضى عنهم . والموفق من هداه الله (ما بحث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه . والمعصوم من عصمه الله)
خ ٢ (القدر) ص ١٤٨

٢٣ - وتوفيق الله للحاكم أن يختار حاشيته من الأخيار دليل على رضاه الله عنه . فإن اختار الأشرار فقد تخلى الله عنه وتركه لنفسه وهو أهمل ، ولم يبرأ كل شيطان منه (إذا أراد الله بالأمير خيرا جعل له وزير صدق - إن نسي ذكره وإن ذكر . أعانه وإذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء - إن نسي لم يذكره وإن ذكر لم يعنه)

٢٤ - وعلى الحاكم أن يكون بصيرا في اختيار من يتعاونون معه لأنهم يمثلونه وفي الحديث : (إنا والله لا نولي هذا العمل أحدا حرص عليه)

٢٥ - وعليه أن يجتهد فيما يعرض عليه ، باذلا قصارى جهده في تعمري العدل قدر استطاعته - وما عليه جناح بعد ذلك بل هو مأجور أصاب أو أخطأ (إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم واجتهد ثم أخطأ فله أجر) خ - ٢ (الإعتصام بالسكتاب والسنة) ص ١٦٢ .

٢٦ - ويجب أن يكون شعار الحاكم ما أعلنه الصديق : الضعيف فيكم قوى حتى آخذ له حقه ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه . ومهمة الحاكم إنصاف المظلوم . وفوق أن هذا واجبه فإن الله يكافؤه يوم القيامة ويعصمه من العثرات . وكل من ساعد مظلوما فله تلك البشارة (من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط - يوم تزل الأقدام) .

٢٧ - ومن المروءة إذا علم الناس مظلوما قد يدينه الحاكم لأن الحاجة مع خصمه الظالم . والحاكم يقضى بظواهر الأمور فعليهم أن يشفعوا له من أجل تبرئته ، لا يقبلون على شفاعتهم مكافأة (من شفع شفاعته لأحد فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الكبائر)

٢٨ - وليس للحاكم أن يروع متبها إلا بالحق . وقد اختلفوا في ضربه . وما يؤثر عن أقوال الصحابة ما رأيت جورا أشبه بالحق من هذا . وفي الحديث : (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) .

٢٩ - وعليه أن يمكنه من الدفاع عن نفسه (من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه فيها بغير حق أخافه الله يوم القيامة) .

٣٠ - والذين يتعالون على الناس ويتكبرون عليهم بغير حق أو يترفعون عنهم لما لهم من جاه ، فإنهم لا وزن لهم عند الله (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يذهبهم الله من كل مكان)

٣١ - والمستهنئون بالناس يفعل بهم كما فعلوا (إن المستهنئين بالناس

يفتح لأحدهم في الآخرة باب من الجنة فيقال له هلم - فيجىء بكر به وغمه .
فإذا جاء أغلق دونه . ثم يفتح له باب آخر فيقال له هلم هلم - فيجىء بكر به وغمه .
فإذا جاءه أغلق دونه . فما زال كذلك حتى إن أحدهم ليفتح له الباب من أبواب
الجنة فيقال له هلم - فما يأتيه من الإياس) .

٣٢ - ولا يصح أن يوقف الحكم على قبيلة دون الأخرى ، كما لا يصح
أن يكون المؤهل للولاية كونه من سلالة الوالى السابق - بل يجب تكافؤ
الفرص في مجتمع مفتوح (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا يتنادى : ألا إنى
جعلت نسباً وجعلتم نسباً : فجعلت أكرمكم أتقاكم فأيتهم إلا أن تقولوا فلان
ابن فلان - فالיום أرفع نسبى وأضع أنسابكم) .

٣٣ - وكما كنا نحكم بالأنساب . وإذا كان الحكم الديموقراطى يقوم على
أساس من الاختيار الحر الطليق والخالى من أى استبداد ، فإن الناخبين يجب
أن يبتغوا المصلحة العامة بعيدين عن التعصب لحزب أو جماعة ، فالكلمة أمانة
يجب أن توضع في موضعها . وإذا كانت الديموقراطية الحديثة تمنح الغوغاء
والحقى حق الاختيار - فإنه ليس من العدل في رأينا أن يتساوى رأى المفكرين
بالسذج من الناس ، وإلا فسوف تكون النتيجة تفوق الأحمى على العبقري ،
وفوق هذا أنهم يحدثون شغباً في وقت يحتاج إليه المرء أن يكون هادئاً يوازن
بين المرشحين . وكما نشاهد معارك دامية من أجل الانتخابات حتى سمعنا من
يقول إنها من دسائس المستعمر ، ليوقع الناس في العداء والشحناء ، وهذا
ابتعاد عن الإسلام وتعاليمه (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب
بعض) خ ١ (العلم) ص ٢٠ .

٣٤ - وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكالب الذى سينسب
الناس من أجله دينهم (ستكون هنات وهنات ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه
الامة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائننا من كان) .

(٣٥) والذين لا يتحرون الخفائق فيأخذون البرى والمسىء فقد برأ منهم الله ورسوله (من خرج على أمتى يضرب بارها وفاجرها لا يتحاشى من مؤمنها ولا ينفى بعهد ذى عهدا فليس منى ولست منه) .

(٣٦) وعلى الحاكم أن يكون حليما يعطى للناس من الفرص ما يمكنهم من مراجعة أخطائهم (لا حلم أحب إلى أن من حلم لإمام ورفقه ، ولا جهل أبغض إلى الله تعالى من جهل لإمام وخرقه) .

(٣٧) وشاورهم فى الأمر ، وأمرهم شورى بينهم ، وأساس الحكم السليم أن يقوم على الشورى - فهى طريق الرحمة بالأمه حيث تقدم للحاكم مجموعة من الآراء تنير له الطريق ، وترشده إلى السبيل القويم ، ومن ترك المشورة فسوف يبقى وحده فى متاهة لا مرشد له فيها ولا معين (إن الله ورسوله غنيان عنها . ولكن جعلها رحمة فى أمتى - فن شاور منهم لم يعدم رشداً ، ومن ترك المشورة منهم لم يعدم غيا) .

(٣٨) وللشورى قواعد يجب أن تقوم عليها من ابتغاء الحق وإقرار الأثرية له ، ولا يناقش فى أمر فرغ منه ، وتقويم المعوج ، والإخلاص ، والشجاعة (إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم - فقد تودع منهم)

(٣٩) وعلى الحاكم أن يعود رعيته الصراحة ، وأن يشجعهم على النقد البناء - لا يعاقبهم ولا يؤاخذهم على نقد فيجبنوا (لا يحقرن أحدكم نفسه . قالوا : وكيف يحقر أحدنا نفسه ؟ قال : يرى أن الله عليه مقالا ثم لا يقول فيه . فيقول الله : ما منعك أن تقول فى كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس . فيقول : فإياى كنت أحق أن تخشى) .

(٤٠) ومسئولية الحاكم مقررة شرعا، فيدافع عن أمته ويتحرى مصلحتهم، ويتجنب الأخطار التي تهددهم، (وإنما الإمام جنة يقاتل من ورأه ويتقى بها فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجرا . وإن قال بغيره فإن عليه وزرا)
خ ٢ (الحور) ص ٢١ .

(٤١) ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وعلى الحاكم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعلى الجند والسلطة التنفيذية أن تنفذ أوامره . ويروى أن قائداً أمر جنده أن يدخلوا النار فلم يطيعوه . فنقل ذلك للنبي فقال : (لو دخلوا نار الدنيا ما خرجوا منها إلى يوم القيامة — الطاعة في المعروف)
خ ٢ (غزوة الطائف) ص ٨٧ .

(٤٢) وعلى الحاكم ألا يتجسس على رعيته . ومن تتبع عورات الناس فضحه الله يوم القيامة . ولا تجسسوا واجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم . وما من أمة سلب عليها التجسس إلا شاع فيها النفاق وإخفاء الحقائق ، وأرهقها كبت تنحين فرصة للتنفيس عن نفسها ، ولا يصح أن يخاطب بن التجسس المشروع على الأعداء والتجسس على الرعية المنهى عنه . وعلى الحاكم أن يقضى بالظاهر (إنى لم أؤمر أن أنقب قلوب الناس ولا أشق بطونهم)^(١) .

(٤٣) ولا يصح أن تتسع صدور الأمة لمهاترات تدور على السنة بعض الكتاب من مساواة المرأة بالرجل في كل شيء ، وإن كان يجوز أن تتولى بعض المناصب — فلا يجوز أن تتولى الولاية العامة (إن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) خ ٢ (حديث كعب بن مالك) ص ٩٦ .

(١) خ ٢ (الطائف) ص ٨٨ .

الموضوع الخامس عشر

(الصلاة ومقدماتها)

(١) تناولت كتب الفقه هذا الموضوع باعتبار الأحكام المتعلقة به من حيث الصحة ، أو البطلان ، أو الأركان ، أو الشروط والسنن وغير ذلك . أما نحن فسوف نتناول هذا الموضوع من حيث الصلة بالحياة الاجتماعية والنظام الإجتماعي وإن كنا قد نعرض لبعض الأحكام الفقهية التي تتصل قريبا بالحديث .

ومقدمات الصلاة كالوضوء والمسجد والأذان وغيرها . وأول ما نبدأ به هذا الموضوع ما يمحو الخطايا ويرفع الدرجات- فما أحوج العبد إليهما . وقد أفردنا للصلاة موضوعاً لأهميتها وكثرة ما ورد فيها . ولا شك أن تعلق القلب بالله يملأه خير عظيم . فاذا انزلت بالمرء نازلة وتوضأ فقد أذهب عنه الشيطان الذي قد يقوده إلى ما يندم .

وقد أقام الله أما كن تعرف بالمساجد لتتلاقى فيها الجماعة المسلمة التي قد تباعد بين أفرادها مشاغل الحياة .

والعمل عبادة ، لكن لا ينبغي أن يستغرق كل وقت الإنسان لثلاً تنسيه زحمة العمل صلته بربه وبسائر الناس .

(ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) .

وإسباغ الوضوء على المكاره التوضؤ عند نزول المكاره . ولا نميل إلى

أنه استعمال الماء في البرد الشديد لأن ذلك عسر و حرج - وما جعل عليكم في الدين من حرج . وانتظار الصلاة لا يقتضى إلا نقطاع في المسجد . فإذا خرج لعمله ثم انتظر الصلاة فهو انتظار للصلاة .

(٢) والصلاة في أى مكان بجائزة إلا في الأماكن التى نص الشارع على كراهة أو تحريم الصلاة فيها : كالمقبرة والمزبلة والسوق وغيرها ، لكن المسجد يسمن أو يجب صلاة الفرائض فيه (من غدا إلى مسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كما غدا أو راح) خ ح ١ (الأذان) ص ٥٨ .

(٣) ومن الحرص على الوقار والمحافظة على الهيبة أى يأتى الإنسان إلى الصلاة فى سكينته غير مسرع ولا مهول فنية المرء خير من عمله ، فليات إلى الصلاة فى خشوع (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون . وأتوها وأنتم تمشون . وعليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا) خ ح ١ (بدء الأذان) ص ٥٦ ، ٥٧ .

(٤) ويلزم الإنسان السكينة فى كل أحواله (أيها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالإيضاع) خ ح ١ (الحج) ص ١١٢ .

(٥) وظن بعض الناس أن ما فى الصلاة من مساواة تفرض على الغنى أن يتحمل أقدار أولئك المهملين الذين يأتون إلى المساجد بشباب ملوثة تنبعث منها رائحة كريهة ، وهؤلاء جهلة بالإسلام وتعاليمه ، وينفرون الناس منهم - فإن الصلاة مؤتمر جماعى يتقرر انعقاده . ولا بد لمن يحضر ذلك المؤتمر ألا يؤذى غيره على الأقل إن لم يقدم منفعة لغيره . وانظر إلى الحديث فى التأهب للمؤتمر العام الأسبوعى . (لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه ، أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين

الجمعة الأخرى) خ > ١ (الجمعة) ص ٧٠ .

(٦) وعليه ألا يضايق الناس في مجالسهم ولا يزاحمهم (خير المجالس أوسعها) .

(٧) وللحفاظة على شعور الجماعة وإحساس أفرادها ، دعا الإسلام المسلم أن يتطهر قبل الصلاة فإنه عبادة ومصلحة للفرد والجماعة (إن أمتي يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل) خ > ١ (الوضوء) ص ٢٢ .

(٨) وغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس أركان في الوضوء فإذا كانت الغرة والتحجيل، غسل الوجه والرجلين لأنهما أبرز ما في الإنسان فقد توضع أقدام من في الصف الأول في وجوه من في الصف الثاني - فاعتنى الإسلام بغسل القدمين باهتمام وكذا غسل سائر الأعضاء . وفي الحديث : (تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء) .

(٩) والذي يكفر الخطايا هو الوضوء الحسن المستوفى للأركان والشروط (من توضأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره) .

(١٠) وفي الصلاة أبواب من الخير قد يحفلها البعض ولا يهتمون بها كالجلوس في الصف الأول - للنيل من فضل الله ورحمته . وكالأذان لأنه دعوة إلى الهدى ، وللداعي مثل أجر الفاعل ، وللذهاب إلى الصلاة في المسجد في الأوقات التي يشق على المتكاسلين أن يصلوا صلاتهم في المسجد في تلك الاوقات (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا^(١) عليه لاستهموا عليه . ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ،

(١) يقرعوا .

ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا^(١) (خ ح ١) (بدء الأذان)
ص ٥٦ .

١١ - ولما مثل النبي للصلاة في تكفير الذنوب لاحظ في المشبه به أن يكون له صلة بالوضوء الذي هو مظهر للنظافة ، لا يبقى من أقدار عالقة بالبدن شيئاً (أرأيت لو أن نهراً يباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شيئاً . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا) (خ ح ١) (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

١٢ - وقد أشار إلى أن الحكمة من تكرار الصلاة في كل يوم هي تذكير العبد بما قد ينساه ، ولو طال نسيانه لربه لا نقطعت صلته به . ولذلك دعا للوقوف بين يديه مراجعة لماضيه وفي معنى الحديث : (إن رجلاً أتى النبي وقد أصاب قبله من امرأة أجنبية فجاء يبكي على خطيئته . فلما صلى في جماعة مع النبي أنزل الله قوله : إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى للذاكرين) (خ ح ١) (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

١٣ - والصلوات تكفر عن الإنسان الصغائر فقط . أما الكبائر فطريق تكفيرها التوبة منها (الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر) .

١٤ - وهناك بعض الصلوات يزيد ثواب من حافظ عليها (من صلى البردين^(٢) دخل الجنة) (خ ح ١) (مواقيت الصلاة) ص ٥٣ .

١٥ - وقد تسابق البعض في تشييد المساجد ، مع أن المساجد التي هي أقدم منها في حاجة إلى ترميم وإلى من يعمرها بالصلاة فيها . فنرى مساجد

ضخمة البناء خربة من نفوس مملوءة بالحياة لا ترى فيها إلا العجزة والعاطلين وما كانت المساجد هكذا . لقد كان مسجد النبي مسقفا بالجريد تمطر السماء فتبلل أرضه ، ربما دخلته الكلاب ولا باب فيه يحجزها ، ومع ذلك فقد خرج ملائكة البشر ومؤدبي الجبابرة وفرسان الميدان . أما اليوم وقد عجز الناس عن بناء النفوس يستبدلون بها إقامة أبنية ثم يتركونها خربة لا أحد فيها يسبح الله . وفي رأينا أنه لا يصح الشروع في بناء مسجد مالم يضيق المسجد القديم بالناس - كي لا نفرق الجماعة ونعرضها لأناس جهلة يؤمنونهم في الصلاة فيفسدون عقائدهم بما ينشرونه من خرافات . فلها جاء قوم يشكون إلى النبي بعد منازلهم عن المسجد قال لهم : (إن أعظم الناس أجرا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم . والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرا من الذي يصليها ثم ينام) خ - ١ (بدء الأذان) ص ٥٧ .

١٦ - والخطوة إلى المسجد ترفع صاحبها درجة وتحط عنه بها خطيئة (بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

١٧ - وتردد الإنسان على المسجد وابتغاؤه وجه الله - دليل على أنه من أهل الصلاح (إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالجنة) .

١٨ - وإذا فرغ الإنسان من عمله اليومي وذهب إلى المسجد يستحب له أن يمكث فيه حتى يصلي العشاء ، ليعلم حال الجماعة ولينصت إلى المواعظ . وقد سبق أن بينت أن انشغال الرجل بالصلاة وهو في عمله يعد انتظارا منه للصلاة التي تليها (لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة) خ ج ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٤ بالمعنى .

١٩ - واختلف في حكم الجماعة في الصلاة - فقليل هي فرض ، وقيل واجب كفائي ، وقيل سنة . والمؤكد أن الشارع توعد المتخلفين عنها بلا عذر بعذاب

شديد كاد أن ينزله بهم ورماهم بالنفاق (والذي نفسى بيده لقد هممت أن أمر بحطب فيحطب ، ثم أمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم أمر رجلا فيؤم الناس ثم أخلف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم) خ > ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢٠ - والمنافقون وإن قاموا إلى الصلاة كسالى يراءون الناس ، فإنه يشغل عليهم أداء صلاتين لأنهما يتطلبان مزيدا من الجهد . (ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الصبح والعشاء) خ > ١ (الأذان) ص ٥٧ .

٢١ - وفي الأعمال فاضل وأفضل . وأداء الصلاة في وقتها من أفضل الأعمال . وقد سوى الحديث في الفضل بين أداء الصلاة في الوقت وبر الوالدين والجهاد - لأن في كل منهما صلة بين العبد ومن له فضل عليه (أى الأعمال أفضل ؟ قال : الصلاة على وقتها . قلت : ثم . قال : بر الوالدين . قلت : ثم . قال : الجهاد في سبيل الله) خ > ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٠ .

٢٢ - وقد جعلت الصلاة مظهر آ أولا من مظاهر الإسلام . وقد صح : (إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة) .

٢٣ - ومن الأمور التي جعلت الناس يتهاونون في الصلاة ولا يؤدونها ما أشيع من أن الإسلام يكفي من المرء بكلمة التوحيد . وإذا لم يأت بسائر الأركان فهو مسلم عاصي ، ولا تميل لهذا الرأي . ولا يوجد مسلم عاصي لأنه اجتماع النقيضين - فيكون المعنى مطيع عاصي . ولكن يوجد مسلم تائب . والإسلام كل لا يتجزأ - فمن ترك ركنا منه فليس بمسلم ما لم يجدد إسلامه فيأتي بهذا الركن الذي ضيعه ولا حاجة بنا إلى تأويل النصوص الواضحة (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة - فمن تركها فقد كفر) .

٢٤ - والصلاة مظهر من مظاهر النظام : ففيها صفوف معتدلة مترابطة مستقيمة ، تتحرك بحركة واحدة صامتة ، تتبع إمامها من غير تخلف

(ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها : فقلنا : وكيف تصف ؟ قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) .

٢٥ - وليصف الرجال أولا ، ثم الصبيان ، ثم النساء منفصلات بعيدات عن صفوف الرجال (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها . وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها) .

٢٦ - ومع هذه التعاليم الدقيقة نرى في المساجد صفوفًا غير مستقيمة ، متبعثرة غير متحدة الحركة - فهذا رافع وذالك رافع ، وهذا كله نقص في الصلاة (سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة) .

٢٧ - وأحيانا نجد الإمام عن يمينه واحد وعن يساره أربعون - وهذا خروج على النظام . فالمطلوب أن يقف الإمام في الوسط وأن تكمل الصفوف - فن صلى وأمامه فرجة يمكن أن يقف فيها ، فصلاته باطلة في الراجح (وسطوا الإمام وسدوا الخلل) .

٢٨ - وصلاة القرائض في المساجد . أما النوافل ففي البيوت بعدا عن الرياء (صلوا أيها الناس في بيوتكم فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة) خ - ١ (الأذان) ص ٦١ .

٢٩ - ومن الصلاة ما تجب أو تستحب بسبب : كدخول المسجد للجلوس فيه (إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجالس حتى يصلي ركعتين) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٣ .

٣٠ - هذا بالنسبة للمكان . أما بالنسبة للزمان فتستحب الصلاة عند تجديد الوضوء . وهي من أفضل الأعمال التي تدخل صاحبها الجنة (يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام فإني سمعت دق نعليك بين يدي في الجنة ؟

قال : ما عملت عملاً أرجى عندي من أني لم أتطهر طهوراً في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي (

٣١ - وصلاة الجمعة فرض عين على الصحيح ، شدد الشارع على من تركها (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات ، أو لينخنن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين) .

٣٢ - وفي يوم الجمعة ساعه يتجلى الله فيها على المتقربين إليه بصالح الأعمال (فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه الله إياه) خ - ١ (الجمعة) ص ٧٢ .

٣٣ - وقد أخفاها ليمتجراها الناس وليزداد عملهم ، وإن كانت بعض الآثار أشارت إلى تحديدها (هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة) .

٣٤ - وعلى المأموم أن يتبع إمامه لا يسبقه ولا يتأخر عنه . (أما بخشي أحدكم إذا رفع رأسه قبل رأس الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار أو يجعل الله صورته صورة حمار) خ - ١ (الأذان) ص ٦٠ .

٣٥ - ولا بد من الخشوع فيها . ولا كمن يتفرغ القلب لله جاء الحديث : (لا صلاة بحضرة طعام ولا هو يدافعه الأخبثان^(١)) .

٣٦ - ومن الناس من يرفعون أبصارهم إلى أعلى وهم في الصلاة . وهذا مغل بال الخشوع . ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم ؟ لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم) خ - ١ (الأذان) ص ٦٢ .

٣٧ - ومن الناس من يقف في صلاته غير ثابت . وهذا يعد انتقاصاً

من الصلاة (الإلتفات في الصلاة لإختلاس الشيطان من صلاة العبد) خ ج ١
(الأذان) ص ٦٢ .

٣٨ - وعلى المصلي أن يكون في مكان بعيد عن طريق الناس حتى
لا يعرضهم للإثم ، ويعرض نفسه للعبث حين يدفعهم من المرور بين يديه .
وعلى الأقل يتخذ لنفسه سترة لا يتجاوز بها مكان سجوده (لو يعلم المار بين
يدى المصلي ماذا عليه لكان أن يقف أربعين خيرا له من أن يمر بين يديه) خ
ج ١ (الصلاة) ص ٤٩ .

٣٩ - ويحرم تكرار الجماعة في الوقت الواحد وفي المسجد الواحد ،
لأن ذلك يمزق الوحدة ويفرق الأمة في مكان هيء لتتحد الأمة فيه (إذا
أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة) .

٤٠ - وليس كل مصلي تقبل منه ، ولكن تقبل بمن أداها كما أمر ، وحملته
على الفضائل ونهته عن الرذائل (إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمى ،
ولم يستطع على خلقى ، ولم يبت مصرا على معصيتي ، وقطع النهار في ذكرى ،
ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب) .

٤١ - ولا يتنافى مع التواضع أن يذهب الإنسان بثوب نظيف إلى المسجد
لحضور الجماعة ، بل ذلك هو الواجب أو المسنون . (ما على أحدكم إن وجد
سعة أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته) .

٤٢ - وقد سبق أن الوضوء عبادة وإعداد للمسلم ، ليكون في الجماعة
في مظهر حسن تتنبعث منه رائحة طيبة (حبذا المتخللون من أمتي . قالوا : وما
المتخللون ؟ قال : المتخللون في الوضوء ، والمتخللون من الطعام) أما تخليل
الوضوء فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع . وأما تخليل الأسنان فمن
الطعام (إنه ليس شيء أشد على المملوكين من أن يريا بين أسنان صاحبهما
طعاما وهو قائم يصلي) .

٤٣ - وليست الصلاة ولا المسجد ولا الإعتكاف بحواجز تمنع العبد من فعل الخير ، بل هي إعداد له وحفز على المسارعة في كل ما هو نافع ومفيد للناس . كان ابن عباس معتكفا في مسجد النبي - فدخل عليه رجل مهموم من ديون حل أجلها . فعرض عليه ابن عباس أن يكلم دائته . فقال له الرجل أنت معتكف وقد حل الأجل ؛ والمعتكف لا يخرج من المسجد لمثل هذه الحاجة (فدعت عينا ابن عباس وروى : من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين . ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مما بين الخافقين)

٤٤ - ومن السنة أن يعود الرجل أبناءه على الصلاة (مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع) .

٤٥ - ومن تطهر في بيته واتجه الى المسجد كان زائرا لله . (إن بيوتى في الأرض المساجد ، وإن زوارى فيها عمارها - فطوبى لمن تطهر في بيته وزارني في بيتي ، وحق على المزور أن يكرم زائره) .

٤٦ - وقد سبق أن المساجد يشرع في بنائها عند ازدحام المسجد ، وعند ذلك فاسلك من ساهم في بنائها أجر عظيم (من بنى لله مسجدا بنى الله له كهياتة في الجنة) خ ج ١ (الصلاة) ص ٤٤ .

٤٧ - ومن الناس من يشككهم الشيطان في صلاتهم ، فيلقى في روعهم أنهم ليسوا على وضوء ، أو أن شيئا خرج منهم نقض وضوءهم . وفي هذا المعنى جاء الحديث : (لا ينصرف المصلي حتى يسمع صوتا أو يجد ريحا) . خ ج ١ (الوضوء) ص ٢٣ .

٤٨ - ومنهم من يصلي مكشوف الظهر والبطن . وصحيح أن عورة الرجل من السرة إلى منتهى الركبة أو هي ستر القبل والدبر . وعلى كل حال

فإن من الأفضل أن يستر الإنسان كل بدنه لأنه من الزينة التي أمرنا أن نأخذها عند كل مسجد أى صلاة . ومن هنا جاء النهى للكرامة (لا يصلى أحدكم فى الثوب الواحد ليس على عاتقه شيء) خ - ١ (الصلاة) ص ٣٧ .

٤٩ - ويجوز أن يتقى الإنسان الأذى وهو فى الصلاة بثوب ونحوه (كنا نصلى فيضع أحدنا ثوبه من شدة الحر فى مكان السجود) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٠

٥٠ - وقد جعلت الصلاة دليلا على الإسلام . فلا يصح أن يرمى مصلى بالكفر (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذى له ذمة الله ورسوله - فلا تخفروا الله فى ذمته) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٠ .

٥١ - ومن شك فى صلاته عمل بغالب ظنه أو بنى على الأقل إن لم يكن له ظن راجح . ويستمر فى صلاته ثم يسجد سجدتين بعد السلام أو قبله ، أو إن نقص فقبل وإن زاد فبعد السلام - أقوال للفقهاء (إذا شك أحدكم فى صلاته فليتحرر الصواب فليتم عليه ثم يسلم ثم يسجد سجدتين) خ - ١ (الصلاة) ص ٤١ ، ٤٢ .

٥٢ - ويجب أن يكون الناس آمنين فى المساجد لا يؤذيهم الداخلون بعصيتهم أو نعالهم . كما أن الأذى يجب ألا يقع إلا بالحق فى المسجد أو غيره (من مر بشيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل فليأخذ على نصلها لا يعقر بكفه مسلما) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٤

٥٣ - والمساجد بيوت للعلم والعبادة معا ، لا يمنع أحد من أن يسأل فى أى وقت شاء ولو فى خطبة الجمعة (سأل رجل النبي وهو على المنبر ما صلاة الليل ؟ قال : مثني مثني) خ - ١ (الصلاة) ص ٤٦

٥٤ - والصلاة الوسطى قيل هي العصر لحديث : (الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر ماله وأهله) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١ .

٥٥ - وقد نهى الشارع عن الصلاة في أوقات ثلاثة : عند طلوع الشمس ، وعند استوائها ، وعند اصفرارها إلى أن تغرب . وهل النهى مختص بالفرائض والواجبات . أو عام يشمل النوافل والسنن . أو يستثنى ما كان بسبب كتحية المسجد ؟ أقوال للفقهاء . لكن من أدرك سجدة قبل هذه الأوقات

فليتم صلاته وإن خالف في ذلك بعض الفقهاء . وسندنا حديث : (إذا أدرك أحدكم سجدة من صلاة العصر قبل أن تغرب الشمس فليتم صلاته . وإذا أدرك سجدة من صلاة الصبح قبل أن تطلع الشمس فليتم صلاته) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٢ .

٥٦ - ومن فاتته صلاة الصبح فليؤذن لها بحيث يسمع نفسه وليقيم ثم يصلي بعد طلوع الشمس وارتفاعها . وليبدأ بالفجر ، ثم يصلي الصبح لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين معه ناموا فلم توقظهم إلا الشمس . فقال لهم : (إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها حين شاء . وأمر بالآذان ، ثم صلى بعد ارتفاع الشمس) خ ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥٤ .

٥٧ - والآذان للصلاة لإعلام الناس بها . واختلف في كيفية ، وحكمه سنة أو واجب بعد الإنفاق على أهله (إنه ليس بمدى صوت المؤذن جفى ولا لمنى ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة) خ ١ (الآذان) ص ٥٥ .

٥٨ - وقد تعد إقامة الصلاة آذانا - لما فيها من إعلام للصلاة لمن في المسجد . ولذا صح قوله : (بين كل آذنين صلاة لمن شاء) خ ١ (الآذان) ص ٥٦ .

٥٩ - والمتخلفون عن الجماعة زاهدون في الفضل ، يحرصون على الدنيا

(والذي نفسى بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عرفاً سمينا أو مرامتين ^(١) حسنتين لشهد العشاء) خ ح ١ (الآذان) ص ٥٧ .

٦٠ - - وإذا سهى الإمام فعلى المأموم أن يذكره بالتسبيح ، والمرأة تذكر بالتصفيق . هذا إذا كان ذلك ينبهه إلى ما تركه . فإذا لم ينتبه كأن يكون نسي سجدة فسجوا له ولم ينتبه ، فلا مانع عندي من أن ينبهوه بألفاظ القرآن كقوله : اسجدوا لله - ولا يعد هذا كلاماً لأنه من جنس ما يتلى في الصلاة (من رابه شيء في صلاته فليسبح فإنه إذا سبح ألتفت إليه وإنما التصفيق للنساء) خ ح ١ (الآذان) ص ٥٩ .

٦١ - - وعلى الإمام أن يخفف في ركوعه وسجوده بالقدر الذى لا يخل بالاركان ، وأن يختصر في القراءة ويراعى الضعفاء . ومن أراد التطويل فليقتل وحده وليطل ماشاء حتى لا يمل الناس . وفي الحديث : (لولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى يامعاذ) خ ح ١ (الآذان) ص ٦٠ .

٦٢ - - وما يلتزم المسلمون به في صلاتهم من تسوية الصف وسيلة لوحدة صفوفهم وكلمتهم وأهدافهم - في الحياة (لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم) خ ح ١ (الآذان) ص ٦١ .

٦٣ - - والإمام داع لهم بألفاظ القرآن . وعليه وعليهم أن يؤمنون سرا أو جهرا - قولان (إذا أمن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) خ ح ١ (الآذان) ص ٦٤ .

٦٤ - - ولا يصح التشويش في المسجد برفع الصوت . ولا مانع من رفع الصوت في ختم الصلاة إن وجدنا غريبا نعلمه كيفية ختمها - وبشرط ألا يكون هناك مسبوق يشوش عليه . وسندنا في هذا ما روى : (إن رفع الصوت

(١) ما بين ظبا الشاء من اللحم أوهما سهمان يتعلم هليها الرمي

بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم) خ ج ١ (الآذان) ص ٦٨ .

٦٥ - ووقار المسجد وعدم التشويش فيه أمران لازمان خصوصا إذا كانت فيه مواعظ تلقى (إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت) خ ج ١ (الجمعة) ص ٧٢ .

٦٦ - والخطبة في صلاه العيد بعد الصلاة. وأول من خطب قبل صلاة العيد مروان بن الحكم ليستمع الناس له . والخطبة لصلاة العيد سنة في الراجح . وليس لصلاة الكسوف أو الخوف آذان لحديث : (لما كسفت الشمس نودي : إن الصلاة جامعة) خ ج ١ (الكسوف) ص ٧٨ .

٦٧ - وإذا تليت آية سجدة سجد لها ولو كان في الصلاة، أو نوى بسجود الصلاة سجود التلاوة إن كان السجود للتلاوة سيحدث خللا واضطرابا بين المصلين ، وسجود التلاوة واجب في الصحيح . ومن لم يسجد عند تلاوة الآية يعاقبه الله في الدنيا أو في الآخرة . ويروى : (من لم يسجد لآية النجم حين تليت - وأخذ ترابا بكفه ووضع على جبهته وقال : يكفيني هذا قتل كفرا . وهذا معنى الأثر) خ ج ١ (سجود القرآن) ص ٧٨ ، ٧٩ .

٦٨ - ويرخص للمساقر أن يجمع بين الظهر والعصر ، والمغرب والعشاء - كل وقتين في وقت . فيصلى العصر عقب الظهر ، ويصلى العشاء عقب المغرب لحديث : (كان يجمع بين الظهر والعصر إذا كان على ظهر سير ، ويجمع بين المغرب والعشاء) خ ج ١ (قصر الصلاة) ص ٨٠ .

(٦٩) وعلى الإنسان أن يجتهد حتى يصلي الصبح ولا يضيعها عليه نوم ثقيل . و يروى في هذا أن علي بن أبي طالب قال للنبي لما سأله لم لم تستيقظ لصلاة الصبح ؟ قال علي : (أنفستنا بيد الله فإذا شاء بعثنا . فانصرف النبي وقال . وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) خ ١٠ (التهجد) ص ٨١

(٧٠) وإذا تنفل العبد فليتنفل وهو نشيط . وإذا غلبه النوم أو التعب فليسترح . وقد دخل النبي فوجد حبلا في المسجد تربط فيه نفسها إحدى المؤمنات إن غلبها النوم وهي في الصلاة . فقال : (لا ، حلوه ، ليصل أحدكم نشأه فإذا فتر فليقعد) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٢

(٧١) ولقد كان يخفف النفل في ركعتي الفجر (كان يخفف ركعتي الفجر حتى سألت عائشة هل قرأ بأم القرآن ؟) (١) .

(٧٢) وصلاة الوتر والضحي سنتان .ؤكدتان وإن قيل بوجوبهما (أوصاني بثلاث : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الضحي ، ونوم على وتر) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٧٣) ولا مانع من الصلاة نفلا بعد آذان المغرب وقبل صلاته و يروى : (صلوا قبل صلاة المغرب لمن شاء . قالها ثلاث مرات) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٧٤) والمساجد كلها في الفضل سواء - إلا المسجد الحرام ، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، والمسجد النبوي بمائة ، والمسجد الأقصى بخمسة مائة ، والصلاة في الروضة الشريفة بالمسجد النبوي فيها فضل كبير (ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة . ومنبري على حوضي) (٢) .

(١) خ ١٠ (التهجد) ص ٨٣

(٢) خ ١٠ (فضل المساجد الثلاث) ص ٨٤

(م ٩ - نظرات السنة)

(٧٥) وإذا داوم الإنسان على صلاة السنن فلا مانع من قضائها . هذا في رأيي لحديث : (أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر ، فهما اللتان أصليهما بعد العصر) خ > ١ (السهو) ص ٨٥

(٧٦) ويسن التوجه في يوم الجمعة إلى المسجد مبكراً ليحصل على مزيد من فضل الله (إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول — فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر) خ > ٢ (به الخلق) ص ٣٣ مختصراً .

الموضوع السادس عشر

باقى العبادات

الزكاة

(١) هى فريضة إسلامية لم تشرع لحل مشكلة الفقر ، ولكن تحل مشكلته بالعمل من القادرين عليه ، وإنما شرعت للتعاطف والتراحم ، وهى حق حيث إن المال مال الله فى أصله ، كان مباحا للجميع - لكن الذين عجزوا عن الحصول على حقهم كانوا ضمنا متنازلين لآخوانهم العاملين الذين حصلوا على المال بسعيهم ، فكانت هناك شركة بين العاجزين والقادرين - للعاجر ربع العشر (من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ، ثم يأخذه بهزمته يعنى بشدقيه ثم يقول أنا مالك ، أنا كنزك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٢) ولكى تجب الزكاة يجب أن يتكامل النصاب وأن يحول عليه الحول ، والنصاب محدد فاضلا عن حاجته وحاجة أولاده ، وهو من الفضة مائتا درهم ، ومن الذهب عشرون مثقالا فيهما ربع العشر ، ومن الإبل فى كل خمس شاة ، والبقر والجاموس فى كل ثلاثين بقرة ، ومن الغنم فى كل أربعين شاة (ليس فيما دون خمس أواق صدقة ، وليس فيما دون خمس ذود صدقة ، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

وهو يشير إلى المالىات والحيوان والحبوب ، والوسق ستون صاعا .

(٣) والزكاة تطهير للمال ، ولكى تقبل يجب أن تكون من كسب طيب وهى لا تنقص المال ، بل تنميه وتزيده (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوله حتى تكون مثل الجبل) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٦ .

(٤) وأعظم الصدقة ما أخرجها الإنسان في شبابه وصحته . (أى الصدقة أعظم ؟ قال : أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٧ ،

(٥) ومن أفنت على المحتاج عوضه الله ؛ ومن أمسك أمسك الله ثنه فضله (لا توكل فيوكى عليك) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ .

(٦) وتحبون المال حبا جما ، وإن الإنسان لحب الخير شديد ، لكن المنفقين يتغلبون على ما فيهم من نوازع تنزع بهم نحو البخل فيتوارى ما فيهم من عيوب : أما البخل فلا يكاد يفكر في الإنفاق حتى يتغلب عليه الشح فيكبل يديه (مثل المنفق والبخل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفى بئانه وتعفو أثره ، وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٧) وقد أوجب الشارع على كل مسلم صدقة مالية لمن عندهم الأموال أو بدنية ، أو كلامية كالنصيحة ، أو عملية كأن يكون قدوة صالحة - فإن هذا كله يعد صدقة (على كل مسلم صدقة . قالوا : فمن لم يجد ؟ قال : يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدق ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال : يعين ذا الحاجة الملهوف ، قالوا : فإن لم يجد ؟ قال فليعمل بالمعروف ولْيَمْسِكْ عن الشر فإنها له صدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٩ .

(٨) وتقوم الزكاة على أساس العدل ، فليس للعامل أن يضيف أموالا لا زكاة فيها إلى أموال فيها الزكاة ليكمل النصاب ، كما لا يجوز ، أن يأخذ من الغناب شيئا . ليعنى صاحب المال (ولا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة) خ ج ١ (الزكاة) ص ٩٩ .

(٩) وكل ما يحتاج إليه الإنسان لزكاة فيه (ليس على المسلم في فرسه وغلामه صدقة) خ ١٠ (الزكاة) ص ١٠١

(١٠) ولا يأتي الخير بالشر ، كما لا تجلب الزكاة على صاحبها فقرا ، وفي السنة مثل لهذا : (أو يأتي الخير بالشر ؟ قال : إنه لا يأتي الخير بالشر ، وإن بما ينبت الربيع يقتل أو يلم (١) إلا آكلة الخضراء أكلت حتى إذا امتدت خامرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ورتعت) خ ١٠ (الزكاة) ص ١٠١ .

(١١) وزكاة الزروع العشر ، أو نصف العشر إن كان قد سقى بتكاليف (فيما سقت السماء أو العيون أو كان عثريا العشر ، وماسقى بالنضح نصف العشر) .

(١٢) وما يحصل عليه الناس من ركاز مدفون في باطن الأرض لا يعرف له مالك ففيه الخمس (المعجم (٢) جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار ، وفي الركاز الخمس) خ ١٠ (الزكاة) ص ١٠٤ .

(١٣) أما صدقة النمط فهي على الأعيان (٢) في الراجح ، خلافا للأحناف فإنهم أوجبوها على من عنده نصاب ، ويستحسن أن تؤدي قبل صلاة العيد وفي معنى الحديث (وأمر بصدقة الفطر أن تؤدي قبل الصلاة) خ ١٠ (صدقة الفطر) ص ١٠٤ .

(١٤) والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحصى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم

(١) أى يقرب من القتل .

(٢) أى ما تحدثه البهيمة من جروح في الإنسان - فهو هدر لأنها غير مشولة .

(٣) الأفراد .

وظهورهم ، هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكذبون ، وهذا موقف من موافقهم يوم القيامة (بشر الكاذبين برضف يحمى عليه في نار جهنم ، يوضع على حلبة ثدى أحدهم حتى يخرج من غض كتفه ، ويوضع على لغض كتفه حتى يخرج من حلبة ثديه فيتزلزل) .

(١٥) والزكاة تخضع لتشريع الدنيا ، وللحاكم أن يأخذها ثم يعطيها لأهلها ، وله أن يعاقب مانعها بإضافة غرامات عليهم فوق الزكاة ، وفي الأثر (من أعطى الزكاة محتسبا فله أجرها ، ومن منعها فإننا أخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا تبارك وتعالى) .

(١٦) ومن فاته عقاب الدنيا انتظره ذلك الوعيد الشديد ، يوقع عليه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فتحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كدات بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد - فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل يا رسول الله قال لا بل لا يؤدي منها حقها ، ومن حقها حلها يوم وردها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحدا تطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيئا ، ليس فيها عقصاء ولا جلاء ولا عضباء تنطرحه بقرونها وتطؤه بأظلافها - كلما مر عليه أولاها رد عليه أخرها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار . قيل يا رسول الله فالخيل ؟ قال : الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر ، وهي لرجل ستر ، وهي لرجل أجر ، فأما

التي هي له وزر فرجل ربطها رياء ونفرا ونواء على أهل الإسلام فهي له
وزر ، وأما التي هي له ستر فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله
في ظمورها ولا رقابها فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر فرجل ربطها في
سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة - فما أكلت من ذلك المرج
أو الروضة من شيء إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ، وكتب له عدد
أرواثها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستنبت (١) شرفا أو شرفين
إلا كتب الله له عدد آثارها وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على
نهر فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت
حسنات . قيل : يا رسول الله فالجر ؟ قال : ما أنزل على في الجر شيء إلا هذه
الآية الفائزة الجامعة : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره (بخ ح ١) (الشرب) ص ١٤٤ ، ١٤٥ مختصرا .

الموضوع السابع عشر

الصوم

(١) الصوم عبادة روحية وبدنية ، ومن أركان الإسلام ، وقد رغب الشارع فيه وتوعد بالعقاب من ترك الفريضة منه . وحرم صوم الأعياد وكره صوم العيد الأسبوعي لحديث ؛ (لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو بعده) بخ ج ١ (الصوم) ص ١٢٦ .

(٢) وللصائم جزاء لا يحصل عليه سواه (إن في الجنة بابا يقال له باب الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال : أين الصائمون ؟ فيقومون فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد) بخ ج ١ (الصيام) ص ١٢١ .

(٣) والصوم تطهير للنفس وإحساس بمراقبة الله وتربية للعزائم .

وقد سبق أنه يحل كعلاج لغير القادرين على الزواج (من استطاع منكم البائة فليتزوج فإنه أخص للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) بخ ج ١ الصيام ص ١٢٢ .

(٤) والنسيان لا يفطر الصائم (إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه) بخ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٥) ورخص الشارع للمريض والمسافر الإفطار (أفطر النبي عند الكديد وهو مسافر إلى مكة) بخ ج ١ (الصيام) ص ١٢٣ .

(٦) ويحرم صوم الدهر كله لما في ذلك من مشقة (لا صام من صام الأبدي ، لا صام من صام الأبدي) بخ ج ١ (الصيام) ص ١٢٥ .

(٧) وكل عمل يمكن أن يفسده الرياء إلا الصوم فإن القيام به لا يرياء

فيه ، وهو دليل على ما في القلب من إخلاص ، ولذا فقد اعتبره الله من خالص عمل المرء لربه ، وكل ما يشعر به الصائم من تعب تعقبه فرحة - وهذا تصوير صادق للصوم وحكمه (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به . والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إنى صائم . والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه) بخ ١ (الصيام) ص ١٢١ بالمعنى .

(٨) والذين يصومون يتعدون عن النار . في كل يوم يتعدون عنها جزءا يحلى ما صبروا (ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) (١) .

(٩) والمفروض من الصيام هو شهر رمضان والنذر . ولرمضان فضل عن سائر الشهور (إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين) بخ ١ (الصوم) ص ١٢١ .

(١٠) وكان النبي يقول عند حلول رمضان وفي كل شهر (اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام . ربى وربك الله هلال رشد وخير) .

(١١) ويستحب أن يتسحر الإنسان ليقوى على عمله (تسحروا فإن في السحور بركة) بخ ١ (الصوم) ص ١٢٣

(١٢) ولا يصح للغنى أن يختصر في الطاعة على مجرد الصوم ، بل عليه أن يطعم الفقراء الصائمين ليزداد أجره (من فطر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء) .

الموضوع الثامن عشر

الحج

(١) هو من مقررات الإسلام والركن الخامس من أركان الإسلام . وهو قصد بيت الله الحرام بأعمال وشروط مخصوصة محلها الفقه ، ويضآن بعض الناس أنه كلما زاد النعب فيه كان الثواب أكثر - وهذا صحيح بالنسبة للشقة التي تتولد عن الأعمال المشروعة ، أما التعذيب بالمشى فلا لحديث : (إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغنى ، وأمره أن يركب) بخ ح ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢) وقال لمن نذر الحج ماشياً وجاء يتهاذى بين ولديه ، (فلتركب ولتهد بدنة) بخ ح ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٣) ويجوز الحج عن الغير نيابة ، واختلاف هل يجب في الوكيل أن يكون قد أدى الحج عن نفسه أولاً ؟ وهل من فرط في الأداء وهو صحيح أتفعله الإجابة وهو مريض ؟ الظاهر أنه ينتفع ، وفي الحديث : (إن أمى اقتلت نفسها وأظنما لو تكلمت تصدقت ، فهل لها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال نعم) بخ ح ١ (الجنائز) ص ٩٥ .

، والصدقة في معنى الحج ، وجاء حديث بهذا المعنى في الحج (١) .

(٤) وعلى المسلم ألا يقطع التلبية ويفهم معناها - فقد تجرد من الدنيا وأقبل على ربه يقول : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) بخ ح ١ (الحج) ص ١٠٦ .

(١) بخ ح ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٥) وإذا عاد الحاج استقبال بالبحر فيقول له مستقبله (حج مبرور وعمره متقبلة ، سنة النبي صلى الله عليه وسلم) بخ ح ١ (الحج) ص ١٠٨ .
(٦) وإذا نظرنا إلى ما يقوله الحاج ويعمله - بدت لنا مظاهر التجرد من الدنيا واضحة ، فإذا عاد فإنه يجب أن يظل صورة عملية مستمرة ليكون قدوة صالحة لغيره ، وبعض الناس يمتنع عن أداء هذه الفريضة نظراً لما يراه من سوء سلوك الحجاج بعد عودتهم - وهذا جهل وإثم كبير ، وما كان العمل المشروع ليرفض من أجل أنه لم يثمر مع فلان وفلان ، فالحج لله على من استطاع إليه سبيلاً ، وعن عمر : (لقد هممت أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جشدة فلم يحج ، فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين) .

(٧) ومن الناس من يؤخر الأداء ويكتفي بأنه ينوى - وهذا تأخير في عمل البر ، بل هو تقصير خصوصاً عند من يقول الحج مفروض على الفور ، وفي الحديث : (تعجلوا إلى الحج فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له) .

(٨) وليعلم المتشدقون بتحكيم العقل في كل شيء أن في أعمال الحج اختباراً للقلوب ولمدى الإيمان ، ومتى ثبت فعل النبي له فعلناه ولو لم تستغف عقولنا ، وحكمنا أن عقولنا محدودة وأنها تدرك وتوقن أن رسالة التوحيد لا تعود بالمرء إلى الوثنية ، ولكن نسأل أنفسنا هل نعبد الله بهواناً ، أو أنه لا يؤمن أحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ؟ وهذا عمر بن الخطاب النقيض تحدثه نفسه عن المرولة في الحج فيقول : (فإلينا والرمل إنما كننا رأينا به المشركين وقد أهلكهم الله ، ثم قال : شيء صنعه النبي فلا نحب أن نتركه) بخ ح ١ (الحج) ص ١٠٩ .

(٩) والإسلام يقر الخير ولو كان يعمل في الجاهلية ، (كان العباس يسقي الحجيج في الجاهلية فلما أسلم استأذن أن يبيت بمكة ليألى منى من أجل السقيا فأذن له النبي) بخ ح ١ (الحج) ص ١١٠ .

(١٠) ويحرم على الحاج النسوق والرفث والجدال ، ولا يتعرض لقتل صيد إلا بعض الدواب يقتلن في الحرم (خمس من الدواب كلهن فاسق يقتلن في الحرم : الغراب ، والحدأة ، والعقرب ، والفأرة ، والكلب العقور) خ > ١ (جزاء الصيد) ص ١١٧ .

(١١) ومن السنة زيارة المدينة لقبر النبي والمسجد ولما فيها من فضل (أمرت بقرية تأكل القرى يقولون يثرب وهي المدينة ، تنفى الناس كما ينفى الكير خبث الحديد) خ > ١ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٢) والمدينة دار الهجرة وبلد الانصار ومأوى المؤمنين ، (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) (١) .

(١٣) والمدينة بلد عصمه الله من الدجال الذي سيظهر في قرب قيام الساعة (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافر ومنافق) خ > ١ (فضائل المدينة) ص ١٢٠ .

(١٤) والوقوف بعرفة هو الركن الأعظم وهو مهبط الرحمة ، فيه يتجلى الله على عباده فيغفر ذنوبهم ويباهي بهم (ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء فيقول : انظروا إلى عبادي جاءوني شعثا غبرا ضاحين ، جاءوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي ، فلم ير يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة) .

(١٥) وفضل الله الذي كان ينزل على النبي وصحابته ممتد إلى يوم القيامة (أتاني جبريل عليه السلام آنفا فأقرأني من ربي السلام وقال إن الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر الحرام وضمن عنهم التبعات .

فقال عمر : هذا لنا خاصة ؟ قال النبي : لكم ولسائر الناس ليوم القيامة) .

(١٦) والحج من أفضل الأعمال وأعظم القرب ، فيجب أن يكون بمال حلال ، ليس القبايم به مدينا لأحد ، وليستسمح من ظلمه من غير أن يتعرض لتحديد جريمته . إن كان صاحب الحق فيها لا يعلمها ، وليتب إلى ربه - فقد تمها للقائه ، وفي الحديث : (أى العمل أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، ثم الجهاد ، ثم الحج المبرور) بخ ج ١ (الإيمان) ص ١٠ .

(١٧) وإذا كان الحج في زمان معلوم فإن العمرة لم تحدد بزمن - وهى الطواف والسمى ، وحكمها سنة (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) بخ ج ١ (العمرة) ص ١١٥ .

(١٨) ومن حج مستكملا للشروط والأركان مؤديا ما عليه رجع كيوم ولدته أمه وكان من العتقاء ، ومن حظى بفضل عرفات الذى يقول فيه النبي : (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدا من النار من يوم عرفه) .

(١٩) وما أحسن العمرة إن كان المعتمر صائما ، أو كانت في رمضان - ففيها من الفضل ما كان يتمناه الإنسان لو تقدم به الزمان ليحج مع خير الأنام (عمرة في رمضان تعدل حجة أو حجة معي) بخ ج ١ (جزاء الصيد) ص ١١٨ .

(٢٠) وإذا اصطحب الحاج طفلا معه كان الطفل متنفلا ، وكان من صحبه مأجورا (ألهذا حج ؟ قال : نعم ولك أجر) .

(٢١) ويجوز للحاج أن يتجر ، وأن يبيع ويشترى من غير أن تطفى التجارة على أعماله في الحج (كانت عكاظ ، ومجنة ، وذو المجاز أسواقا في الجاهلية ، فتأثموا أن يتجروا في المواسم ، فنزلت ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) .

الموضوع التاسع عشر الجهاد

١ - القتال شرع في الإسلام للدفاع لا للهجوم والقهر - فالحرية الدينية منحة الإسلام للجميع، ولكن قد يضطر لحمل السلاح أى إنسان إن هددت نفسه أو منع من نشر مبدئه الداعى إلى السلام والإصلاح . ولقد عاش المسلمون بضعة عشر عاما يتحملون من الأذى حتى أنزل الله د أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وكل آيات القرآن تشير إلى السبب الذى من أجله شرع القتال . والذين تعلموا من النبي دروس الجهاد قد سألوه للموازنة بين حياتهم التى يعيشونها وحياتهم التى يأملون فيها (يارسول الله أرأيت إن قتلت فأين أنا ؟ قال : فى الجنة . فألقى السائل تمرات كن فى يده وقال : لئن عشت حتى أكل التمرات إنها لحياة طويلة ، ثم قاتل حتى قتل) مخ ج ٢ (غزوة أحد) ص ٧٥

٢ - بهذه الروح العالية تلقى المسلمون دروسهم ، وبهذه التوجيهات السامية نشر المعلم دروسه فى صدق وبعد عن الإغراء بالدنيا ، بل كان يعد تلاميذه للحرب فى جهتين حرب ضد عدو ، وحرب على النفس والهوى وسلطان الدنيا (لغدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها) مخ ج ٢ (الجهاد) ص ١٤

٣ - ولقد كان يعلمهم أن انتظار العدو والاستعداد له أعظم من حياة مليئة بالاستعباد والفساد (رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع صوت أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها) مخ ج ٢ (الحور) ص ١٩

٤ - والجهاد طاعة لله لاتدانيه طاعة . وللمجاهد أجر ورزق لا ينقطع .

وهو معصوم من الذنن التي قد تفسد على المرء دينه (رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه أجرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان) .

(٥) وقد يظن المفسدون أنهم مجاهدون ، كما قد يظن أعوان الظلمة أنهم مجاهدون . ولكل إنسان أن يدعى أنه مجاهد بعمله . والفيصل بين الحق والباطل هو سبيل الله واعلاء كلمته وأية وجهة تسلك سيلا غير هذا أو تنجها اتجاها بعيدا عن هذا فليس ذلك بجهاد (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) .

(٦) وما جاء من فضل للمجاهدين إنما يعنى طوائف معينة ونفوسا محددة . قلوب حركتها إلى الجهاد شعور ومسئولية ، ونفوس حملها على البذل لإيمان بالله ورسوله هم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه هؤلاء تكفل الله لهم بالأجر وهم قد قبلوا عهده (تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي . فهو ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة . والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كيأته يوم كلم ، لونه لون دم وريحه ريح مسك ، والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق ذلك على المسلمين ما قعدت سرية تغزو في سبيل الله أبدا ، ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يحمون سعة ، ويشق عليهم أن يتدخلوا عني والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل) .

(٧) هكذا أمنية بنى ورسول ، وإحساس بشعور من حوله . تكاليف مادية هي التي تمنع المسلمين من الخروج في سبيل الله . (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا الله ورسوله ، ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) يالها من نفوس

طيبة وقلوب مؤمنة جاهدت في سبيل الله فاستحققت تكريما لا يناله إلا مجاهد ،
والحق أن كل داعة تخف عندما توزن بالجهاد (دلتى على عمل يعدل الجهاد ؟
قال : لا أجده ، ثم قال : هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك
فتقوم ولا تغتر وتصوم ولا تفطر ؟ قال : ومن يستطيع ذلك ؟) خ > ٢
(الجهاد) ص ١٤ .

(٨) وإذا كان الجهاد داعة متواصلة ومن أعظم الطاعات ، فإن الله أفرد
له جزاء لم يمنحه لساير الناس (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين
في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض) خ > ٢ (الجهاد)
ص ١٤

(٩) ومن للناس من يملك المال ، ومنهم من يقدر على حمل السيف
ولا مال له — فإذا تعاوننا معا كان كل منهما مجاهدا وحده (من جهز غازيا
فقد غزا) خ > ٢ (الحور) ص ١٧

(١٠) وقد يكون للمجاهد من كان يرعاهم . وكان من الضرورة رعاية
مصالحهم حتى يعود إليهم من يعولهم . والقائمون بهذا لهم نصف أجر
المجاهدين (أيكم خلف الخارج في أهله وماله بخير كان له مثل نصف أجر
الخارج) .

(١١) وإذا انتقل المرء من الدنيا وأراحه الله من شروها وأدخله الجنة،
فلن يتطلع إلى الدنيا إلا المجاهد فإنه يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليتكرر
استشهاده، فينال عند الله بكل شهادة كرامة (ما أحد يدخل الجنة يحب أن
يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا للشهيد ، يتمنى أن يرجع
إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة) .

(١٢) وذلك الأجر ليس لكل قتيل ، وإنما للصابر الذى احتسب
نفسه عند الله — قابل الموت بشجاعة ليس بحريص على الدنيا (إن قتلت
في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر) .

(١٣) ولما حزنت امرأة على قتل ولدها قالت للنبي أين ولدى؟ قال لها: في الجنة، فسألت عنها فقال: إنها جنان في الجنة وأن أبنك أصاب الفردوس الأعلى) ج ٢ (الحدود) ص ١٦

(١٤) وعندما يرى الشهيد ما أعده الله له لا يحس من وقع القتل إلا بشيء يسير كالمنحدر الذي تجري له الجراحة لا يشعر منها بشيء (ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة).

(١٥) ومن الناس من يستهين بالحروب ولا يفكر في آثارها ولا يدرك من مسؤولياتها إلا مجرد كلمات فارغة يحمس بها بعض الناس، فإذا جاءت الساعة كان أول الهاربين وأعلى الناس صياحا وأغزرهم دموعا على ماضع. وهذا الخلق لم يرب الإسلام عليه أبناءه، بل خلق آخر يعودهم المسؤولية ويدربهم النبي عليه (لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية). فإذا لقيتموهم فاصبروا، وأعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف، ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم) ج ٢ (الحدود) ص ٢٢

(١٦) والمجاهد قريب من ربه يستجيب منه دعاءه (ثنتان لا تردان أو قلما تردان: اندعاء عند النداء، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا).

(١٧) وعلى المهرة المدربين أن يسرعوا إلى حمل السلاح إن دعا الداعي، فإن تأخروا فهم العصاة البعيدون عن الإسلام (من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى).

(١٨) وإذا كانت الحروب تتطلب كثرة الإنتاج وتوحيد الجهود فإن الإسلام يقرر هذا المبدأ ويوجب التعاون من الصانع والجندى وسائر الأفراد. فكل من يمتسب بعمله ويرجو به رضوان الله فهو شريك (م ١٠ - نظرات السنة)

في أجر المجاهد (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة - صانعه
يحتسب في صنعته الخير ، والرامي به ومنبله) .

(١٩) ولقد كان النبي يحبس الناس ويذكرهم بأجسادهم (ارموا بني لحيان
فإن أباكم كان راميا) بخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

(٢٠) والجهاد ضريبة على كل مسلم قادر عليه ، فإذا انقضت حياته ولم
يشارك في الجهاد إن كان هناك باب للجهاد ، وإن لم يكن فلا أقل من أن
يكون مستعدا إليه مجفدا نفسه من أجله ، وإلا فإن حياته لم تكن كحياة
المؤمنين (من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة
من النفاق) .

(٢١) والمتأخرون بسبب الأعذار لهم من الأجر كما لو اشتركوا فعلا
لأنهم ما منعهم إلا العذر والله أعلم بهم (إن بالمدينة لرجالا ما صرتم مسيرا
ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم ، حبسهم المرض) بخ ج ٢ (الحور) ص ١٧ .

(٢٢) والواقفون في ميدان القتال تختلف وجباتهم ، وثواب المرء على
ما يعمله وينوى عليه ويخلص فيه (يارسول الله : الرجل يقاتل شجاعة
ويقاتل حمية ويقاتل رياء - فأى ذلك في سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) بخ ج ١ (العلم) ص ٢١ .

(٢٣) ولقد عودهم النبي أن الجهاد ليس نزهة بحرية أو رياضة بدنية -
بل عليهم أن حرص المجاهد على الحياة ينقص من أجره ، وأن موته أنفع
له وأحفظ لكرامة أمته وأبقى لكرامة دينه (مامن غازية أو سرية تغزو
فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجرهم ، وما من غازية أو سرية تخفق
وتصاب إلا أتم لهم أجرهم) .

(٢٤) والجهاد سياحة الأمة (إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله
عز وجل) .

(٢٥) وكما يكون بالنفس يكون بالمال وباللسان ، كل حسب طاقته
(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) .

(٢٦) وتجب الكياسة في الحرب (الحرب خدعة) مخ > ٢ (الحدود)
ص ٢٤ .

(٢٧) وكل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، وهناك آخرون شهيداء
لم يقتلوا في سبيل الله (ما تعدون الشهداء فيكم؟ قالوا: يا رسول الله من
قتل في سبيل الله فهو شهيد قال: إن شهداء أمتي إذن لقليل . قالوا: فمن؟
قال: من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ،
ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن فهو شهيد ،
والغريق شهيد) .

(٢٨) ويجب الدفاع عن المال وتقرير حق الدفاع الشرعي ، ومن
أصيب وهو يدافع عن حقه فهو شهيد (أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ
مالى؟ قال: فلا تعطه مالك . قال: أرأيت إن قاتلنى؟ قال: قاتله . قال:
أرأيت إن قتلنى؟ قال: فأنت شهيد . قال: أرأيت إن قتلته . قال: هو
في النار) .

(٢٩) والحقوق التي يجب الدفاع عنها هي الضرورات (من قتل دون
ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو
شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد) .

(٣٠) ولا يسمو القتال بصاحبه إلا حين يخلص العمل لله غير ملتفت
إلى شهرة ولا إلى منصب ، وهكذا لا يثمر العمل إلا إن كان خالصا لله
(إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمته
فعرفها . قال: ما عملت فيها؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى استشهدت ، قال:
كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جرىء فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على

وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فألقى به فعرفه
نعمه فعرفها - قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك
القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال
قارىء - فقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى في النار ، ورجل
وسع الله عليه وآتاه من أصناف المال ثم أتى به فعرفه نعمه فعرفها - قال
فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها
لك . قال : كذبت ولكنك أعطيت ليقال جواد . فقد قيل - ثم أمر به
فسحب على وجهه حتى ألقى في النار) .

(٣١) فإن لم يبيع شهرة ولكنه اشتهر من غير تدبير منه ولا سعى إليها
فشهرته بشارته له (أرأيت الرجل الذى يعمل العمل من الخير ويحمده الناس
عليه ؟ قال : تلك عاجل بشرى المؤمنين) .

(٣٢) ولنساء المجاهدين حرمة على القاعدين كحرمة أمهاتهم فى وجوب
تكريمهن وتساوى ظلمهن بالظلم الواقع على الأمهات ، وخيانة المجاهد فى
أهله تجعله يأخذ من خائنه كل حسنة عند الله (حرمة نساء المجاهدين على
القاعدين كحرمة أمهاتهم . ما من رجل من القاعدين يخلف رجلاً من المجاهدين
فى أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة يأخذ من حسنة ما شاء حتى
يرضى . ثم التفت النبى وقال : ما ظنكم) .

(٣٣) وللشهيد من التكريم ما ليس لسواه . فيروى أن عبد الله بن حرام
والد جابر بن عبد الله لما قتل ونقلوه قال النبى لهم : (ما زالت الملائكة تظله
بأجنحتها حتى رفعتهموه) بخ ١ (الجنائز) ص ٨٦ .

(٣٤) وللقتال نظام يجب أن يتبع ، وكله يوحى بمعانى الإنسانية ،
فلا يصح باسم الحروب تجاهل الإنسانية والرحمة (إذا قاتل أحدكم فليجنب
الوجه) بخ ١ (العتق) ص ١٥٢ .

(٣٥) وقد عرف الإسلام نظام المخابرات واستعمله في الحروب ضد الأعداء ليتعرف على قوتهم (من يأتيني بخبر القوم يوم الأحزاب ؟ قال الزبير أنا . قال النبي : إن لكل نبي حواريا وحوارى الزبير) خ ٢٠ (الحدود) ص ١٨ .

(٣٦) وأشار إلى وسائل كسب الحرب من إعداد العدة كل زمان وما يتناسب له : وكانت الخيل تساوى عندهم المدرعات فأشار إليها (الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة - الأجر والمغنم) خ ٢٠ (الحدود) ص ١٨ .

(٣٧) وكانت المرأة تجاهد فتقوم بعمليات التمريض ويعرف لها الصحابة حق قدرها - فقد قال عمر (أم سليط أحق بالمرط من بنت بنت النبي . إنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد) خ ٢٠ (الحدود) ص ١٩ .

(٣٨) وعن الربيع بنت معوذ (كننا نغزوا مع النبي نسقى القوم ونخدمهم ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة) خ ٢٠ (الحدود) ص ١٩ .

(٣٩) وكان النبي يعد العدة ويأخذ الحيلة (كان سهرافقال : ليت رجلا من أصحابي صالحا يحرسنى الليلة إذا سمعنا صوت سلاح . فقام سعد بن أبى وقاص بالحراسة) خ ٢٠ (الحدود) ص ١٩ .

(٤٠) وكان لا ينسى المواقع التى انتصر فيها والتي انهزم فيها ، إن مر عليها عاد إلى ذاكرته النفر الذين بذلوا أرواحهم معه . كان يقول عن أحد (هذا جبل يحبنا ونحبه) خ ١٠ (الزكاة) ص ١٠٣ .

(٤١) وللجهاد أن يفطر فى رمضان ليقوى على العمل ولينال الأجر (كانوا فى الجهاد فقال النبي : ذهب المفطرون اليوم بالأجور) (١) .

(٤٢) ولا يدري أحد بعد الأخذ بالأسباب مقدار الصلة بين تلك الأسباب ونتائجها ، لكن على المحارب ألا يحتقر أحداً معه فلعله أن ينتصر به ، وفي الحديث : (لا يغشوني في ضعفائكم - هل تنصرون وتزقون إلا بضعفائكم ؟) خ ٢٠ (الحور) ص ١٩ .

(٤٣) وقد تنبأ النبي بما ستكون عليه الجيوش الإسلامية فقال مبشراً : (أول جيش من أمتي يغزون في البحر قد أوجبوا ، وأول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم) (١) .

(٤٤) ومن قواعد الحرب في الإسلام أنه لا يحارب إلا المحارب دون تعرض للمسلمين ، وفي الحديث (أنكر النبي قتل النساء والصبيان) (٢) .

(٤٥) إلا إذا اشتركن في الحرب فيجوز أسرهن ، وقد كانت المرأة تقوم بدور فعال كما سبق ، وفي الحديث : (ما تلفت يميناً أو يساراً إلا رأيتها أى نسيبة بنت كعب المازنية تذود عني) .

(٤٦) وشاركت نسيبة في حرب اليمامة وفقدت ذراعها وأنفق أبو بكر عليها حتى ماتت ، وكانت المرأة تساهم لتنال الشهادة وتحظى بفضل الشهداء الذين جاء فيهم . (الشهداء على بارق نهر يباب الجنة في قبة خضراء ، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشياً) .

(٤٧) ولما كانت غزوة أحد واستشهد فيها سبعون وتساهل الناس عن مصير الشهداء قال لهم النبي : (لما أصيب إخوانكم جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم

(١) خ ٢٠ (الحور) ص ٢٠ .

(٢) خ ٢٠ (الحور) ص ٢٣ .

قالوا : من يبلغ عنا أننا أحياء في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينسكلوا عن الحرب ؟ فقال الله تعالى : أنا أبلغهم عنكم ، قال : فأنزل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

(٤٨) وفي سرية مؤتة عندما أصيب القواد الثلاثة : زيد بن حارثة وجعفر ، وعبد الله بن رواحة - قال النبي عنهم : (رأيتم يرفعون إلى الجنة فيما يرى الناس على سرر من ذهب ورأيت في سرير عبد الله بن رواحة لزورارا عن سريري صاحبيه فقلت مم هذا ؟ فقل لي مضيا تردد ثم مضى) .

(٤٩) ولقد كان يهتم بأسر الشهداء ويرعى أبناءهم ويقول في دعائه لهم .
(اللهم أخلف جعفرا في أهله ، وبارك لعبد الله في صفقة يمينه . وقال لزوجته : العيلة تخافين وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) .

(٥٠) ثم أخذ يقول لأسر الشهداء ويصف أحوالهم (ما يسرهم أنهم معنا . أجل إن الأجر الذي صاروا إليه أحب لنفوسهم وأقر لعيونهم من الدنيا وما فيها ومن فيها ، أما أسرهم ففي كنف الله وهو نعم المولى ونعم النصير) .

الموضوع العشرون القرآن

(١) هو دستور الأمة ، والمصدر الأول لتشريعها ، نذب الشارع إلى حفظه ، وكرم الله المستمسكين به الواعين له - فهم واحد من طوائف ثلاث أجلمهم الله (إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشبهة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان المقسط) .

(٢) ولقد كان العمل بالقرآن مسوغا للتفضيل ومقدما لصاحبه حتى فى الآخرة ، ويروى أن النبي كان يسأل عن قتلى أحد ويقول : (أيهما أكثر أخذنا للقرآن - ليقدمه فى اللحد يوم أحد) (١) .

(٣) ويجب قراءته فى الصلاة ، ويستحب قراءته فى غير الصلاة ، فإن التلاوة وسيلة للتدبر وطريق للحصول على الأجر ، (اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعا لأصحابه) .

(٤) والمعول عليه هو العمل بما فيه وليس مجرد تردادده . فقد يكون حجة على التالى الذى لم يعمل ، أما العاملون به فإنهم يجهلون يوم القيامة تدافع عنهم آيات كانوا يعملون بها فى الدنيا (يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فى الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران ، تحاجان عن صاحبهما) .

(٥) ولكل إنسان أن يقرأ من القرآن ما شاء ، لا يمنعه عدم تجويده أو تعثر فى القراءة - فإنه مأجور ، ويحاول أن يتعلم فلا يصد ، (الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران) (٢) .

(١) بخ ١ (الجنائز) ص ٩١

(٢) بخ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤ .

(٦) وللإيمان حلاوة وللقرآن ريح طيبة ، وفي معنى الحديث : (مثل المؤمن الذي يقرأ كالأترجة طعمها حلو وريحها كذلك ، والمؤمن الذي لا يقرأ كالتمر طعمها حلو ولا ريح لها والمنافق الذي يقرأ كالريحانة طعمها مر وريحها طيب ، والمنافق الذي لا يقرأ كالحنظلة لا ريح لها وطعمها مر) (١) .

(٧) ولقد كان القراء يحسون بمشاركة الملائكة تستمع لما يقرءون وهذا قارىء كان يقرأ سورة الكهف فرأى سحابة أظلمت ، فسأل النبي فقال : (تلك السكينة تنزلت للقرآن) مخ ج ٢ (إسلام أبي ذر) ص ٥٤ .

(٨) وللقارىء أجر عن كل حرف يقرؤه لا يحده عدد ، ولا حرج على فضل الله (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف واللام حرف والميم حرف) .

(٩) والقرآن غذاء روحي ، إذا خلا القلب منه اعتراه الذبول (إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) .

(١٠) وكلما قرأ حرفاً ارتفع به منزلة عنده (يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت تتلو فى الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها) .

(١١) ومن الكبائر أن يحفظه إنسان أو يحفظ شيئاً منه ثم لا يردده فيضيع منه (تعبدوا هذا القرآن ، فوالذى نفس محمد بيده طو أشد تغلثنا من الإبل فى عقلها) مخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٧ .

(١٢) ورتل القرآن ترتيلاً باخراج الحروف من مخارجها ، والتزام قواعد التجويد ، والخشوع ، وتحسين الصوت (ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنّى بالقرآن يمجهر به) .

(١٣) وللقرآن فضل ، ولبعض الآيات فضل (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه) مخ ج ٢ (المغازى) ص ٧٣ .

(١٤) ويجب صيانة المصحف فلا يعرض للإستهزاء به (نهى أن يسافر بالقرآن لأرض العدو) مخ ج ٢ (الحور) ص ٢٣ .

(١٥) ومن يستطيع أن يقرأ القرآن بتجويد فقرأه بغير تجويد فقد وقع في الحرام (اعترض ابن مسعود على قراءة بغير مد للفقراء في قوله تعالى : إنما الصدقات للفقراء والمساكين الآية ، وأنكر على القارئ قراءته بغير مد) .

(١٦) وتعلم القرآن وتعليمه من صالح العمل (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) مخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ .

(١٧) والقرآن لا تنتهى عجائبه ومعين من المعاني لا ينضب - كلما ازدادت فيه قراءة انكشف لك كما لو كنت لم تقرؤه من قبل ، والمهم العمل (القرآن شافع مشفع وما حل مصدق ، من جعله أمامه قاده ، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار) .

(١٨) وينتفع الوالدان من قراءة ولدهما ، لأن الولد امتداد لوالديه (من قرأ القرآن وعمل به ألبس والداه تاجا يوم القيامة ، ضوءه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذى عمل بهذا ؟) .

(١٩) والتلاوة تدريب للسان على النطق الصحيح (عليك بتلاوة القرآن فإنه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء) .

(٢٠) وعلى الحامل للقرآن أن يكون عزيزا به ، لا يقرؤه فى مكان لا يستمع القرآن فيه ، ويوسفنا أن نرى أولئك الذين يقرءونه فى الطرقات ويذهبون الناس فى القرآن بعرضهم الرخيص والبذىء ، هدايا الله وأعزنا بالقرآن (من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى إليه ،

ولا ينبغي لصاحب القرآن أن يحد مع من وجد ، ولا يجهل مع من جهل
وفي جوفه كلام الله .

(٢١) ويحتوى القرآن على كنوز من المعارف يشير إليها بإشارات دقيقة
وكل قارئ يأخذ نصيبه بقدر استعداده ، وهذا وصف للقرآن من نزل عليه
القرآن : (إن هذا القرآن مآدبة الله ، فاقبلوا مآدبته ما استطعتم ، إن هذا
القرآن جبل الله والنور المبين والشفاء النافع - عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه ، لا يزيع فيستعجب ، ولا يعسوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ،
ولا يخلق من كثرة الرد ، أتلهه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف
عشر حسنات) .

(٢٢) وللقرآن قوم تخصصوا في أحكامه ، وهم أدرى الناس بها ، فيجب
الرجوع إليهم عند الحاجة (استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ،
وسالم مولى حذيفة ، وأبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل) (١) .

(٢٣) ولجلس القرآن آداب يجب أن تراعى ، وكلما زاد الخشوع كثر
عدد الملائكة المستمعين ، وقد قال النبي لقارئ حسن الصوت : (تلك
الملائكة دنت لصوتك ، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى
منهم) خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ .

(٢٤) ولعوامل دخيله على الإسلام استهان البعض بمن يعلون القرآن .
مع أنهم من خيرة الناس وأفضلهم (إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)
خ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢٥) ومن الناس من يتلاعب بالقرآن ، يظهر ما يؤيده ولا يهتم بما يعارضه
ومنهم من يستدل بالقرآن ولا يعمل به في نفسه - هؤلاء لا يؤثرون كثيرا
في غيرهم ، ولكن حين يظهر النفاق منهم ويخضعون البعض ويضللون باسم

(١) خ ج ٢ (فضائل الصحابة ص ٦٠) .

الدين - فهنا تبدو خطورتهم واضحة ، يحذروا منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : (يخرج فيكم قوم تحتقرون صلاتكم مع صلاتهم ، وصيامكم مع صيامهم ، وعملكم مع عملهم ، ويقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في النصل (١) فلا يرى شيئاً ، وينظر في القدح (٢) فلا يرى شيئاً ، وينظر في الريش (٣) فلا يرى شيئاً ، ويتبارى في الفوق (٤)) بخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٧ .

(٢٦) ويجب الاستماع والإنصات - وإذا قرأ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ، ومن الناس من ينصرف عن الاستماع بذهنه ، ولو أنه إنصرف أو أسكت القارئ إن لم يكن غيره يسمع معه - لو أنه فعل ذلك لكان أقل شراً من سماع ، والقلب في شروء بعيد عن التدبير عن التدبر (اقرءوا القرآن ما تلفت عليه قلوبكم ، فإذا اختلفتم فقوموا عنه) بخ ج ٢ (فضائل القرآن) ص ١١٨ .

-
- (١) جزء من السيف أو السهم .
 - (٢) ما يشرب فيه .
 - (٣) ما يلزق على السهم .
 - (٤) يتشكك في النصر .

الموضوع الحادى والعشرون

الكذب

(١) لما كان الكذب يتنافى مع الإيمان أفردت له موضوعا أشير إليه لبيان خطورة الكذب . وأول ما افتتح به هذا الموضوع الظن الذى يدور بخلد بعض الناس فيظنون السوء من غير مبرر ، وهذا من الكذب (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) خ ٢ الأدب ص ١٤١

(٢) وكل ما يشكك الإنسان من غير أمارات على التشكك فيجب طرحه حتى لا يعيش الإنسان فى قلق ، وعلى الإنسان أن يسلك كل سبيل مستقيم لاشبهة فيه (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة والكذب رية) .

(٣) ويمكن أن تجتمع بعض الخصال المذمومة فى نفس المؤمن ولا تخرجه عن الإيمان ، ولكن توجد خصلتان لا تجتمعان مع الإيمان (يطبع المؤمن على الخلال كلها إلا الحيانة والكذب) .

(٤) والكذاب لا يدخل الجنة لأنه ليس بمؤمن — إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله : وفى دركة الكذاب الزانى الذى لم يتب والمنزور الذى لا يعرف قدر نفسه (ثلاثة لا يدخلون الجنة : الشيخ الزانى والإمام الكذاب والعائل المزهو) .

(٥) وكلما زاد الضرر المترتب على الكذب زاد خطره . ومن أكذب الكذب — الكذب على رسول الله لما فى ذلك من خداع (إن كذبا على ليس ككذب على أحد : فإن من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) خ ١٠ (الجنائز) ص ٨٨

(٦) ومن هذا الباب كذب الأدعياء المنتسبين للعلم الذين ينشرون الباطل ويلبسون الحق به وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم عما يقولون

(يكون في آخر أمتي أناس دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا أتم ولا آباؤكم ، فاياكم ولا يهاهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم) .

(٧) وقد يتهاون المرء في كلمة لا يظنها من الكذب وهي منه . وهذه امرأة تعد طفلها بتمرة فيقول لها النبي (لولم تعطه تمرة كتبت عليك كذبة) .

(٨) والكذب يحاسب عليه الإنسان باعتبار ما يترتب عليه من ضرر (إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذبية كذبية) .

(٩) ومن الناس من يلهو ويطلق الكلمة بالباطل يريد أن يضحك بها الناس وهو لا يدري أنها كتبت عليه وسجل عليه أثم الكذب (ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ، ويل له ويل له) .

(١٠) ومن الناس من يستغل طيبة قلوب بعض الناس فيخدعهم ويصدقونه ، زاعما أنه استحوذ عليهم وامتلك قلوبهم وهو في الحقيقة عند الله خائن كذاب (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له كاذب) .

(١١) وقد يخاف المؤمن ويحزن ، وقد يحرص ويبخل من غير نقصان للفرائض التي افترضت عليه ، ومع ذلك البخل والجبن يعد مؤمنا ، لكن إذا كذب إنسلخ من الإيمان (يا رسول الله : أليكون المؤمن جباناً ؟ قال : نعم . أليكون المؤمن بخيلاً ؟ قال : نعم . أليكون المؤمن كذاباً ؟ قال : لا) .

(١٢) والصدق مع الله . والإقبال عليه بقلب سليم يحقق للإنسان ما نواه باخلاص ولو لم يبلغه بعمله (من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه) .

(١٣) ولقد دعا الإسلام المسلم ليصلح بين الناس ، وتجاوز الله عما يقوله المسلم يريد به الإصلاح ولو كان في صورة تخالف الواقع ، حرصا على إزالة الضعائن وتأليف القلوب (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيمنى خيراً أو يقول خيراً) خ ٢ (الإصلاح) ص ٦

الموضوع الثانى والعشرون

الجزء

(١) للإسلام وسيلتان يحقق بهما العدل :

١ - التوجيه .
ب - التشريع

والتوجيه هو حديثنا فى هذا الموضوع . ومن المعلوم أن الناس يندفعون إلى العمل للحصول على مكافأة من ورائه ، أو يجمعون عن عمل خوفاً من عقاب عليه . وكل تكاليف الإسلام تخضع لهذا القانون الثواب والعقاب .

ولقد أقام الإسلام تشريعات عادلة تطبق على أناس يسهل ضبط أعمالهم وإثباتها عليهم من غير تجسس ، وحينئذ يطبق عليهم تشريع الدنيا الذى قرره القرآن وبينته السنة ، وتوجد بعض الأعمال لا تخضع للإثبات أحياناً كالكذب غير المادى والإفطار فى رمضان مثلاً . فمثل هذه الجرائم عقاب أخرى . وإذا نظرنا إلى الحركة الكبرى التى قام بها النبى فنجعل من عرب الصحراء عباقرة ومفكرين ، ومن متكالبين على الدنيا إلى راغبين فى الآخرة ، ومن كفره برهمن إلى مؤمنين به وبكل فضيلة . إن سر هذا الاندفاع لم يكن لإغراء مادية فى الدنيا ، ولم يكن خوفاً من عقوبات تنفذ عليهم . ولكن سر هذا لما استقر فى ضمائرهم بفضل النبى صلى الله عليه وسلم ، ولما فهموه من أن الدنيا قصيرة والآخرة فيها حياة مديدة والله عادل ، فإذا انتهت الدنيا على ما فيها من ظلم وانطوت معها الحياة عندئذ لم يتحقق عدل الله . فكان من الضرورى إقامة حياة أخرى يأخذ كل حقه فيها ، وعلى الجميع أن يذكروا أن طريق النار مفروش بالإغراءات وأما طريق الجنة فمحفوف

بالصعاب التي يتحتم على المؤمن أن يتغلب عليها . (حجب النار بالشهوات وحجب الجنة بالمسكاره) (١) .

(٢) والنعيم المقيم الذي يحصل عليه الإنسان في الجنة أو العذاب المقيم في النار — ليس هذا أو ذاك في غير مقدور الإنسان ، بل كلاهما يمكن تحقيقه بمجرد فعل خير أو شر (الجنة أقرب إلى أحدكم من شراك نعله والنار مثل ذلك) خ - ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥

(٣) ولو أن كل إنسان استغل كل وقته ومقدرته لتنمية الخير ما كان هناك خوف رهيب من الأشرار . (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ) خ - ٢ (الاستئذان) ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٤) ولماذا يتكالب الإنسان على الدنيا وقد علم من آمن به أن الإنسان يخرج منها كما دخل فيها ؟ وأن كل ما افتقده فيها من أجل ربه يعرض بخير منه ، وكل ما أخذه لها وهو مغضب لربه سوف يؤخذ منه ويعاقب عليه بالنار ، لا فارق في هذا العدل بين كبير وصغير أو صحابي لرسول الله أو غيره (إنكم محشورون إلى الله تعالى حفاة غزاة غزلا ، كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين . ألا وإن أول الخلق يكسى يوم القيامة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، ألا وإنه سي جاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يارب أصحابي ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم) خ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩

(هـ) وللقضاء على الكبر والغرور والجهن، ولنشر التواضع والإخلاص للخالق — وعد بالجنة وأوعد بالنار (ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره . ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤

(٦) وللموازنة بين دار الأخيار والأشرار ليتعظ الناس يقول : (احتجت الجنة والنار فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون . وقالت الجنة : في ضعاف الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما إنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء ، وإنك النار عذابي أعذب بك من أشاء — ولكليهما على ملؤها) (١) .

(٧) وقد يتساءل الإنسان عن النار وعن أحوال المعذبين فيها ، وليبان الحقيقة وتبصرة الغافلين ولئلا يتساهل أحد في عمل يدخله النار بعد ويقول إن العذاب على هذا العمل قد لا يضر كثيراً . فيقال له ولأمثاله : (إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لرجل يوضع في أخمص قدميه جرتان يغلي منهما دماغه — ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً ، وإنه لأهونهم عذاباً) خ ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٨) وللمحاكمة عند الله موقف يتصعب فيه الإنسان عرقاً من هول ما يراه (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم) خ ٢ (الاستئذان ص ١٤٦)

(٩) ولن ينصرف أحد من مكان المحاكمة حتى يسأل عن كل نعمة منحت له (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل به ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه) .

(١) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٢

(١١ م - السنة نظرات)

(١٠) والله لا يضيع عمل عامل آمن به أو كفر ، ولكن جزاء الكافر في الدنيا وجزاء المؤمن في الآخرة ، وقد يكون في الدنيا (إن الكافر إذا عمل حسنه أطعم بها طعمة من الدنيا ، وأما المؤمن فإن الله تعالى يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته) .

(١١) والإيمان ليس مجرد كلمة ولا الإسلام مظهر ، ولكنه طاعة وإخلاص ، والمؤمنون قليل (أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة ؟ قلنا : نعم قال : أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قلنا : نعم . قال : والذي نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة ، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر) .

(١٢) وليست الجنة مجرد دار يعيش المنعم فيها ، ولكنها حوت من المتع ما يحدثنا عنها من رآها (الجنة طيبة التربة عذبة الماء ، وإنها قيعان ، وإن غراسها سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر) .

(١٣) وعلى الإنسان أن يستعين بربه بكلمة هي من كنوز الجنة (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة) خ ح ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١

(١٤) والحياة الآخرة جزاء بعد المحاكمة العادلة التي يقضى الله بها بين عباده ، ولهذا فقد وجب أن يسدد الإنسان ما عليه كي لا تبقى في عنقه مظلمة لأحد (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم — إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) خ ح ١ (المظالم) ص ١٤٨ .

(١٥) وأول ما يقاضى الإنسان عليه القتل (أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ ، ١٤٧

(١٦) ولقد وعد الله المؤمنين بالجنة ولا يتصورها العقل على حقيقةها ومعرفة لها تحصل عن طريق السمع الصحيح - وتلك طائفة من الأحاديث التي تبين أحوال أهل الجنة وما هم فيه من نعيم . (يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتخوطون ولا يتمخطون ولا يتبولون ، ولكن طعامهم ذاك جشاء كرشع المسك ، يلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس) مخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥ .

(١٧) ويستحيل أن يدرك الإنسان كنه نعيم الجنة (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، فاقربوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) مخ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩

(١٨) (ومجاثرهم الآلوة عود الطيب . أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء) مخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(١٩) (ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن ، لا اختلاف بينهم ولا تباغض ، قلوبهم قلب رجل واحد ، يسبحون الله بكرة وعشيا) مخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٠) (وقال موسى يارب فأعلاهم منزلة . قال : أولئك الذين أردت غرمت كرامتهم بيدي وختمت عليها) .

(٢١) (إن للؤمن خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة في الجنة ، طولها في السماء ستون ميلاً . للؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن ولا يرى بعضهم بعضاً) مخ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣

(٢٢) (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة سنة ما يقطعها) مخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥

(٢٣) (إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهما . قالوا : يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم . قال : بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين) خ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٥ ، ٣٦

(٢٤) (إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادى مناد : إن لكم أن تحموا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصموا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تضعموا فلا تنأسوا أبداً) .

(٢٥) (إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن يقول له تمنى . فيتمنى . ويتمنى . فيقول له : هل تمنيت ؟ فيقول : نعم . فيقول : فإن لك ما تمنيت ومثله معه) .

(٢٦) (إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة : يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط لأحد من خلقك . فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأى شيء أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أخط عليكم بعده أبداً) خ - ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧

(٢٧) (إنكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) خ - ١ (مواقيت الصلاة) ص ٥١

(٢٨) (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم) .

(٢٩) (وإذا كانت الجنة كما وصفت لنا ، ففي النار أهوال تذيب القلوب

(إن لله ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بها)

(٣٠) وعلى العاقل أن يغتنم أوقات العافية فيصل فيها ربه ليصله في وقت الشدة (لغتنم خمسا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفر اغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك) .

(٣١) فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره والناس مجزيون بأعمالهم : لكن قد يغلب الشر أو يغلب الخير فيغفر الله أو يعذب ثم يعفو . (يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، ثم يقول الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيخرجون منها قد أسودوا ، فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل . ألم تر أنها آخرها صفراء ملتوية) (١) .

(٣٢) وكل قول له صدى في قلب صاحبه فإنه ينجه من العذاب (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ووزن برة ووزن ذرة) خ ج ١ (الإيمان) ص ١٢

(٣٣) وكل امرئ يستره عند الله مقدار دينه ، وفي الحديث : (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قصص منها ما يبلغ الثدى ومنها مادون ذلك . وعرض عمر وعليه قيعس يجره . قالوا : فإأولت ذلك ؟ قال : الدين) خ ح ١ (الإيمان) ص ١٠

(٣٤) ولقد ذكرنا النبي بسؤال القبر ، ليعلم الإنسان أنه قد انتهى منه حياة لا حساب فيها ودخل في حياة أول لحظة منها الحساب والمناقشة (وأوحى

إلى أنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدجال . يقال ما عليك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول الله ، جاءنا بالبينات والهدى ، فأجبناه وتبعناه - هو محمد ثلاثاً . فيقال : نعم صالحاً قد قد علمنا أن كنت لموقناً به . وأما المنافق أو المرتاب فيقول لا أدري ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته (١) .

(٣٥) والموفق يثبته الله . والإجابة الصحيحة عن سؤال القبر تعتمد على العمل لا على العلم - فكم من عالم يتخبط وكم من أمي يجيب (إذا أقعد المؤمن في قبره أتى ثم شهد ألا إله إلا الله محمد رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة) خ > ١ (الجنائز) ص ٩٣ .

(٣٦) والأموات يحسون بالعذاب ، كما يحسون في كل ما يوجه لهم من أهل الدنيا (يا رسول الله ألدعو أمواتنا؟ قال : ما أتم باسمع منهم ولكن لا يحيون) خ > ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٣٧) وينكشف عن الميت الغطاء حين يموت ، ويعلم ما كانت تحجبه عنه الدنيا (لأنهم ليعلمون الآن أن ما كنت أقوله لهم حق ، وقد قال الله إنك لا تسمع الموتى) خ > ١ (الجنائز) ص ٩٣

(٣٨) ولقد أحس النبي بتعذيب بعض من في القبور (خرج وقد وجبت الشمس ، فسمع صوتاً فقال : يهود يعذبون في قبورهم) (٢) .

(٣٩) وإذا مات العبد أراه الله مكانه لو أحسن ، ودركته لو أساء - ليزداد المحسن فرحاً ويزداد المسيء حسرة . (وإن أحسنكم إذا مات

(١) خ > ١ (العلم) ص ١٧

(٢) خ > ١ (الجنائز) ص ٩٣

عرض عليه بمقعدته بالغداة والعشي : إن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فن أهل النار ، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة (بخ ح ١) (الجنائز) ص ٩٣ .

(٤٠) والأطفال لا يعذبون . وأبناء المشركين مثل عنهم النبي فقال :
الله إذ خلقهم أعلم بما كانوا عاملين (بخ ح ١) (الجنائز) ص ٩٣ .

(٤١) وهذه أحوال بعض الناس المعذبين رآها النبي في منامه . ومعناه :
(رأيت رجلين أخرجاني إلى الأرض المقدسة إذا برجل يشق فاه بحديدة ، وآخر يضرب رأسه بحجر ، وجماعة في تنور ضيق أعلاه وواسع أسفله وفيه نار ، ورجل قائم في نهر من دم يرمى بحجارة في فيه ، وروضة فيها شجرة عظيمة وفي أصلها شيخ وصبيان ، ورجل قريب منها يوقد نارا ، فصعدا بي وأدخلاني دارا لم أرى أحسن منها - فيها جماعات ، وأدخلت أخرى أفضل - فيها شيوخ وشباب ، قلت أخبراني عما رأيت ؟ قالوا : نعم ، الأول الكذاب ، والثاني من علم القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به في النهار والثالث الزناة ، والرابع آكل الربا ، والشيخ إبراهيم ومن معه أولاد الناس حوله ، ومن أوقد النار مالك خازن النار ، والدار الأولى لعامة المؤمنين ، والأخرى للشهداء ، وكلانا جبريل وميكائيل ، فارفع رأسك ، فرفعته فإذا بمثل السحاب فوق ، فقالا : منزلك ، قلت دعاني أدخله ، قالوا : إنك بقي لك عمر لم تستكمل ، فلو استكملته أتيت منزلك ، والمعذبون على حالهم إلى يوم القيامة (بخ ح ١) (الجنائز) ص ٩٤ . بالمعنى

(٤٢) وكل إنسان يحب أن يأخذ ماله ويدع ما ليس له ، فإن أخذه مثل وعذب (من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) (بخ ح ١) (المظالم) ص ١٤٨ .

(٤٣) والنعيم الذي أعدّه الله ليس من جنس نعيم الدنيا وإن اتفق معه

في التسمية فإنه يختلف عنه في النوع والكيفية (لو أن امرأة من أهل الجنة
اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولمّلاته ريحا ، ولنصيفها على
رأسها خير من الدنيا وما فيها) خ > ٢ (الحور) ص ١٤ .

(٤٤) وكذلك العذاب يختلف عن عذاب الدنيا (ناركم جزء من سبعين
جزء من نار جهنم ، قيل : إن كانت لكافية ، قال : فضلت عليهن بتسعة
وستين جزءا كلهن مثل حرها) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٦ .

(٤٥) وهذا تصوير لموقف ومشهد من مشاهد القيامة أثناء المحاكمة
وتوقيع الجزاء (يقول الله يا آدم ، فيقول : لبيك وسعديك والخير في
يديك ، فيقول : أخرج بعث النار ، قال : وما بعث النار ؟ قال : من كل
ألف تسعة وتسعة وتسعين - فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل
حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، ولكن عذاب الله شديد ،
قالوا : وأين ذلك الواحد ؟ قال : أبشروا فإن منكم رجلا ومن يأجوج
ومأجوج ألفا (١)) ثم قال (يلقي إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى أوجه
آزر قطرة وغبرة ، فيقول له : ألم أقل لك لا تعصني ؟ فيقول : اليوم
لا أعصيك ، فيقول إبراهيم : يارب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون -
فأى خزى أخزى من أبى إلى بعد ؟ فيقول الله عز وجل : إني حرمت الجنة
على الكافرين ، ثم يقال : يا إبراهيم ما تحت رجلك ؟ فينظر فإذا هو
بذئخ ملطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار) (٢) .

(٤٦) وهذا موقف آخر : (إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن : تتبع كل
أمة ما كانت تعبد فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب
إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر
وغبرات أهل الكتاب - فيدعى اليهود فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ قالوا :

(١) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩ .

(٢) خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩ .

كنا نعبد عزيرا ، فيقال لهم : كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فاذا تبغون ؟ قالوا : عطشنا ربنا فأسقنا - فيشار إليهم ألا تريدون ؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضه بعضا فيتساقطون في النار ، ثم يدعى النصارى فيقولون : عيسى ، ويفعل بهم مثلهم ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها ، فيقال : ماذا تنظرون ؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد ، قالوا : فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم ولم نصحبهم ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد ، فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : لا نشرك بالله شيئا مرتين (بخ ٢٠ تفسير القرآن) ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٤٧) والناس يوم القيامة منهم الذين على ربه وإن كان له شأن في الدنيا (يأتى بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة ، واقروا إن شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) بخ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١٠٧ .

(٤٨) والحياة في الآخرة لا تخضع للأقيسة في الدنيا ، فإن كان لها أول فإنها لا تنتهى (يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى هناك أهل الجنة فيشرئبون وينظرون - فيقول : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت - وكلهم قد رآه ، ثم ينادى : يا أهل النار فيشرئبون ، فيقال : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : نعم هذا الموت - وكلهم قد رآه ، فيذبح ، ثم ينادى يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) بخ ٢٠ (تفسير القرآن) ص ١٠٧ .

(٤٩) والجنة واسعة رحبة ، والنار مكتظة بمن فيها (يلقى في النار وتقول هل من مزيد ، حتى يضع قدمه فتقول : تط تط) (١) .

(٥٠) أما دار النلاام فنعم دار المتقين (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن) (١) .

(٥١) ولا ينظر إلى ربه إلا من أخلص العبادة له وحده (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ، ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة ، فيذهب يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤ .

(٥٢) وهذا تصوير لمكان المحاكمة (يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عنراء كقرصة نقية ليس فيها معلم لأحد) (٢) .

(٥٣) وتلك حالة الفاجر فيها (ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧ .

(٥٤) وهذا مزيد من الإحساس بالفضل أو مزيد من زيادة الحسرة (لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ، ولا يدخل أحد النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٧ .

(٥٥) وهذا مشهد من مشاهد عصاة المؤمنين الذين تعلقت بهم حقوق العباد وأسقط الله عنهم حقه (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فيدخلون الجنة) خ > ١ (المظالم) ص ١٤٧ ، ص ١٤٨ .

(١) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٢ ، ص ١١٣ .

(٢) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٦ .

وقد اخترنا التعبير بعصاة المؤمنين تمشيا مع ما يقوله البعض ، وإن كنا لا نميل لهذا التعبير ، فهؤلاء قد ارتكبوا ذنوبا لم تخرجهم عن الإيمان .

(٥٦) وفي كل صلاه يقول المؤمن اهدنا الصراط المستقيم ، وهذا تصوير للصراط (يضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته ، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل .

وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم ، وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم شوك السعدان ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنه مثل شوك السعدان - غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله - فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود ، وحرم الله على النار أن تأكل آثار السجود فيخرجون من النار وكل ابن آدم تأكله النار إلا آثار السجود فيخرجون من النار ما قد انتحشوا ، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حبل السيل) خ - ١ (الأذان) ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٥٧) وهذا مشهد آخر من مشاهد أهل النار (إن رجلين من يدخل النار يشدد صياحهما فيها - فيقول الله تعالى : أخرجاهما ، فيقول الله لأى شيء صياحكما ؟ فيقولون : فعلنا ذلك لترحنا ، فيقول : إن رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما في النار ، فيقومان فيلقى أحدهما نفسه فيجعلها الله عليه يردها وسلاما ، ويقوم الآخر فيلقى نفسه فلا يفعل ، فيقول الله تعالى : مامنك أن تلقى نفسك كما ألقى صاحبك ؟ فيقول : ربي إني لأرجو ألا تعيدني فيها بعد أن أخرجتني منها ، فيقول الله تبارك وتعالى : لك رجالؤك ، فيدخلان الجنة معا برحمة الله تعالى) .

(٥٨) ولا ينفع المرء عند الله إلا عمله الطيب ، والحديث لا ينقلب طيبا وإن بذل في سبيل الخير (من اكتسب مالا من مآثم فوصل رحما

أو تصدق به أو أنفق في سبيل الله جمع ذلك جميعاً فقذف به في جهنم .

(٥٩) وهو علام الزيوب (لو أن أحدكم يلبس في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج للناس عمله كائننا من كان) .

(٦٠) والله يحاسب المرء على ما كان ينويه (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) خ - ١ (بدء الوحى) ص ٥ .

الموضوع الثالث والعشرون

آداب وإرشاد

(١) لقد كان الإسلام ولم يزل ديناً للدنيا والآخرة معا ، يدعو لكل فضيلة وينهى عن كل رذيلة . وهذه ارشادات تتعلق بمعيشة الإنسان قد يظن البعض أن الاسلام خلا منها ، وأردت أن أذكر إشارات ليتبين القارئ عموم السنة وشمولها .

وللأكل والمائدة آداب في الإسلام . وهاهو يرشد مرید الأكل فيقول
(سم الله وكل بيمينك وكل بما يليك) (١) .

(٢) والشیطان يقف للإنسان بالمرصاد حتى اذا ما غضب قاده الى حيث ماشاء . وللتغلب على ذلك الشيطان كان على الإنسان أن يذكر الله كلما تحول الى حال أخرى ، فان ذكرى الله مبعد للشیطان (إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان لأصحابه لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى قال الشيطان : أدركتم المبيت . وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء) .

(٣) وقد يتساءل الناس عن الشيطان ماهو ومن هو الذى يشارك الإنسان طعامه ومبيته . والحق أن ذكر الله يشيع الخير فى جوانب الإنسان ، فان ذكرنا الله عند الطعام تذكرنا أن لغيرنا حقاً ففنعنا بالقليل . وهكذا يقول لأعرابي أكل ولم يسم الله ثم تذكر وسمى (مازال يأكل معه الشيطان ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه) .

(٤) والذين يأكلون بنهم وشرهة لا يعرفون للقناعة معنى .

(١) بخ ٢ (الأطعمة) ص ١٢٧ .

وهذا ما نراه في الدماء والسوقة (إن الشيطان يستحل الطعام ألا يذكر اسم الله تعالى عليه ، وأنه جاء بهذه الجارية فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل فأخذت بيده ، والذي نفسى بيده إن يده في يدي مع يديهما، ثم ذكر الله وأكل) .

(٥) وقد اشتكت جماعة عدم كفاية الطعام رغم أنه كثير ولا يكفهم . فقال لهم النبي : (أما أنه لو سبى لكفاكم) .

(٦) ومن أدب المعاشرة أن تكون رقيقا في نقدك لأهل بيتك حساسا في توجيهك (ما عاب رسول الله طعاما قط : إن اشتهاه أكله ، وإن كرهه تركه) خ ٢ (اسلام أبي ذر) ص ٥٢ .

(٧) وإذا انتهى الإنسان من طعامه طالبه الله بشكر النعمة وعلمه النبي أن يقول : (الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مستغنى عنه ربنا) خ ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٨) ومن أدب المائدة في الإسلام أن يجتمع أهل البيت على مأدبه واحدة فان في ذلك تعاطفا وألفة وبركة . أما الذين يتفرقون فانهم يضيعون من الطعام ما يكفي أمثالهم (يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع . قال : فاملكم تفرقون ؟ قالوا : نعم . قال : فاجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه) .

(٩) ومن الآداب أن من دعى فليلب (من دعى فليجب ، فان كان صائما فليصل ، وان كان مفطرا فليطعم) .

(١٠) ومن الإرشاد والتوجيه الحسن أن يأكل الإنسان مما يليه لا يتعداه إلى مكان غيره أو إلى وسط الإناء .

ولا مانع من أن يأخذ كل إنسان مما يليه في إناء يخصه يأكل منه وحده (البركة تنزل وسط الطعام ، فكلوا من حافتيه ولا تأكلوا من وسطه) .

(١١) وقد كانوا يستعملون وسائل للتنظيف لقلة الماء عندهم لا تنفق مع حياتنا . ومن القواعد المقررة أن العبرة بالغايات - فمثلا (إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح أصابعه حتى يلعقها) بخ ح ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ .

لا يريد بهذا إلا مجرد التنظيف . فاذا وجد الماء والصابون فلا داعي لهذا العمل .

(١٢) وأوصى بالأكل في اعتدال فلا يأكل وهو مضطجع أو متكئ . تسهلا لعملية الإبتلاع ، وفي الحديث : (لا آكل متكئا) بخ ح ٢ الأطعمة ص ١٢٧ .

(١٣) وفي الاجتماع على الطعام فوائد : كالتعلم والهدوء ، (طعام الإثنين كافي الثلاثة ، وطعام الثلاثة كافي الأربعة) (١) .

(١٤) ولم تخلو تعاليم الإسلام من آداب الشرب (لا تشربوا واحدا كشرب البعير ولكن اشربوا مثني وثلاث ، وسبوا إذا أتم شربتم واحدا إذا أتم رفعتم) .

(١٥) وقد ثبت أنه (نهى عن اختناث (٢) الأسقيه) بخ ح ٢ الأشربة ص ١٣٢ .

(١٦) والذين يشربون دفعة واحدة من غير أن يتنفسوا في الإناء فلا بأس بهذا . فتفريق الشرب على دفعات يراد منه ألا يتنفس الإنسان في الإناء - وعليه فانه لا يصح التمسك بضرورة أن يكون الشرب على دفعات ، ولعل هذا الأثر يفصح لنا عن هذا الحكم (القذاه أراها في الإناء ، انى لا أروى من

(١) بخ ح ٢ (الأطعمة) ص ١٢٧ .

(٢) كسر أفواهها والشرب منها .

نفس واحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : فأبْنِ القُدْحَ إِذْنُ عَنْ فَيْكِ) .

(١٧) و يروى (كُنَّا نَأْكُلُ وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ نَمْشِي) .

(١٨) و يروى كذلك (شَرِبَ النَّبِيُّ قَائِمًا) خ > ١ (الْحَج) ص ١١٠ .

(١٩) و من يقدم للناس الشراب فهو آخر من يشرب الحديث : (سَأَى الْقَوْمَ آخِرَهُمْ) .

(٢٠) و يجب عدم الإسراف خصوصا في أواني الطعام (إن الذي يشرب في آنية الذهب والفضة يخرج في بطنه نار جهنم) خ > ٢ الأثرية ص ١٣٢ .

(٢١) و لقد شملت الارشادات النبوية ملابس الإنسان - فلا يصح أن تشبه ملابس الرجال ملابس النساء ولا العكس .

وفي الحديث : (نَهَى أَنْ يَتَزَعَفَرَ الرَّجُلُ وَقَالَ : أَمَكُ أَمْرَتُكَ بِهَذَا ؟ قُلْتُ : أَغْسِلْهُ . قَالَ : بَلْ احْرِقْهُ) خ > ٢ اللباس ص ١٣٧ .

(٢٢) وهذه سماحة الإسلام في حكم يتعلق بالطعام (إن قوما يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا فقال : سموا الله عليه واكلوه) خ > ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٢٣) و من الإرشاد أن يبدأ الإنسان بتناول شيء من الحلوى في أول النهار (من أصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر) خ > ٢ (الأطعمة) ص ١٢٨ .

وقد يستغرب البعض مثل هذا الحكم . والحق أن الحديث لا يمنع من وقوع ضرر بعد ذلك اليوم . فمن أكل في يوم الإثنين فلا مانع أن يضر في يوم الثلاثاء .

(٢٤) وكل آنية نشك في طهارتها للأكل فيها فهذا هو الإرشاد
(أما ما ذكرت من آنية أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها ،
وإن لم تجدوا غيرها فاغسلوها واكلوا فيها) بخ ح ٢ (الذبائح والصيد)
ص ١٣٠ .

الموضوع الرابع والعشرون

(الموت - وأحكامه)

(١) إذا انطوت حياة الإنسان تبعه عمله وانعكس على الناس مدى عشرته معه . وأول مظهر من مظاهر البر أو العقوق يبدو في عدد المصلين عليه من المودعين له . فإذا زاد المصلون المؤمنون فإن الله يقبل شفاعتهم فيه (ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله فيه) .

(٢) ويشعر الميت بما سيصير إليه فيتعجل الخير إن كان ينتظره . وإن كان ينتظره غير ذلك قال بلسان حاله ما بينه الحديث عنه : (إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت : قدموني قدموني وإن كانت غير ذلك قالت : يا ويلها أين تذهبون بها ؛ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعه صق) بخ ح ١ (الجنائز) ص ٩٠

(٣) ومن السنة أن يوصى الإنسان بشيء يتصدق عليه به بعد موته فينتفع الميت بصدقة نفسه (ما حق امرئ مسلم له شيء يوصى فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده) بخ ح ٢ (الوصايا) ص ١٢

(٤) ومن السنة كذلك أن يتذكر الإنسان الموت لينكمش ما فيه من غرور (أكثروا من ذكر هازم الذات) .

(٥) ومن أراد واعظاً فالقبر يكفيه . ومن المستبد به الطمع في الدنيا فليتذكر ما لا بد منه وهو الموت . وفي الآثار : (كان بعد ثلث الليل يقول : يا أيها الناس أذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه . قلت : يا رسول الله إنى أكثر الصلاة عليك فسمك أجعل لك من صلاتي؟ فقال : ما شئت . قلت : الربع؟ قال : ما شئت . قلت : النصف؟ قال : ما شئت . قلت :

الثلاثين ؟ قال : ماشئت - فإن زدت فهو خير لك . قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : أذن تكفي همك ويغفر لك ذنبك) .

والصلاة على النبي من أعظم القرب . ومعنى جعل صلاته كلها للنبي أنه بعد أن يقوم بالفرائض وكل مكتوب عليه يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم .

(٦) وزيارة المقابر لا تتفاد الحى (فن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا الآخرة) .

(٧) وزيارة المقابر يقال فيها عند الدخول (السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية) .

(٨) ولا يصح أن يطلب الإنسان الموت (لا يتمنى أحدكم الموت إن كان محسناً فله يزداد وإن كان مسيئاً فله يستعقب) بخ ٢٠ (التمنى) ض ١٦١ .

(٩) ومن أحكام الموت تغسيل الميت غير الشهيد . ولما مات زينب قال النبي لمن تغسلها : (ابدأ بيمينها ومواضع الوضوء منها) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٨٧

(١٠) ويستحب أسماع المختصر كلمة التوحيد . ولا يطالب بالنطق بها وهذا معنى الحديث : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) .

(١١) والبكاء على الميت لا بأس به . فإن كان الميت قد أوصى بالبكاء عليه فإنه يعذب . أما إذا لم يوص فلا يعذب الباكي ولا المبكي عليه (إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أودرحم - ويشير إلى لسانه) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٨٩ ، ٩٠

(١٢) ويجب ألا يبيح المغسل ما يراه على الميت من جروح أو أحوال براها (من غسل ميتاً فكتم عليه غفر الله له أربعين مرة) .

(١٣) ولقد خالف الفاس السنة فلم يهتموا بالسير في الجنازة ولا الصلاة عليها قدر إهتمامهم بالذهاب إلى سرادقات العزاء التي قامت على الإسراف ، مع أن السنة بخلاف هذا والأجر في شهود الجنازة (من شهد الجنازة حتى يصلى عليها فله قيراط . ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان . قيل : وما القيراطان قال : مثل الجبلين العظيمين) بخ ١٠ (الإيمان) ص ١٢، ١٣ بالمعنى .

(١٤) ومن تأمل الصلاة على الميت وجدها تدور على الدعاء للميت وأخيراً الدعاء للحى . وروى : (بعد التكبيرة الرابعة قل : اللهم لا تحرمننا أجره . ولا تفتنا بعده ، واغفر لنا وله) .

(١٥) وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم وفاة رجل وقال ما يؤكده العلم الحديث من أن العينين إذا أخذنا بعد الموت مباشرة أمكن الانتفاع بهما وفي حضور النبي للميت قال : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر . لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون . اللهم اغفر لآبى سلبه ، وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له في قبره ونور له فيه) .

(١٦) وصلاة الجنازة فريضة . وكأن الله فرض على الأحياء أن يصلوا الأموات بالدعاء لهم . وأحسن الدعاء الدعاء المأثور : (اللهم اغفر له وارحمه ، وعافه وأعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ، وأغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، اللهم أبدله داراً خيراً من داره ، وأهلاً خيراً من أهله ، وزوجاً خيراً من زوجته ، وأدخله الجنة ؛ وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار) .

(١٧) ويجب التعجيل بالدفن والإسراع بها من غير هرولة (أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه ، وأن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) بخ ١٠ الجناز ص ٩٠

(١٨) ويجب سداد دين الميت من تركته إن كانت له تركة وإلا امتسح الدائن ، وفي الحديث (نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه) .

(١٩) وإذا قبر الميت استحب أن يستغفر له الأحياء (استغفروا لأخيك وسلوا له الثبوت فإنه الآن يسأل) .

(٢٠) ومن كلام عمرو بن العاص : إذا دفنتموني فأقيموا حول تبرى قدر ما تنحر الجزور ويوزع لحما لأستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى .

والحق أن السنة الخلق تنطق بما كان عليه الرجل من خير أو شر . وقد مرت جنازة فأتى المسلمون عليها خيراً ؛ فقال النبي : (وجبت لها الجنة . وأثنوا على أخرى شراً فقال : وجبت لها النار ، أتم شهداء الله في الأرض بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٣

(٢١) وشهادة الناس بإخلاص لإرياء فيها تنفع الميت (أيما مسلم شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٣

(٢٢) ويجوز زيارة مقابر غير المسلمين لعبرة الأحياء . وفي الحديث (لا تدخلوا على هؤلاء المعذيين قبورهم إلا وأتم بأكون ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم) .

(٢٣) ويحرم سب الإنسان بعد موته خصوصاً إذا كان بريئاً مما يقال فيه (لا تسبوا الأموات فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) (١) .

(٢٤) ومن النساء من يفعلن على الميت فعلاً يغضب ربهن ويفسد عليهن

دينهن ، وليست من ورائه فائدة - كحلقهن رؤوسهن حزنا ونواحين . وفي
الأثر (إن رسول الله يرى من الصانقة (١) والحالقة ، والشاقة) يخ ح ١
(الجنائز) ص ٨٩

(٢٥) وبعض البيوتات تستأجر من تنوح لمن ويتبعنها (النائحة إذا
لم تنب قبل موتها تقسم يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع
من جرب) .

(٢٦) وإذا رضى الميت قبل موته بما يقال عنه فإنه يعذب عليه . وقد
يكون رضاؤه عن طريق غير مباشر كأن يسمع كلاما عن نفسه وهو ليس
فيه فيسكت عليه راضيا بمدحهم (مامن ميت يموت فيقوم بأكيم فيقول :
واجبله واسيداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلزمانه : أهكذا كنت ؟) .

(٢٧) وللرأة أن تحزن حزنا مشروعا لا تقول ما يغضب ربها ، وقد
قدر الشارع ظروفها حين تنكب فقال : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم
الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاثة أيام ، إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا)
بخ ح ١ الجنائز ص ٨٧

(٢٨) وإذا مات الحاج غسل وكفن في إحرامه وبعث على حالته (اغسلوه
بماء وسدر وكفنوه في ثوبين ولا تحنطوه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم
القيامة مليا) بخ ح ١ (الجنائز) ص ٨٧

ويجب الاقتصاد في الكفن وعدم الإسراف فيه . ويستحب أن يكون
للحاد رجلا صالحا (هل فيكم رجل لم يقارف الليلة ؟ وأنزل أبا طلحة القبر
فدفن المرأة) بخ ح ١ (الجنائز) ص ٨٨

(١) أى من ترفع صوتها عند المصيبة .

(٢٩) ومن السنة القيام للجنائز عند المرور بها (إذا رأيت الجنائز فقوموا
وبو يهودى) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٠ بالمعنى .

(٣٠) وصح أنه قرأ بالفاتحة في صلاة الجنائز (قرأ في صلاة الجنائز
بفاتحة الكتاب وقال : ليعلموا أنها سنة) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩٠ عن
ابن عباس .

(٣١) ولأمانع من كتابة اسم الميت على قبره ، على أن لا يغالى في تشييد
القبور (فلو كنت ثم لأريتكم قبر موسى إلى جانب الطريق عند الكثيب
الأحمر) بخ ١٠ (الجنائز) ص ٩١ مختصرا .

الموضوع الخامس والعشرون

(كياسة)

(١) من أهم مظاهر الإسلام اليقظة والإحساس بالمسؤولية وتحمل تبعاتها والتغلب على الصعاب من غير يأس والأخذ بالأسباب . وكل هذه من معاني القوة التي يعبر عنها في الإسلام بالكياسة . أما الغفلة والضعف والتواكل فهي من مظاهر العجز الذي يحاربه الإسلام ويقابل بينه وبين الكياسة كما في الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت . والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى) .

(٢) ولايتوهم أحد أن العمل لما بعد الموت يقتضى تجاهل الدنيا - كلا ! (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء - فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء) .

(٣) ولا تعنى الكياسة غلظة القلب ، ولكنها رقة فيه مع سرعة في الإدراك والموازنة الدقيقة بين الأشياء والارتفاع بما يتلقنه من مبادئ (يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير ، هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون) خ ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤) ويقول البعض حسبي الله ونعم الوكيل - وهذه كلمة جلية المعنى واسعة الدلالة . فبعد الأخذ بالأسباب وعدم التوصل إلى المراد يقولها الإنسان . وقد قالها إبراهيم حين ألقي في النار . وقالها محمد حين قال لهم الناس : (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) خ ج ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٠ ، ١٠١

(٥) والتوكل الذي هو من مظاهر الكياسة يجب تمييزه عن التواكل الذي هو من مظاهر العجز . والتوكل آخذ بالأسباب وانظر إلى التشبيه بما بلغه

التوكل وقد أخذت بالأسباب (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفافاً وتعود بظاناً) .

(٦) وتلك كلمات يعلمهن النبي ابن عباس ليدربه على الكياسة المرجوة (أحفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً) .

(٧) والله نعم على عباده ، فإن كانوا أكياساً يستثمرونها في وجوه الخير فهي معهم وهم الأمناء عليها - ولا تحولت إلى غيرهم وتلك سنة الله (إن الله عند قوم نعم أقرهم عليها ما كانوا في هوانٍ المسلمين ما لم يملوهم ، فإذا ملوهم نقلها الله إلى غيرهم) .

(٨) وليس كل من تلفظ بالإسلام يعد كيساً ، ولكن الكيس من ينتفع بمبادئ الإسلام وتعاليمه (خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)
بخ ٢ (بدء الخلق) ص ٣٩

(٩) ويجب على الكيس أن يكون بدله بعد الرجوع إلى دينه ، وأن تكون مروءته بعد استساعة العقل السليم بما يقوم به ، وأن يكون ضميره وإحساسه هما المحركان له (كرم المرء دينه ، ومروءته عقله ، وحسبه خلقه) .

(١٠) والكياسة في الإسلام بعد عن التظاهر والرياء ، ومساهمة في كل أوجه الخير - إذ في انتشاره انتصار للكياسة (طوبى للمخلصين الذين إذا حضروا ما لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا - أولئك هم مصابيح الهدى ، تنجلي عنهم كل فتنة ظلمات) .

(١١) والكيس هو الذي ينتفع بوقته وينتفع بما عنده (نعمتان

مغبون فيهما كثير من الناس - الصحة والفراغ (١) .

(١٢) وأنظر إلى أى مدى تصل الكياسة في ذلك الحديث الشريف لاتهدد لأحد عملاً ، ولكنها تقومه في إنصاف واعتدال (المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير . أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كان كذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان) .

(١٣) ومن ضيع على نفسه فرصة منحت له فقد فاتته الكياسة ولا عذر له (أعذر الله إلى أمرى آخر أجله حتى بلغ ستين سنة) مخ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٣

(١٤) ومن القواعد المقررة أن العمل بخواتيمه ، ومن هنا وجبت الكياسة (يبعث العبد على مامات عليه) .

(١٥) والسكيس لا يستهين بشيء وإن كان تافها بل يباركه وينميه ، ولا يصعب أن يجد له جزاء يقابل به ذلك العمل (لاتبقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلق أخاك بوجه طليق) .

(١٦) وهو الذى ينتفع بكل خير ويتمتع بالاستعداد لتقبله . وطوائف الناس لا تكاد تتفق وعلى قدر كياستهم ينتفعون (إن مثل ما بهشى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب طائفة منها أخرى .

لأنما هي قيمان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً — فذلك مثل من فقهه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به من الهدى والعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به (خ ج ١ (العلم) ص ١٦ .

(١٧) والحيلة التي كان يعاها النبي لأصحابه لدليل واضح على ما كان يعنيه من الكياسة . وهذا الحذر الذي كان يعلمه ويعلمه كل أصحابه مثل رائع على الفطنة والكياسة (لو أن الناس يعلمون من الوحدة ما أعلم ماسار راكب بليل وحده) خ ج ٢ (الحود) ص ٢٣ .

(١٨) وقد تكون في السفر مخاطرة ، فإذا لم يتجنبها الإنسان وقع فيها . وهذا إرشاده في السفر وما يتطلبه من كياسة (إذا سافرت في الخصب فأعطوا الإبل حظها من الأرض . وإذا سافرت في الجذب فأسرعوا عليها السير وبادروا بها نقيها . وإذا عرستم^(١) فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب وماوى الهوام بالليل) .

(١٩) والخلق العظيم تعبير عن الكياسة خصوصاً إذا أدار الإنسان الكلمة في قلبه قبل أن ينطق بها لسانه — فإنه مسئول عنها لا محالة . ومن أجل هذا كان الصمت محبوباً (عليك بطول الصمت فإنه مطرقة للشيطان وعون لك على أمر دينك) .

(٢٠) ومن هنا جاء الربط بين الإيمان والقلب واللسان . (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

(٢١) ومن الناس من تفوتهم الكياسة فيتكلمون بما سيندمون عليه . ويحكي أن رجلاً شهد لرجل بالخير فقبل له : (أو تدري فعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه) .

(١) استرحتم آخر الليل .

(٢٢) والكيس يحاسب نفسه لا يعفيها من الحساب وإن كان هازلاً .
وكثيراً ما يؤخذ الناس على ما يحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم
(إن العبد ليقول الكلمة لا يقو لها إلا ليضحك بها المجلس فيهوى بها
أبعد ما بين السماء والأرض وإن المرء ليزل عن لسانه أشد مما يزل
عن قدميه) .

(٢٣) ولقد كان الإسلام ولم يزل يعلم الناس الكياسة مع الناس وبلقنهم
كيف يستقبلونهم (إنكم لن تسموا الناس بأموالكم فليسمعهم منكم بسط
الوجه وحسن الخلق) .

(٢٤) والذين تفوتهم الكياسة في الحديث هم من شر الناس (إن من
شر الناس عند الله تعالى منزلة يوم القيامة من تركه الناس إتقاء خشة) .

(٢٥) وشر منهم الذين يستعملون كياستهم في التزوير وقلب الحقائق
(إن أبغض للرجال إلى الله الألد الخصم) (١) .

(٢٦) وقد يتوهم البعض أن الكياسة في الحديث هي المحاوراة والسفسطة
وهذا خطأ — فإن تضييع الوقت بجدل لفظي وسفسطة يقصد بها الغلبة
وليس هو الوصول إلى الحق — كل هذا ضلال لا كياسة فيه (ماض قوم
بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) .

(٢٧) والذين يخدعون الناس بما أوتوا من جدل فقد أبغضهم الله (إن
الله لا يحب هذا وأضرابه ، ويلوون ألسنتهم للناس لى البقر بلسانها المرعى ،
كذلك يلوى الله تعالى ألسنتهم ووجوههم في النار) .

(٢٨) ومن الكياسة أن يعود الإنسان لسانه النطق بالخير والبعد عن

قول لا ترجى منه فائدة . ويحكى أن عيسى بن مريم قال عندما لطف الخنزير : (إني أخاف أن أعود لسانى النطق بالسوء) .

(٢٩) ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام . هؤلاء أعطوا من قوة الحجة ما يمكنهم من خداع بعض الناس . فإذا لم يتوبوا فقد باءوا بغضب من الله . وكل من كان النبى صلى الله عليه وسلم يحذر من الجدل اللفظى والمقصود منه الغلبة ، أما المقصود منه الوصول إلى الحق فذلك مشروع (مهلا يا أمة محمد إنما هالك من كان قبلكم بهذا : ذروا المراء لقللة خيره ، ذروا المراء فإن المؤمن لا يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى قد تمت خسارته ، ذروا المراء فكفى إنما ألا تزال يمارى ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ، ذروا المراء فأنا زعيم بثلاثة آيات فى الجنة : رياضها ووسطها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء فإن أول ما نهانى عنه ربى بعد ترك عبادة الأوثان المراء) .

(٣٠) ومن الكياسة ألا يتكاسل الانسان وأن يظل نشيطا دائب العمل . وهذا موقف من النبى لمن نام طول الليل (ذاك رجل بال الشيطان فى أذنيه) يخ ج ١ (التهجد) ص ٨٢ بالمعنى .

(٣١) وطول النوم يعود الانسان الكسل والقعود عن السعى ، وفى ذلك ما فيه من ضياع للمجهود وتدهور للمستوى . والقليل من الراحة قد يتعب البدن وخير الأمور الوسط . ونظام الإسلام فى الصلوات خصوصا بين العشاء والفجر واف بالمطلوب (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارق ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها — فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) يخ ج ١ (التهجد) ص ٨٢ .

(٣٢) وقيام الليل وقيام رمضان والدعوة إلى النافله من غير أن يأمرهم بوجوبها - كل هذا ليتسابق الأكياس (كان يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمرهم فيه بعزيمة) .

(٣٣) وأحيانا كان يقرهم على ما تنتجه كياستهم ولو كان ذلك في أمر غيبي . ففي ليلة القدر يقول لهم : (أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحراها في السبع الأواخر) يخ ج ١ (فضل ليلة القدر) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣٤) والربط بين مرادة الله والمظاهر الحسن كياسة (السواك مطهرة للفم مرادة للرب) .

(٣٥) والحق أن الكياسة تبدوا واضحة فيم يغفل عنه الكثير - فكلما كانت الغفلة أطبق كانت الكياسة أنفع . وكثيرا ما يغفل الناس عن الكياسة في الكلمة - ولذا نكرر التنبيه عليه (وإن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) .

(٣٦) وعلى قدر كياسته فيها يؤجر أو يعاقب (إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات . وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم) يخ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٤ .

(٣٧) وتلك وصية من أكيس الناس وأعلمهم بربه : (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) .

(٣٨) وهذا تصوير صادق لدور اللسان وتحقيق الكياسة (إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان تقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمتم استقمنا وإن أعوججت أعوججنا) .

(٣٩) وتعاليم الإسلام من غير استثناء يعقلها الأكياس من الناس .
وبقدر كياستهم يدركون الخير الذي يكمن فيها (ألا أدلك على أبواب الخير ؟
الصوم جنة ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ، وصلاة الرجل
من جوف الليل — ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم
خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . ألا أخبرك برأس الأمر وعموده
وذروة سنامه ؟ قلت : بلى . قال : رأس الأمر الإسلام ، وعموده
الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد ، ثم قال : ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ قلت :
بلى . قال : فأخذ لسانه وقال : كف عليك هذا . قلت : وإنا لمؤاخذون
بما نتكلم به ؟ فقال : ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على
وجوههم إلا حصائد ألسنتهم ؟)

(٤٠) وقد يتوهم البعض أن التعاضم والغرور يمنحهم هبة . وقد يكون
هذا صحيحاً وقد لا يكون . ومن الكياسة البعد عن الكبر الذي قد يبعد
صاحبه عن إدراك الحق أو يحمله على جحوده ، وفي الحديث : (الكبر
بطر الحق وغمط الناس) .

(٤١) وقد يكون للمرء منافس له فيصاب . وليس من الكياسة إظهار
الشبهة به — فالمفروض أن المنافسة في الخير (لا تظهر الشبهة بأخيك
فيرحمه الله ويبتليك) .

(٤٢) ويجب على المسلم أن يكون يقظاً يميز بين الصدق
والكذب ، فالتصديق بالكذب كتكذيب الصدق كلاهما حذر على
صاحبه .

وقد مر رسول الله على بائع حنطه بلها من داخلها كي تثقل في الميزان
— فوضع يده فيها فقال له البائع هذا من المطر . فقال له النبي : (أفلا جعلته
فوق الطعام حتى يراه الناس ؟ من غشنا فليس منا) .

(٤٣) والذين يغرون الناس ويخدعونهم بما أوتوا من لباقة . فهم برآء من الإسلام (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع فأكل ثمنه ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره)
خ ج ١ (البيوع) ص ١٣٥

(٤٤) وليس من الكياسة أن يعرض الإنسان نفسه للسخرية منه بحجة لا يعبا بمظهره . وقد أرشدتنا السنة إلى الاهتمام بكل ما يصون هيئته (إذا أنقطع شمع نعل أحدكم فلا يمشى في الأخرى حتى يصلحها) .

(٤٥) وانظر إلى الحيلة التي ينبهنا الرسول لها حتى في داخل بيوتنا (لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون) خ ج ٢ (بدء الخلق) .
ص ٣٦ .

(٤٦) وقد لا يهتم الإنسان بتغطية إنائه وليس هذا من الكياسة وفي الحديث : (غطوا الإناء ، وأوكثوا السقاء ، وأغلقوا الأبواب ، وأطفئوا السراج — فإن الشيطان لا يحل سقاء ولا يفتح باباً ولا يكشف إناء — فإن لم يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً ويندكر اسم الله فليفعل فإن الفويسقة تضرم على أهل البيت بيوتهم) .

(٤٧) ومن الكياسة أن يكون الإنسان سهلاً في حياته (نهينا عن التكلف) .

(٤٨) ومن الكياسة ألا يعرض الإنسان نفسه للمخاطر ولا يضع نفسه في مكان يتأذى منه الآخرون . وليس منها أن يتراجع الإنسان عن هدفه لأنه تشاءم . وفي الحديث : (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل وهو الكلمة الطيبة) خ ج ٢ (الطب) ص ١٣٥

(٤٩) وإذا كان التشاؤم شيئاً يحدونة في صدورهم ولا حيلة في دفعه

فليحاولوا أن يغيروا ما يتشاءمون منه . وفي الحديث : (وإن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس) بخ ح ٢ (الحور) ص ١٨ وفيه إشارة إلى أنه يجب أن يتغلب الإنسان على نفسه قدر الطاقة فإن كان ما يتشاءم منه ملازماً له لا يستطيع التخلص منه إلا بتغييره فليغيره في الثلاثة المذكورات والله أعلم .

(٥٠) وهذا بعض ما نهى عنه الشارع - وبالتأمل فيه نرى مكان الكياسة واضحة في سر النهي عنه كالنهى عن التصوير الذي لا ضرورة فيه واقتناء الكلب وتعليق الجرس - فإن في هذا مضیعة للوقت وعبثاً بالجهد الإنساني الذي يجب أن يوفر لما هو مفيد (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) (١) (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة) (٢) (ومن اقتنى كلباً ليس بكلب صيد ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطين كل يوم) (٣) (الجرس من مزاوير الشيطان) .

(٥١) والمساجد أماكن للعبادة يدخلها الفقير والغني والعالم والجاهل ، فإذا رأى الأكياس، فيه من غيرهم ما يقلقهم أو يضايقهم فليقومون برفق . وقد أوصى الإسلام بأن تصان المساجد فهي لله . وكل من يخرجها عن رسالتها فهو محروم من رضوان الله . وانظر إلى كياسة الشارع في الوصية بها . (البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنه) (٤) (إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك . وإذا رأيتم من ينشد ضالته فقولوا لا ردها الله عليك) (من أكل ثوماً أو بصلاً أو الكراث فلا يقربن مسجدنا

(١) بخ ح ١ (البيوع) ص ١٣٥ بالمعنى

(٢) بخ ح ١ (البيوع) ص ١٣١

(٣) بخ ح ١ (المزارعة) ص ١٤١ ، ١٤٢

(٤) ح ١ (الصلاة) ص ٤١

فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوا آدم فمن أكلهما فليمتهما طبعاً
خ ح ١ (الآذان) ص ٦٩ رواه مختصراً .

بالتأمل فيما ذكر يستنبط الكيس ما وراء هذه الوصايا من عمق ومعاني
إنسانية . فالبصاق خطيئة وفاعله مخطيء ، لكن إهائته في المسجد قد تجر
إلى معارك تخرج البيت عن حرمة وتضيع التآلف المرجو من وراء
الاجتماع . والبيع والشراء في المسجد يقلبه سوقا ويصبح من شر البقاع
بعد أن كان من خيراً . ولا يؤخذ الداء على البائع أو المشتري على
ظاهرهما ، بل يخبران برفق أن بيعاً في المسجد لا بركة فيه . ولو كان إنشاد
الصلاة على بابه من الخارج لكان أولى وأوصل للغرض . وانظر إلى ما يؤذى
الإنسان . يقال للتنفير منه أنه يؤذى الملائكة . حقاً إنها لكياسة
في التعبير وقول حتى بمن أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم .

(٥٢) وتلك وصايا أخرى نلح فيها الكياسة إن تأملناها (إن أخرج
اسم عند الله عز وجل رجل تسمى بملك الأملاك) .

(٥٣) (لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بني آدم كما يذهب الكير خبث
الحديد) (لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا . اللهم نسألك من خير
هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به ، وأعوذ بك من شر هذه الريح
وشر ما فيها وشر ما أمرت به) (لا تسبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة) .

نلح الكياسة فيما تقدم ، ولعل البعض يتعجبون ويقولون لماذا لا نسب
الحمى أو الريح أو الديك ؟ ولو كانوا أكياساً لصانوا ألسنتهم عن شتم ما لا يعقل .
ومعلوم أننا أمرنا بالتداوى . ومظاهر الطبيعة لا فائدة من سبها بل يجب أن
نستفيد منها ونبتعد عما فيها من ضرر وهذا معنى الداء ، وحقاً إن كثيراً من
الناس يتيقظون من نومهم على صباح الديكة . والذي يسمى بملك الأملاك
ويقبل هذه التسمية فهو تافه محتوه لا يعي ما ينادى به .

(٥٤) وهذه طائفة ثالثة تكمن فيها الكياسة وراء حديث الشارع
الحكيم : (ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه)

(إن من أحبكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . وإن أبغضكم إلى وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتفيهقون) .

(٥٥) ولقد كان الشارع مرهف الحس يستثقل كل ما هو ثقیل على السمع فيغيره بكياسة (لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي) .
فالخبث كلمة ثقيلة يعبر بها عن خبث الطوية .

(٥٦) (لا تسموا العصب الكرم فإن الكرم المسلم) بخ ٢ (الأدب)
ص ١٤٢ - هكذا يختار للمسلم الكلمة الطيبة فيسميه بها .

(٥٧) ويجب أن تكون الكياسة بين الزوجين ، فلا تحدث الزوجة زوجها عن امرأة أجنبية تصرف ذهن زوجها إلى تلك الأجنبية وتزده في حيلته . وهكذا تعكس صفو الحياة إن ضاعت الكياسة (لا تبشر المرأة المرأة فتصفها لزوجها كأنه ينظر إليها) (١) .

(٥٨) وحتى الكياسة يجب أن تكون في دعاء الله (لا يقولن أحدكم اللهم أغفر لي إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) (٢) (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان) وهذا من النكته .

(٥٩) وفي يوم أراد النبي أن يبرهن لهم على أن الأجل قصير وإن طالت حياة المرء فيعظمهم بطريق غير مباشر (أريتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة سنة لا يبقی من هو على ظهر الأرض اليوم أحد) بخ ١ (العلم) ص ٢٠
(٦٠) ومن الكياسة محاربة النفاق (إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب) .

(٦١) ومن الكياسة أيضاً تشجيع المؤمنين الأقوياء كما شجع النبي عمر فقال له : (مارآك الشيطان سالكا فجا إلاسك فجا غير فجاك) .

(١) بخ ٢ (النكاح) ص ١٢٤

(٢) بخ ٢ (الدعوات) ص ١٥٨

(٦٢) والموقف الذى تعرض له المسلمون فى عهد عمر حين انشروا الطاعون لدليل واضح على الكياسة والحيلة ، ولا يعتذر بالتواكل وقضاء الله (إذا سمعتم أو وقع الطاعون بأرض فلا تقدموا عليها . وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فراراً منه) (١) وقال عمر . أرأيت لو كان لك إبل بوادله عدوتان إحداهما خصبه والأخرى جده به - إن رعيت الخصبة أليس بقدر الله) .

(٦٣) ولاغنى للإنسان عن بعض الأماكن كالمساجد والأسواق فيجب أن يدخلها بكياسة ويخرج منها بحسنات أكثر من السيئات (أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغضها أسواقها) (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت) (٢) (لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها ، فإنها معركة الشيطان وبها ينصب رايته) .

(٦٤) والذين تتعامل معهم ليسوا من الملائكة الذين لا تصغر منهم هفوة ولا من الجن الذين لا طاقه لك على معاشرتهم ولكنهم بشر ، فعاملهم بما تحب أن تعامل به فانت تعرف خصائصهم وطبائعهم (خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجن من مارج من نار ، وخلق آدم كما وصف لكم) .

(٦٥) وأولى الناس بالكياسة أئمة المسلمين . وقد رأيت من ينسكح حديثاً صحيحاً لأنه لم ينهمه . وفاته أن فى الإسلام ظاهراً وتأويلاً . ومحكاً ومتشابهاً . وواضحاً وخفياً . ومشكلاً ومبهماً ونصاً وغير ذلك :

فمثلاً فى الحديث : (سبحان ، وجيخان ، والفرات ، والنيل كل من أنهار الجنة) .

(١) خ ٢ (بدء الخلق) ص ٤٧

(٢) خ ٢ (الأدب) ص ١٤١

فلا مانع من أن يكون المعنى أصل الماء العذب الذى لا كدر فيه موجودا في الجنة مع اختلاف بين مائها وماء الأنهار الموجودة في الأرض. ولا مانع من إرادة أنه أهل بلاد هذه الأنهر سيديهم الله ويكونون من أهل الجنة . وليس بلام أن هذه الأنهر تنبع من الجنة كما يشان الجملة .

(٦٦) وقد علمنا الله التآني ، وضرب لنا مثلا وهو على كل شيء قدير . وفي الحديث : (خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المسكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم صلى الله عليه وسلم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر إلى الليل) .

(٦٧) وفي كل جزئية من مقررات الاسلام لا تخلو من الكياسة . فمثلا يلتزم الانسان لما بما فرضه الله عليه أو بما فرضه هو على نفسه كالنذر، وهو قربي إلى الله فلا يلزم أن كان معصية لخلوه من الحكمة (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) خ > ٢ (الإيمان والنذور) ص ١٤٩ .

(٦٨) وبما يتوقف البعض فيه ولا يرون له حكمة ماورد في الأدوية - لا يرون اتفاقا مع الطب الحديث . وفي الحديث : (الكأمة من المن وماؤها شفاء للعين) خ > ٢ (تفسير القرآن) ص ٩٩

والمعلوم أن السنة أمرتنا بالتداوى ، ولا يلزم من الدواء أن يشفي كل الناس فقد يفيد في بعض الأحوال .

(٦٩) والذين يتواكلون ولا يأخذون بالأسباب يلامون من الله (إن الله يلوم على العجز ولكن عليك بالكياسة . فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ونعم الوكيل) .

(٧٠) والأخذ بالسبب هو عين التوكل (من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله) .

(٧١) والمسلم مطالب بالكياسة مع حسن النية . وقد توجد الكياسة فيفسدها سوء الطوية - وهذا تصوير لبعض من رضى الله عنهم وبعض من عمهم الله بسخطه (أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال . وأهل النار الخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمس إلا وهو يخادعك عن مالك وأهلك ، وذكر البخل والكذب ، والشنظير الفعاش) .

(٧٢) ومن الكياسة اختيار الصديق فان له أثرا كبيرا (المرء على دين خليله فلينظر أحداً كم إلى من يخال) .

(٧٣) ومن الحكمة إذا أمرنا أو نهينا أن تكون لها فائدة عاجلة . وانظر إلى الربط بين طاعة الله وسعة الرزق فى الدنيا يقول النبى صلى الله عليه وسلم (اللهم بارك لأمى فى بكورها) ويقول لفاطمة يحضها على صلاة الفجر : (يا بنية قومى أشهدى رزق ربك ولا تكونى من الغافلين ، فان الله يقسم أرزاق الناس ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) .

(٧٤) ولا يمر بالكيس شيء إلا أخذ منه عبرة . أما الذين طمست بصائرهم فكم من آية يمرون عليها وهم عنها معرضون (إن المنافق إذا مرض ثم أعفى كان كالبعير عقله أهله ثم أرسلوه فلم يدر لم عقلوه ، ولم يدر لم أرسلوه) .

(٧٥) وكلما كانت قيادة الرجل لعدد أكثر كانت الكياسة إليه ألزم ليضع الشيء فى موضعه فلا تنفر منه القلوب ولقد كان رسول الله يعطى من هو أقل حبا ، ولا يعطى من هو أشد له حبا (يأسعدنى لأعطى

الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار) مخ ح ١
(الإيمان) ص ١٠ .

(٧٦) وانظر إليه حين يزهدم في الدنيا بطريقة لم يبغضهم فيها ، وأن
المؤمن هو أكثر الناس نفعا لغيره (من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية ،
والضيف مرتحل والعارية مؤداه) (إن الدنيا بين المؤمن وجنة الكافر)
(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم وهي النخلة) مخ ح ١
(العلم) ص ١٤ .

(٧٧) والفقه نماذج حيه لما كان يتمتع أهله بهكياسة وحكمة . وقد نجد
في السنة ما ظاهره النعارض فيجدر أن تفهمه بحكمة (إن الرجل ليحرم
الرزق بالذنب يصيبه) (إن الرزق لانقصه المصيبة) .

ولنعلم أن ما عند الله هو خير وأبقى . والتقوى من أحسن الأرزاق
فيحرمها من وقع في الذنب . أما الرزق المادى فقد يكون العصاة أكثر الناس
تملكا له . وبنحو هذا يستقيم معنى الحديثين السابقين .

(٧٨) ومعلوم أن ارتكاب الذنوب حرمان من خير عظيم (من قارف
ذنبا فارقه عقل لا يعود إليه أبدا) .

(٧٩) وقد دعا الإسلام للإتفاق وحض عليه ليتغلب الإنسان على نفسه
وما فيها من حرص على الدنيا . ومن الناس من يتيقظ في آخر هذه بها .
والكيس من جعل الآخرة أكبر همه ومنتهى أمله ، وجعل الدنيا وسيلة إليها
(مثل الذى تصدق عند الموت مثل الذى يهدى بعد ما شبع) (من كانت الآخرة
همه جعل الله غناه في قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة . ومن
كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأتها من
الدنيا إلا ما قدر له فلا يمسى إلا فقيرا ولا يصبح إلا فقيرا . وما أقبل عبد على
الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله

بكل خير اليه أسرع) (من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته
أضر بدنيه فأثروا ما يبقى على ما يفنى) .

هذا الضرر يحدث لو أن إنسانا خير بين أمرين أحدهما يجلب عليه
دنياه ويغضب ربه ، والآخر يرضى ربه ويبعد عنه دنياه . فعليه أن يختار
ما يبقى على ما يفنى . وحين لا يكون التعارض فن أحب آخرته كفاه الله
أمر دنياه .

(٨٠) وعلى الإنسان ألا يأخذ من الدنيا إلا بالقدر الذى لا يغريه بها .
ومن الناس من يمد يده فيسأل غيره وهو فى شغى عن هذا السؤال . والويل له
(من سأل وعنده ما يغنيه فإنما يستجمع من جر جهنم . قالوا : وما يغنيه ؟
قال : ما يغديه ويعشيه) .

(٨١) والسكيس يدرك أن خير ما أكله هو ما كان من نتاج يده وبكده
هو (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن داود كان
يأكل من عمل يده فى الدروع من الحديد) مخ خ ١ (البيوع) ص ١٢٩ .

(٨٢) ويخلط الناس بين الإنفاق والتبذير . وفى الحديث : (التبذير
إنفاق المال فى غير حقه) .

فقرش واحد فى غير حقه تبذير . وآلاف الجنيهات التى توضع فى حقها
لا تبذير فيها .

(٨٣) ويشدد تلاعب الشيطان بالإنسان كلما قلت كياسته . فسكر أو غضب
أو بخل بما لا يؤثر عليه . قال ابليس : (ما أعجزنى بنوا آدم فلم يعجزونى فى
ثلاث : إذا سكر أحدهم أخذنا بخزائمه فقدناه حيث شئنا وعمل لنا بما أحببنا
وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ، والثالثة نبخله بما فى يده ونمنيه
بما لا يقدر عليه) .

(٨٤) وهذا تعريف للسكيس من الناس : (يارسول الله : من أكيس

الناس وأكرمهم؟ قال : أكثرهم ذكرا للبهوت وأشدّهم إستعدادا له - أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة) .

(٨٥) وإذا كانت الدنيا ممرا إلى الآخرة كان على الكيس أن يتجنب مافيه من أخطار (ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء) (١) (أحكم السفينة فان البحر عميق ، واستكثر الزاد فان السفر طويل ، وخفف ظهرك فان القبة كثود ، وأخلص العمل فان الناقد بصير) .

(٨٦) وخير وجهة للإنسان في حياته هي ما كانت لله - فلا اعتزاز إلا به ولا خوف إلا منه (وإن أشرف المجالس ما استقبل به للقبلة ، ومن أحب أن يكون أعز الناس فليتيق الله ، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده) .

(٨٧) والمؤمن الكيس يجب أن يكون صورة عملية لدينه (ليس المؤمن باللعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء) .

(٨٨) فيحب كل من نصر دينه ويبغض كل من خذله (آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار) بخ - ١ (الإيمان) ص ٩ .

(٨٩) ومن الناس من يفقدون دينهم لشهوة عارضة فيسكرون ويرتكبون مالا يحل ، وهذا العمل لا كياسة فيه وإنذار بفنائهم ، ومن أجل هذا نهى عن الخمر وعن أوعيتها التي توضع فيها (نهى عن الخنتم ، والدباء ، والنقيير ، والمزفت ، والمقير) .

(٩٠) (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ، ويثبت الجهل ، ويشرب الخمر ، ويظهر الزنا) بخ - ١ (العلم) ص ١٦ .

(٩١) ولقد كانت مجالس النبي يستنبط فيها كياسة السائل أو غفلته (يارسول الله فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال : إذا رأت الماء . قالت امرأة : أو تحتلم المرأة ؟ قال : نعم . تربت يمينك فبم يشبهها ولدها) (١) .

(٩٢) والكياسة تفتح للإنسان أبوابا من الخير وتزيد من رزقه (بين أيوب يغتسل عريانا فخرج عليه جراد من ذهب فجعل يحثي في ثوبه . فناداه ربه : ألم أكن أغنيتك عما ترى ؟ قال : بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك) (٢) .

(٩٣) وأحيانا تكون الحيلة في غير موضعها . وروى أن رجلا جنبا أبى أن يجلس مع النبي حتى يتطهر . وهذه حيلة لا داعي لها ولذا فقد قال له النبي : (سبحان الله إن المؤمن لا ينجس) خ - ١ (الغسل) ص ٣١ .

(٩٤) والكياسة لازمة للمفتي . ومن المعلوم أن الإسلام حرم التصوير الذي لا فائدة منه . وروى أن ابن عباس قال لمن لا عمل له إلا التصوير لما أخافه وعيد النبي . قال له : (إن كان ولا بد فعليك بالشجر ومالا روح فيه) خ - ١ (البيوع) ص ١٣٥ .

(٩٥) وما يتساءل الناس عنه حديث : (تدرى أين تذهب يريد الشمس ؟ ثم قال : فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها . وتستأذن فلا يؤذن لها — يقال لها إرجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله : والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) خ - ٢ (بدء الخلق) ص ٣٢ ، ٣٣ .

(١) خ - ١ (العلم) ص ٢٢ .

(٢) خ - ١ (الغسل) ص ٣١ .

يتساءلون عن سجودها وهي لا تغييب عن أعين الناس إن غربت في بلد
أشرقت في آخر . ومن معاني السجود في اللغة الميل . ولم لا يكون هذا كناية
عن سيطرة الله على كل شيء ؟ فهو الذي يحرك الشمس ويسخرها ويأذن
لها بالسير أو التوقف . والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة فإن قال عالم الشمس
لا تجرى فسيجىء آخر يقول بعكس ما قال . وكما شاهدنا ذلك كثيرا —
(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) .

(٩٦) والأكيس يستنبط العلة ويقيس الأمور على أشباهها ، ويدرك أن
الناس قد يتأثرون بفكرة تصل إليهم ومن هنا نرى قياسا في قوله (لولا
بنو إسرائيل لم يخزن اللحم ، ولولا حواء لم تكن امرأة زوجها) (١) .

(٩٧) والكماسة في الرجل أكثر من المرأة (كمل من الرجال كثير ولم
يكمل من النساء إلا آسية ومريم : وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد
على سائر الطعام) (٢) خير نساء مريم ، وخير نساء خديجة (بخ ٢٠
(بدء الخلق) ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٩٨) والأنبياء هم أكيس الخلق وأكملهم . وما ينسب إليهم ودالا على
غير هذا يجب تأويله — ومن ذلك (رأى عيسى رجلا يسرق فقال :
أسرقت ؟ حلف أن لا . فقال عيسى : آمنت بالله وكذبت هيني) بخ ٢٠
(بدء الخلق) ص ٤٥ .

لا يفهم من هذا سذاجة ولكن هي كماسة . فلما حلف الرجل تصور
عيسى أن الرجل مأذون له ، والمأذون له لا يعد سارقا .

(٩٩) ولقد كان النبي يقبضنا على من تقدمنا من الأمم ، ويحذرنا ويكل

(١) بخ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٣٨ .

(٢) بخ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٤٣ .

كل إنسان إلى كياسته (لتبتين سنن من قبلكم شهرا بشهر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فن ؟) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٥ ، ٤٦ .

(١٠٠) ولكي نتجنب شرور التقليد الذي يفقدنا شخصيتنا ويضيع كياستنا — أمرنا ألا نقلد (إن اليهود والنصارى لا يصبغون نفالهم) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٤٦ .

(١٠١) ويجب أن يعتز الانسان بكرامته لا يتمسح في غيره (ومن ادعى قودا ليس له فيهم نسب فليتموا مقعده من النار) يخ > ٢ (مناقب قریش) ص ٤٨ .

(١٠٢) والكيس هو الذي يميز بين الأشياء ، فلا يخلط . ويروى إستانذن حسان في هجاء المشركين فقال له النبي : كيف بنسبي ؟ قال حسان : لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين) يخ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٣ .

(١٠٣) ومن الكياسة أن تطلب تأييد الحق بأى مؤيد ولو كان فاجراً (إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر) يخ > ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٤) ولا يفرن أحداً كياسته فلا بد أن يضاف إليها الخوف من الله (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار . وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) يخ > ٢ (غزوة خيبر) ص ٨١ .

(١٠٥) وانظر إلى كياسة النبي حين قدم عليه وفد فأدرك بفطنته ما تنطوى عليه نفوسهم (أنا كم أهل الين هم أرق أفئدة وألين قلوبا — الإيمان يمان والحكمة يمنية) يخ > ٢ (قدوم الأشعرين) ص ٩١ .

(١٠٦) وفي قصة السائل عمن وجمع مع امرأته أجنبيها دليل على الكياسة.

قال للنبي : (أيقنتم فتقتلونه ؟ فأمرهما بالملاعنة وإلحاق الطفل بشبيهه إن كان الأب وإلا نسب لأمه) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٨ .

(١٠٧) ومن الناس الأبله الذى يحسب أن كل شىء فى الآخرة يسير كما فى الدنيا فيسأل : (كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال النبي : أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادر على أن يمشيه يوم القيامة على وجهه ؟) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١٠٩ .

(١٠٨) ولما نزلت وآخرين منهم لم يذعنوا بهم . قال النبي (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجل من هؤلاء يشير إلى سلمان الفارسي) خ ٢ (تفسير القرآن) ص ١١٣ .

(١٠٩) والسكيس هو الذى يزن الكلام . وقد سبق أن أشرت إلى نوع من أدوية العين والموقف منه . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (الشفاء فى ثلاثة — شربة عسل وشرطة محجم وكية نار . وأنهى أمتى عن السكى) (١) وأيضاً قوله : إن أمثل ما تداوitem به الحجاماة والقسط البحرى ، ولا تعذبوا صبيانكم بالغز من العذرة وعاليكم بالقسط) خ ٢ (الطب) ص ١٣٥ .

وكان للنبي حجام يقال له أبو طيبة نافع أو مبصرة . ولا يلزم من شفاء رجل بعلاج شفاء جميع الناس . كما لا يصح إنكار علاج لم يشف منه بعض الناس .

(١١٠) ومن الكياسة الثورة على كل تقليد غير مفيد . فلقد اشتهر أهل الجاهلية بطول الثياب تعبيراً عن الثراء فجاء الإسلام يقرر (ما أسفل من السكبين من الإزار فهو فى النار) (٢) (خالفوا المشركين وفروا للحي

(١) خ ٢ (الطب) ص ١٣٤

(٢) خ ٢ (اللباس) ص ١٣٧ .

واحفوا الشارب) (١) (وقد ثبت أنه نهى عن القزع وهو قص بعض الشارب)
خ ٢٠ (الباس) ص ١٣٨

وهكذا يجب استقلال شخصيتنا .

(١١١) وكان رسول الله خبيراً بالناس ويقول عنهم : (إنما الناس
كالإبل المانة لاتكاه تجد فيها راحلة) (٢) .

(١١٢) وكانت لهذه الكياسة صداها في نفوس أصحابه . فعن حذيفة :
(إنما كان النفاق على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم فإنما هو
الكفر بعد الإيمان) خ ٢٠ الفتن ص ١٥٥

(١١٣) وقال علي : الدنيا حلالها حساب وحرامها عذاب أو عقاب .
وقال بعض الحكماء : العلم كله بلاء حتى يعمل به .

وكان أيوب عليه السلام لا يسمع أحداً يخالف إلا كفر عنه . وقال
يوسف : أخاف أن أشبع فأنسى الجياع .

وقالت الريح لسليمان لما لصق القميص بجسمه فتلذذ : إنما أمرنا أن
نطيعك ما أطعت الله ووضعت على الأرض . وهكذا يجب ألا يعطى الإنسان
للدنيا أكثر مما تستحق .

وفي الحديث : (من جعل اللهم هما واحدا كفاه الله سائر همومه) .

وقال عيسى : بحق أقول لكم إن حب الدنيا رأس كل خطيئة وفي المال
داء كبير . قالوا : وما دأؤه ؟ قال : لا يعطى حقه . قالوا : فإن أعطى ؟
قال : يكون فيه فخر وخيلاء . قالوا : فإن لم يكن ؟ قال : يشغلك استصلاحه

(١) خ ٢٠ (الباس) ص ١٣٨

(٢) خ ٢٠ (الإستئذان) ص ١٤٥

عن ذكر الله . و يروى : يقول ابن عوف للنبي حين يفتقده على الصراط ويحبس ابن عوف . يقول : (لم أزل أحاسب بعدل كثرة مالى حتى جرى منى من المرق ما لو وردت عليه سبعون من الإبل عطاشا قد أكلت حمضا لصدرت عنه رواء) .

(١١٤) وانظر كيف يطالب الإسلام بالكياسة فى تصريف المال (الأكثرون هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا) (١) (ما من غنى ولا فقر إلا ود يوم القيامة أن الله تعالى كان قد جعل رزقه فى الدنيا قوتا) .

(١١٥) وقال أبو الدرداء : يا حبذا نوم الأكياس وإفطارهم كيف غفموا سهروا الحمقى وصيامهم ، ولمشال ذرة من صاحب تقوى ويقين أوزن عند الله من أمثال الجبال من أعمال المغترين .

ويروى : تلك الدنيا تمثلت لى فقلت إليك عنى . قالت : إن تنج منى فلن ينجو منى من بعدك . قال أبو بكر : فأخاف أن تكون قد أدركتنى ونحى الإناء وبكى . وقال الفضيل : المتوكل على الله الوائق به لا يتهمه ولا يخاف خذلانه .

وقال بعض الحكماء : إن دون كل باب عقبة فمن تجسم ركوبها أفضت به إلى الراحة ، ومن هاله ركوب العقبة فلم يرقها بقى مكانه . و يروى : غنيمة الصديقين ما انزوى عنهم من الدنيا .

(١١٦) وقد وعظ النساء قائلا لهن : (عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مشغولات ومستنطقات) .

(١١٧) والناس يعظمون الكعبة - وهى حقا معظمه لن أنظر كيف

يضعها النبي في الموضع اللائق بها - فيقول مخاطبا لها (ما أجلك وأجل
ربحك ، وما أعظمك وأعظم حرمتك ، والمؤمن عند الله أعظم حرمة منك
حرمة دمه . وماله) .

(١١٨) ويوم ينسى المسلمون هذه المقررات فقد صح فيهم (بطن الأرض
خير لكم من ظهرها) .

(١١٩) ويوم أن يفقه المسلمون تلك المقررات فستدوم لهم الكلمة
وتحق لهم السيادة ، ويكون كل شيء نائما في الدنيا من نصيبهم كما قال النبي
عنه : (تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله) .

الموضوع السادس والعشرون

﴿العدل﴾

(١) به قامت السموات والأرض ، وعليه تستقيم مصالح الخلق . وقد ألزم الله به وألزمنا به بعد ذلك ، ونهانا عن الظلم بعد أن حرمه على نفسه . وجعل الدنيا فرصة بمنوحة لكل مكلف ليسأل بعدداً عن مدى استمساكه بهذا المبدأ - فإن أخذ فوق حقه فذلك هو الجور الذي لم يرض الله عنه . والحقيقة التي لا مفر منها هي إما أن نقيم العدل فيما بيننا ، أو سنسأل عنه ، ثم يطبق الله عدله فينا (لتؤد الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) أى من صاحبها .

(٢) ومن حكمة الله أنه لم يجعل الخطأ مبرراً للخطأ ، ولا الفجور مبرراً لظلم الفاجر - فهذا شيء وذاك شيء ، ومن عدله أن (دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه) .

(٣) وإذا لم يكن العدل كان الظلم الذي لا قيام للحق معه . ولقد أحسن الشارع حين جمع بينه وبين الشح . فالشح حبس الخير والظلم إطلاق الشر . وفي الحديث (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة . واتقوا الشح فإنه أهلك من كان قبلكم - حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) خ ١٠ (المظالم) ص ١٤٨

(٤) ولقد بلغ التشريع الإسلامى ذروة العدل وقمة الفضل ، وكشف لنا عن بعض نماذج العدل التي يطبقها الله بين خلقه . ومنها أن الإستتار بالمعصية أقل إثماً من المجاهرة بها - فالمجاهر فضح نفسه . فليس من العدل أن تناله المغفرة ويسوى بينه وبين المتقين ، أو حتى بين العصاة المستورين الذين لم يعلم أحد بجرائمهم (كل أمتى معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل (م ١٤ - السنة فطرات)

الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول. يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره الله فيصبح يكشف ستر الله) خ - ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٥) وإذا كان العدل هو أخذ الحق وأعطائه بالقسطاس . فإن الإسلام بعد أن قرره وأوجبه ارتقى بأصحاب الحقوق بعد أن ملكهم حقهم ارتقى بهم إلى درجة أسماً من العدل - درجة التسامح بعد المقدرة . وأما المتسامحون فهم الرحماء وأولى الناس بدار السلام (ألا أخبركم بمن يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ كل قريب هين لين سهل) .

(٦) أما حقوق الجماعة فليس لأحد أن يتنازل عنها أو يتسامح فيها - وهي المعروفة بالحدود . ولما سرقت امرأة من قريش وأهمهم قطع يدها - كلوا أسامة بن زيد حب النبي ليشفع لها : فقال له النبي يعظه ويرشد الأمة (أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة ؟ وخطب قائلاً : إنما أهلك من قبلكم أنه إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد . وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) خ - ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٩

(٧) ومن العدل أن يطالب كل ملتزم بما التزم به ، وأن يفي كل بوعده متى تعهد . وبصرف النظر عن معاهده - فتي قبل العهد فإن من العدل أن يسأل عنه (أيما رجل آمن رجلاً على دمه ثم قتله فأنا من القاتل بريء وإن كان المقتول كافراً) .

(٨) وكل من أخذ من غيره شيئاً فهو دين عليه يقاضى عليه بالعدل (إن الدين يقتض من صاحبه يوم القيامة إذا مات ، إلا من تدين في ثلاث خلال : الرجل تضعف قوته في سبيل الله فيستدين يتقوى به على عدو الله وعدوه . ورجل يموت عنده مسلم فلا يجد ما يكفنه به ويواريه إلا بدين ،

ورجل خاف على نفسه العزبة فيسكن خشية على دينه - فإن الله يقضى عن هؤلاء يوم القيامة .

وبالتأمل إلى تلك الديون الثلاثة التي يقضيها الله عن العبد - نعلم أن كلها كانت للمصلحة العامة . فدفن الميت والجهاد في سبيل الله والزواج خوفا على الدين بدين لا بحد اليد ولكن بعفة - كل هذه مصالح فواتها يهدد المجتمع .

(٩) ولقد راعى الاسلام حرمة أموال الناس وأوجب المحافظة عليها ، وتوعد المتلفين لها ، وجازى الله بالإحسان من يأخذها لينتفع بها ثم يردّها (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه . ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله) خ - ١ (الحجر) ص ١٤٦

(١٠) والدين يجب سداذه ، فإن العدل أن يرد كل شيء لصاحبه . والذين قتلوا في سبيل الله لم يزوالوا مسئولين عن ديونهم (يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين) .

(١١) ولما كان الإنسان لا يعلم الغيب فإن قيد نفسه يمينه ثم كشف له الغيب عن شيء هو خير مما تقيد به - فن العدل أن يفعل الخير ولا يهدر يمينه ولكن يكفر عنه ، جمعاً بين مصلحته وعظمة الله الذي حلف به (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير) خ - ٢ (قدوم الأشعريين) ص ٩١

(١٢) ومن العدل العقاب على المعاصي والتناسب بين العقوبة والجريمة ، وألا يقصد من العقاب الإلتقام بل التقويم . ويروى أن رجلاً غيره أبوذر بأمه وقال يا ابن السوداء . فقال له النبي : (إنك امرؤ فيك جاهلية ، هم إخوانكم وخولكم - فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما ينلبسهم - فإن كلفتموهم فأعينوهم) خ - ١ (الإيمان)

(١٣) ولقد أجمع الإسلام وأحسن حين أوصى المخدمين بالإحسان إلى خدمهم ، فهذا مقام قد يضيع فيه العدل فضلا عن الإحسان - ولذا نرى الإسلام يأمر بهما مع كل الناس وأخصهم الضعفاء منهم (إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه فليناول له لقمة أو لقمتين أو أكلة أو أكلتين - فإنه ولي علاجه) خ ح ٢ العتق ص ١٥٢

(١٤) وكلما كان العمل شاقا كان الأجر مضاعفاً - وهذا عدل الله (إن العبد إذا نصح لسيدته وأحسن عبادة الله فله أجره مرتين) .

(١٥) وهكذا يكون الأجر حسب المشقة ، وتقدر الأجور بعد تقويم العمل (ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وبمحمد . والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه . ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران) (١) .

(١٦) وكلما اشتط الناس كان الأجر على الاستقامة أعظم - وهذا من العدل . فالذى تغلب على البيئة ونجس من عدوى الشر - من العدل لإجلال عمله (العبادة في الهرج كهجرة إلى) .

(١٧) ومن العدل مراعاة شعور صاحب الحق . فإن تسامحوا معه إذا انفعل وهو يطالب بحقه لكن إلى حد ما . وفي الحديث لمن طالب بحقه (دعوه فإن لصاحب الحق مقالا ، أعطوه سنا مثل سنه . قالوا : لانبجس إلا أمثل منها . قال : أعطوه فإن خيركم أحسنكم قضاء) خ ح ١ (الوكالة) ص ١٣٩ ، ١٤٠

(١٨) ويجب على المسلم أن يكون مرهف الحس يقبل المعذرة - فمن

العدل قبولها . فإن كان المعتذر صادقا فلاحق لك عنده . وإن كان كاذبا فاعتذراه تعبير عن ندمه . وليس من العدل أن ترفض اعتذاره (من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يقبل منه كان عليه مثل خطيئة مكس) .

(١٩) والعفو والتسامح يفتحان لصاحبهما أبوابا من الرحمة . والتشدد يجرمه من خير عظيم (من تنصل إليه فلم يقبل لم يرد على الحوض) .

(٢٠) والقساه الذين يهودون على غيرهم ولا يقيمون العدل فيما بينهم - هؤلاء من شرار الخلق (ألا أنبئكم بشراركم ؟ قالوا : بلى . قال : إن شراركم الذى ينزل وحده ويحمله عبده ويمنع رفده . أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى إن شئت يا رسول الله . قال : من يبغض الناس ويبغضونه . قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى . قال : الذين لا يقيمون عشرة ولا يقبلون معذرة ولا يغفرون ذنبا . قال : أفلا أنبئكم بشر من ذلك ؟ قالوا : بلى . قال : من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره) .

(٢١) وتكبير الجريمة بمقدار آثارها وترويعها وهتكها للفضيلة ومن ثم كانت جرائم الأعراض من أبشعها (أتدرون أربى الربا عند الله ؟ قال : فإن أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم ، ثم قرأ د والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ، .

وكلما كان الإتهام كذبا كان العقاب عليه أشد ، وهذا من العدل (من ذكر امرئ بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله فى نار جهنم حتى يأتى بنفاد ما قال فيه) .

(٢٣) وكلما انتشرت الإشاعة بالباطل كان من العدل تشديد العقاب ، نغارا لما تحده من آثار (أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها

برىء يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله أن يذيه يوم القيامة في النار -
حقى يأتى بنفاد ما قال) .

(٢٤) والذين يفسدون بين الناس بما يختلفون من أكاذيب فإنهم أصحاب
النار (لا يدخل الجنة نمام أو قنات) خ ج ٢ الأدب ص ١٤٠ .

(٢٥) ولقد جاء الإسلام يعالج فساد القلوب راعوجاج السلوك ،
ولا تجتمع تعاليمه وشيئاً من ذلك الإعوجاج (إن النيمة والحقد في النار -
لا يجتمعان في قلب مسلم) .

(٢٦) وإذا كان من العدل إنزال العقاب بالمجرم ، فإن من العدل
كذلك إثابة المحسن (من علم من أخيه سيئة فسترها ستر الله عليه
يوم القيامة) .

(٢٧) والتشهير بالناس ولو كانوا مخطئين لا يليق . إلا من أذن الله أن
تشهر بهم (من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا مؤودة) .

(٢٨) ومن أهدى شيئاً ليس له بأهل فن العدل عقابه (ومن صور
صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ) (١) .

(٢٩) وكذا من عظم الحقير أو عاد إلى ما نهاه الله عنه (من حلف
على يمين بلمة غير الإسلام كاذباً متعمداً فهو كما قال . ومن قتل نفسه بشيء
عذب به يوم القيامة . وليس على رجل نذر فيما لا يملكه . ولعن المؤمن
كقتله) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٠) ومن العدل أن نلتزم بما أمرنا به خالقنا ، فلا نلعن إلا من
لعنهم الله ، ولا نعذب بما يعذب به الله العصاة (لا تلعنوا بلعنة الله
ولا بغضبه ولا بالنار) .

(٣١) ومن العدل التسوية بين الشيثين إن كانت تتيجهما واحدة
(سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) خ ج ١ (الإيمان) ص ١٣ .

(٣٢) ومن العدل أن يتحمل الإنسان نتيجة يحاول أن يحملها لغيره
إثما وعدوانا (لا يرمى رجل رجلا بالفسق أو الكفر إلا ارتدت عليه إن
لم يكن صاحبه كذلك) خ ج ٢ (الأدب) ص ١٤٠ .

(٣٣) والبادى بالشر أظلم مالم يرتكب الآخر أضعاف ما ارتكبه
المبتدئ - هذا هو العدل (المتساويان ماقالا فعلي البادى منها حتى
يعتدى المظلوم) .

(٣٤) وإذا كان التشريع الديوى لا يطبق أحيانا لظروف وملاسات -
فليس معنى ذلك ضياع العدل . ولكن من فاته حقه في الدنيا أخذه في
الآخرة تحقيقا لمبدأ العدل (من فأنف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة
إلا أن يكون كما قال) خ ج ٢ (المحاريب) ص ١٥١ .

(٣٥) وعلى الحاكم أن يحكم بالعدل بين الناس من غير تجسس ولا تتبع
للعورات فإن في ذلك فسادا كبيرا (إنك إن اتبعت عورات المسلمين أفسدتهم
أو كدت أن تفسدهم) .

(٣٦) ومن العدل أن يكون العقاب بالمثل فيما تمكن فيه المائلة (من
سمع سمع الله به ، ومن يرأى يرأى الله به) خ ج ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥ .

(٣٧) ولا يعاقب الإسلام على مجرد النية ، ولكن على المعصية التي
وقعت بالفعل . فإن كانت مقدماتها تعد في ذاتها معصية عوقب عليها صاحبها
وإلا فلا . ولا احتجاج بقضاء الله فإننا لانعلمه (كتب على ابن آدم نصيبه
من الزنا مدرك ذلك لا محالة . العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما
الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها

الخطي ، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه (بخ ج ٢
(الأحكام) ص ١٥٦ .

(٣٨) ومن الظلم أن يتهاون الإنسان ولا يتمسك الحق الذي قرره
الشارع ، فيضيع بذلك العدل وتحل محله الخيانات والظلمات (أياكم والدخول
على النساء . فقال رجل : أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت) بخ ج ٢
(النكاح) ص ١٢٤ .

(٣٩) ومن القواعد المقررة أن ما جعلته الله كان عليك ألا تأخذ منه
شيئا - وهذا أمر تعبدى . وفي الحديث : (من كان له ذبح يذبحه فإذا أهل
هلال ذى الحجة فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيئا حتى يضحى) .

(٤٠) والمرء العاقل من العدل أن يصبح كلامه حجة عليه (من حلف
فقال أنا برىء من الإسلام - فإن كان كذبا فهو كما قال ، وإن كان صادقا فلن
يرجع إلى الإسلام سالما) .

(٤١) والحلف إلزام أمام الله فيجب فيه الصدق والحزم معا
(من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان . ثم
قرأ : إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا ، أولئك لا خلاق لهم
في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب
أليم) خ ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤٢) ولما كان الناس قد يصدقون إن حلف لهم غيرهم كانت جريمة
من خدع الناس بيمينه أعظم (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد
أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . فقال له رجل : وإن كان شيئا يسيرا
يا رسول الله ؟ فقال : وإن كان قضيبا من أراك) .

(٤٣) ومن أجل هذا حذر الإبلاام من الحلف خصوصا في الإمكان

التي كثيرا ما يخذع فيها العبد (الحلف منفقة للسلعة بمحقه للكسب) مخ ح١
(التيوع) ص ١٣٠ .

(٤٤) ومن العدل ألا نطلب بالعظيم إلا العظيم (لا يسأل بوجه الله
إلا الجنة) .

(٤٥) وعلى المرء أن يكون يقظا (من استعاذ بالله فأعذوه . ومن
سألكم بالله فأعطوه . ومن دعاكم فأجيبوه . ومن صنع لكم معروفا فكافئوه ،
فإن لم تجدوا ماتكافئوه به فادعوا له بخير حتى تروا أنكم قد كافأتموه) .

(٤٦) ومن العدل أن من طلب الحرام عوقب بنقيض ما طلب ورجع عليه
أثمه (من دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه) .

(٤٧) والزوجان التزما معا بعهد الله وميثاقه ، فيجب الوفاء دلي كل
منهما (إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبانا عليها لعنتها
الملائكة حتى تصبح) مخ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤ .

(٤٨) وهكذا كل من التزم بشيء فقد وجب عليه الوفاء (أيما عبد أبقى
فقد برئت منه النعمة) .

(٤٩) ويجب ألا يعرض الإنسان غيره لما يؤذيه ، كما يجب الإلتزام
بالقواعد الصحية وعقاب من يخالفها (اتقوا اللاعنين . قالوا : وما اللاعنان ؟
قال : الذي يتخلى في طريق الناس وظلمهم) .

(٥٠) وفي الحديث الآخر : (لا يبولن أحدكم في الماء الراكد) (١) .

(٥١) ومن عدله سبحانه أن جعل أمانته في عنق الإنسان بعد أن أبت
حملها السموات والأرض . وسواء كان الحمل التكليف بها أم خيائته لها -
فمن المؤكد أنه المكلف لأنه سيد هذا الوجود فإذا قام بما كلف به استحق
الأجر وإلا فقد تخلى عن أهم ميزة فيه .

(١) مخ ج ١ (الموضوع) ص ٢٩ .

وفي معنى الحديث (لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتتكفأ ، فأرسلها بالجبال فاستقرت فتعجب الملائكة من شدة الجبال فقالت يا ربنا هل خلقت خلقا أشد من الجبال ؟ قال : نعم الحديد وأشد من الحديد النار وأشد منها الماء وأشد منه الريح وأشد منه ابن آدم إذا تصدق صدقة يمينه فأخفاها عن شماله) وهكذا فإن الإنسان يصبح مسخرا كل شيء ، ومسخرا له كل شيء إذا استجاب لربه .

والذين يتعيشون بالكذب على هذا وذلك ، فمن عدل الله معهم أن يذيقهم سوء العذاب (من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ، ومن كسى ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم ، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة) .

(٥٣) ومن يعتدى يلقي جزاءه (وإنه من لعن شيئا لبس له بأهل رجعت اللعنة عليه) .

ولقد أوجب الله العدل على الناس لمصلحتهم ، وتدخلت عنايته فيما بينهم تشرف وتعاقب كل من خرج عليه (مامن مسلمين الا وبينهما ستر من الله عز وجل - فإذا قال أحدهما لصاحبه كذبة هجر فقد خرق ستر الله) .

(٥٥) والإحسان فوق العدل وإن كان في العدل نوع من الإحسان .

ولقد أوصى الله بالإحسان إلى المسيء (من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينقله دعاه الله يوم القيامة حتى يخيره في أى الحور شاء) .

(٥٦) ولقد جاء الإسلام بطريقة تحبب الناس في العفو من غير أن يرغمهم عليه ، ولا لائم على من يطالب بحقه لأنه العدل ، لكن الإحسان درجة فوقه (ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات ؟ قالوا : بلى .

قال : تحام على من جهل عليك وتعفو عن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من أظلمك) .

(٥٧) وقد يظن البعض أن تفاوت الناس في الرزق مناف للعدل . ونسوا أن كل إنسان سيحاسب على ما عنده (أكثر الناس شبيعا في الدنيا أدولهم جوعا يوم القيامة) .

(٥٨) وليست الدنيا وحدها هي التي ينظر إليها في مجال التطبيق لعدل الله ولكن عدله كذلك في الآخرة . وهذه منزلة الدنيا عنده (إن الله ضرب ما يخرج من ابن آدم مثالا للدنيا) .

(٥٩) ومن ظن أن الدنيا منتهى أمله فعمل فيها كأنه لاحياة بعدها فله ذلك الوعيد (من لبس ثوب شهرة في الدنيا ألبسه الله ثوب منزلة يوم القيامة وألهب فيه نارا) .

(٦٠) ومن العدل أن تقيد المباحات عند الحاجة إليها - فالذهب مباح للنساء ، والمعصفر كذلك . فإذا كانت هناك حاجة إلى الذهب أو فتنة إلى المعصفر فالتقييد هو الشرع (ويل للنساء من الآخرين : الذهب والمعصفر) .

(٦١) والمسلم يؤجر على كل شيء إلا على شيء لا فائدة منه - كتشييد القبور وإقامة الأضرحة وغير ذلك (إن المسلم يؤجر في كل شيء ينفعه إلا في شيء يجعله في هذا التراب) .

(٦٢) ولا قيمة لرأى مبتدع في الدين ما ليس منه (إنما أخفى عليكم شهوات النوى في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى) .

(٦٣) وانظر إلى العدل الذي توهمه البعض تعصبا فصحيح لهم النبي فهمه (انصر أخاك ظالما أو مظلوما . قالوا : ننصره وهو مظلوم فكيف ننصره وهو ظالم ؟ قال : تحجزه عن ظلمه فذلك نصره) بخ ج ١ - (المظالم) ص ١٤٨

(٦٤) ويجب على كل إنسان أن يساهم في رفع الظلم كل وما يستطيع
(لا يقفن أحدكم ، وقفنا يضرب فيه رجل ظالما فإن اللعنة تنزل على من حضره
حين لم يدفعوا عنه) .

(٦٥) وهذه مبادئ قامت على العدل (اضمنوا لى ستا أضمن لكم الجنة -
أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا
فروجكم ، وغضوا أبصاركم ، وكفوا أيديكم) .

(٦٦) وقد أمر الله الناس أن يشهدوا بالحق ولو على أنفسهم ، وحذرهم
من كتمان الشهادة أو شهادة الزور (لن تزول قدما شاهد الزور حتى يوجب
الله له النار . ومن كتم شهادة دعى إليها كان كأنما شهد الزور) .

(٦٧) ومن قضائه العادل صلوات الله وسلامه عليه أن قرر في اللعان
إذا جحد النسب (الولد للفراش وللعاهر الحجر ، وأمر سوده أن تحتجب
منه) خ ١٠ (البيوع) ص ١٢٨ ، ١٢٩

كانت تظن أنه عمها من الرضاع . فلما ثبت خلافه أمرت بالحجاب .

(٦٨) وكل من آمن بنبي ورسول فهو من المأجورين إن توافرت فيه
باقى شروط الإيمان ، وإلا فإنه لا أجر له وإن آمن بالبعض وكفر بالبعض
وذلك قسطاس مستقيم - بل عليه عقاب . وفى معنى الحديث (مثل اليهود
والنصارى والمسلمين برجل استأجر أجرا بالنهار فعملا كل من اليهود
والنصارى إلى العصر ، وعمل المسلمون إلى آخر النهار فاستحقوا أجرهم كاملا
بعدما رفض اليهود والنصارى العمل ببقية اليوم) خ ١٠ (مواقيت الصلاة)
ص ٥٢ بالمعنى .

(٦٩) ولمراعاة هذا المبدأ المقدس فرق الإسلام بين عقوبة الأعزاب
والمتزوج فى الزنا (إن ابني كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته وإنى أخبرت

أن ابنه عليه الرجم فافتديته منه بمائة شاه ووليدة فسألت أهل العلم فأخبروني
أنما على ابني مائة جلدة وتغريب عام وأن على امرأة هذا الرجم . فقال النبي:
الوليدة والغنم رد عليك ، وعلى ابنك جلدة مائة وتغريب عام . اغدو
يا أنيس إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها . فاعترفت . فأمر برجمها (بخ ٢ ص ٧ (الشروط) .

(٧٠) ولا يجرم منكم شأن قوم على ألا تبدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى .
والعدل مع العدو أحق وأجدر تعبير عن سماحة الإسلام (لما فزع (١) أهل
خير ابن عمر قال عمر لأحد بني الحقيق : لم أنس قول النبي كيف بك إذا
أخرجت من خير تعدو بك قلوبك (٢) ليلة بعد ليلة . فقال اليهودي: كانت
هزيمة من أبي القاسم . فقال له عمر كذبت . وأجلاهم وأعطاهم قيمة ما كان
لهم من الثمر (بخ ٢ ص ٧ (الشروط) ، ٨

(٧١) ومن الناس من تبلغ فيه الفطنة مبلغا قد لا يتفق لغيره مثل ذلك .
فن العدل أن يكون لهذا ما يختلف عن ذاك - وهذا أمر بديهي . وبناء عليه
فلا غرابة إن رأينا شهادة الرجل بشهادة امرأتين ، وشهادة أحد الرجال كخزيمة
الأنصاري بشهادة رجلين . وروى (نسخ ابن ثابت ففسى آية من الأحزاب
ووجدها مع خزيمة الأنصاري وقد جعل النبي شهادته بشهادة رجلين -
والآية : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) (٣) .

ومن المعلوم أن القرآن نقل متواترا . ولا يقال إن هذه الآية نقلت
بخب الواحد ، فقد كانت معروفة . وأكثر الصحابة يعرفون أنها نزلت في
أنس بن النضر - فاذا كتبها ابن ثابت عن رجل جعلت شهادته بشهادة اثنين

(١) أصيب في رسغ يده .

(٢) الفتى من الإبل .

(٣) بخ ١ ص ١٦ (الحور) ، ١٥

فلا ينأى أن مائة صحابي كانوا يحفظونها - فثبت تواترها .

(٧٢) ولقد ثبت أن معرفة أقدار الرجال له قيمته . وهذا ما كان النبي دائماً التنبيه عليه - وتلك إشارة منه لامرأة (إني أرحمها قتل أخوها معي) مخ > ٢ (الخور) ص ١٧ ، ١٨

(٧٣) ولكل إنسان حق الدفاع عن نفسه . ويروى أن رجلاً أهدر سناً بيده كان صاحب السن قد عض عليها - فشكاه إلى النبي . فقال له : (أيدفع يده إليك فتقضمها كما يقضم الفحل ؟ وأهدر سنه) مخ > ٢ (الخور) ص ٢٢ .

(٧٤) وإذا كان الإنسان يعمل عملاً ثم انقطع عنه من غير تعمد فهو أحق بالأجر عدالة . ومن هنا كان المريض أحق براتبه في مرضه منه وهو صحيح يعمل . وعلى هذا القسطاس المستقيم جاء الحديث : (إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً) مخ > ٢ (الخور) ص ٢٣ .

(٧٥) ويجب احترام العمود (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاماً) (١) .

(٧٦) وكل عمل يجب أن يوضع في موضعه - فإذا لم يوضع كان الظلم الذي يستجار منه إلى الله (من قتل عصفوراً عبثاً عجز إلى الله يوم القيامة يقول : ياربى إن فلاناً قتلنى عبثاً ولم يقتلنى منفعة) .

(٧٧) وأجدر الأشياء بهذا هو المال . فمن أجل الصلاة الجماعية وتيسير الخير - يجب أن يوضع (لأننا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) .

(٧٨) ويجب منع الظالم عن الاستمرار في ظلمه ومقابلته بالمثل . وفي

الحديث قال الحسن : (أجهم أوهاجهم وجبريل معك) بخ ح ٢ بدء الخلق
ص ٣٣

(٧٩) وعلى القاضي أن يكون بصيراً بالأمور لا يصدق كل ما يقال له ،
وعليه أن يتحرى العدل (لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم
ذكروها بالله واقروا عليها إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً
قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر
إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) بخ ح ٢ (تفسير القرآن)
ص ١٠٠

(٨٠) ومن العدل تعذيب الإنسان إن لم يحتمل ويصبر . فإن تسرع
وانتحر فقد باء بمثل ما انتحر به وسوف يعذب كما انتحر (من تردى من
جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبداً يتردى . ومن تحس
سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا أبداً . ومن
قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها
أبداً) بخ ح ٢ (الطب) ص ١٣٦

(٨١) والعدل في جرائم الحدود أن سوى بين القليل والكثير —
لأنها اعتداء على حق الجماعة ، ولأن القليل يؤدي إلى الكثير . ومع
اشتراط النصاب في القطع عند أكثر الفقهاء ، ولكن منهم من لا يشترطه
ويقطع في القليل والكثير وله قول النبي : (لعن الله السارق يسرق البيضة
فتقطع يده ، ويسرق الحبل فتقطع يده) بخ ح ٢ (الحدود) ص ١٥١

(٨٢) وأعظم الجرائم جرائم الدماء (لن يزال المؤمن في فسحة من
دينه ما لم يصب دماً حراماً) بخ ح ٢ (الديات) ص ١٥١

(٨٣) وللنفس حرمة . ولا يحل الدم إلا بمبرر مشروع (لا يحل
دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا باحدى ثلاث :

النفوس بالنفس ، والشيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة) خ ٢٠٠
(الديات) ص ١٥٢

(٨٤) (إن أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ
في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه) خ ٢٠٠
(الديات) ص ١٥٢

(٨٥) ويجب على القاضى أن يكون هادئاً (لا يقضين حكم بين اثنين
وهو غضبان) خ ٢٠٠ (الأحكام) ص ١٥٦

(٨٦) ولقد أحسن الإسلام وأجل حين جعل على المفتاب دعاء لمن اغتابه
(إن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتابته تقول : اللهم اغفر لنا وله) .

(٨٧) والمسلمون كالجسد الواحد يجب الدفاع عنهم كعضو من أعضائه
(من حمى مؤمناً من منافق بعث الله ملكاً يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم .
ومن رمى مسلماً بشيء يريد شينه حبسه الله على جسر من جهنم حتى يخرج
مما قال) .

(٨٨) والحق أن خذلان المسلم جريمة . كما أن نصرته أمر لا بد منه .
ومن وراء ذلك عدل الله يجازى كل بما قدم (مامن امرئ يخذل امرأ
في موضع تنتهك فيه حرمة وتنتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موضع
يجب فيه نصرته . ومامن امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من
عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موضع يجب فيه نصرته) .

الموضوع السابع والعشرون

على هامش المعلومات

(١) نتحدث في هذا الموضوع عما يمس الأخلاق بطريق مباشر ، ولا نتحدث عنه من الناحية الفقهية إلا بقدر . وأول ما نتناوله الهبات والصدقات والتبرعات التي يبذلها الإنسان مختاراً راجياً مشوبة الله . تلك التبرعات لا يصح الرجوع فيها ولا الاحتياال على استردادها لأن ذلك ينافي المروءة وينقد العزم الذي عزم عليه المتبرع - وفوق هذا فهو عمل غير إنساني . عن ابن عمر : (حملت^(١) على فرس في سبيل الله فأضاعه الذي كان عنده - فرأيت أن أشتريه وظننت أنه يبيعه برخص . فسألت النبي فقال لا تشتريه ولا تعد في صدقتك فإن العائد في صدقته كالعائد في قبته)
بخ - ١ (الزكاة) ص ١٠٣

(٢) وكل فضيلة فلا مانع لدى الإسلام أن تكون من مقرراته . وكل أمر مشين فإن الإسلام يمتنعه ويستنكره ويهيب بالمسلم أن يجتنب كل الرذائل سواء كانت في المعاملات أم في غيرها (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغلافات المؤمنات) بخ - ٢ (الوصايا) ص ١٣

(٣) وإذا كان الربا هو الذي له صلة بموضوعنا فنرى إفراده بكلمة - لقد أحل الله البيع وحرم الربا ونهى عنه وتوعد بالنار والحرب كل متباد فيه ، ونهى عن أكل الربا القليل منه والكثير . وقوله لا تأكلوا الربا أضعاف مضاعفة باعتبار ما كان . ولقد جاءت الآية وحرم الربا . وقوله ومن عاد

(١) أى تبرعت به في سبيل الله .

فولائك أصحاب النار هم فيها خالدون . واتفق المسلمون على أن تحريم الحلال فسق وأجمعوا على أن تحليل الحرام كفر - لكن يجب أن نفهم قواعد الإسلام ولا نرمي الناس بالبهتان . فكلمة الربا كلمة من المحتمل أن تكون بجملة لم تبين ، أو عامة خصصت . ولا خلاف في أن متى ثبت الربا فهو حرام . لكن تختلف الأنظار في صورة من الصور لا يرى البعض بها بأساً لأنها ليست من صور الربا في نظرهم . ويرى الآخرون أنها من صور الربا فيحرمونها . والحق لا خلاف بين الفريقين أنه متى ثبتت ربويتها فهي حرام - ولأما في مباحة ، وعليه فلا يتهم من يحلل سورة أنه أحل الربا : كلا ! إن مسلماً لا يرضى أن يحلل ما فيه شبهة فكيف بما لا شبهة فيه ؟

على أن الفقهاء والأئمة اختلفوا في بعض الصور . ومع ذلك لم يكفر بعضهم بعضاً . وبمقتضى مذهب أهل الظاهر ألابا إلا في الأصناف الستة التي ذكرها الحديث - الذهب والفضة والحنطة والشعير والتمر والملح . ومع ذلك لم يكفرهم أحد .

فإذا تعرضنا لصورة أبحناها أو منعناها فيجب أن يعلم أنها من وجهة نظر يشبهها بأقرب شيء لها ونحن ندرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لعن آكل الربا وموكله) .

(٤) ولا يصح أن يخص أحد الورثة بشيء من التركة لأن ذلك تفويت للعدل وإثارة للعداوة . وقد سبق حديث النعمان بن بشير لما أوصى له أبوه بسلام وجاء يشهد النبي على الوصية فقال : (أكل ولدك نحلتم مثل هذا ؟ فقال : لا . قال : إرجع - اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم ، أشهد عليه غيري لا أشهد على جور . أيسرك أن يكونوا في البر سواء ؟ قال ، نعم . قال : فلا إذن . كلها روايات (١) .

(٥) ولقد حارب الإسلام الاستغلال في أى صورة من صوره : وفيما ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الإحتكار أو التدليس أو التلاعب بالأسعار (لا تتلقوا السلع حتى يهبط بها إلى الأسواق) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٣

(٦) ونهى عن كل ما فيه أضرار بالناس سواء في ذلك البائع أم المشتري وسواء في ذلك الضرر المباشر أم عن طريق السمسة القائمة على الغش والخداع (لا تتلقوا الركبان ولا يبيع حاضر لبادى . قالوا : ما يبيع حاضر لبادى ؟ قال : لا يكون له سمسار) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٧) وفيما يتعلق بالزواج تثار الضغائن نتيجة خاطب يتقدم إلى مخطوبة لشخص تقدم إليها من قبله - وهذا عمل قبيح وخلق سيئ . وفوق هذا أنه لا يجوز شرعاً ما لم تفسخ الخطبة من قبل أن يخاطب الثانى ولا يدخل له في فسخها كما أن بعض السيدات تشترط على الخاطب أن يطلق زوجته أولاً - وهذا حرام . فإما أن يقبل الرجل على حاله متزوجاً وإما أن يرفض (ولا يخاطب الرجل على خطبة أخيه . ولا تسأل المرأة طلاق أختها لتكفأ ما في آيتها) بخ - ١ (البيوع) ص ١٣٢ ، ١٣٣

(٨) ومن الناس من يغالى في المديح في سلعة أوفى مديح رجل - وهذا خطأ . وهل انتشر النفاق إلا من السكوت على مديح في غير موضعه من مداح كذاب أشر . ويروى أن رجلاً أتى على رجل فقال له النبي : (ويحك قطعت عنق صاحبك يقوله مراراً إن كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : أحسب كذا وكذا إن كان يرى أنه كذلك ؛ وحسبى الله ولا يزكى على الله أحد) بخ - ٢ (الشهادات) ص ٦٠٥

(٩) وهكذا يرشدنا رسول السلام أن نقف أمام مروجى الكذب بالمرصاد (إذا رأيتم المداحين فاحشوا في وجوههم التراب)

(١٠) ولقد أرشدنا إلى أقوم الطرق وأيسر سبل التكسب الحلال (إن

أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا اشتروا لم يذموا ، وإذا باعوا لم يمدحوا
وإذا كان عليهم لم يمتلوا . وإذا كان لهم لم يعشروا) .

(١١) وتقوم المعاملات الإسلامية على أساس الإسلام وقواعده (اتق
الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلاق حسن) .

(١٢) وقد أقام الإسلام للبيع والشراء قاعدة عادلة تقوم أساساً على
الاختيار الحر ثم الالتزام بما اتفق عليه بعد الصدق والوضوح (البيعان
بالخيار مالم يتفرقا ، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما
محقت بركة بيعهما) بخ ح (البيوع) ص ١٣٠

(١٣) والغدر من أقبح الخصال (خمس تعاجل صاحبهن بالعقوبة : البغى ،
والغدر ، وعقوق الوالدين ، وقطيعة الرحم ، ومعرفة لا يشكر) .

(١٤) والإخلاص في العمل من أسمى الفضائل ، وسيمنح الله أطيبي
الجزاء لمن ضحى من أجله (من ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأخيه كانت له
حجاباً من النار) .

(١٥) وإذا كانت الأخية نسكا معلوما دعا إليه الشارع في وقت معلوم ،
فإن الإسلام ينهى عن التبذير ، ويقرر النبي (الإقتصاد نصف المعيشة) .

(١٦) ولا يجوز المقتصد على حق قرره الله لغيره - كأن يمنع الزكاة
مقصداً ، فإن ذلك لا يجوز . ويتساءل بعض الناس عن حكم التأميم - والمؤكد
أنه قد أُمم عمر رفعة من السكلاء وأبعد ماشية الأغنياء وقال : (فإنه إن تهلك
ماشية الفقير يأتيني متزوعاً لأولاده يقول يا أمير المؤمنين طالباً الذهب
والفضة وليس لي أن أتركه - فبذل العشب من الآن أيسر علي من بذل الذهب
والفضة يومئذ) .

وهذا يدلنا على أنه يجب أن يقصد به المصلحة وأن يلتزم بيت المال

بحاجة كل محتاج ، وأن يكون في حدود ضيقه لا يشمل أصحاب الكسب الحلال قائماً على العدل حسب الطاقة .

(١٧) وإذا كانت الأضحية تحدث عنها - فمن أحكامها أنها بعد صلاة العيد (ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له) خ - ١ (صلاة العيدين) ص ٧٤

(١٨) وإذا أراد إنسان أن يستبدل بورقة الخمسين قرشاً بدطاقروشا مثلاً فإن ذلك هو المعروف بالصرف عند الفقهاء . ولهم فيه أحكام لا تتفق مع العصر الذي نعيش فيه - فمثلاً لو دفعت جنيهاً إلى بدال فأبقى منه عشرة قروش حكم عليه بعدم الجواز لأنه لم يستبدل مال بمال - وهذا لا يجوز إن كان أحد العوضين ناقصاً وهما من جنس واحد . ورأينا في هذا أنه يجوز لأنه لا استغلال فيه . وفي الحديث (وإن كان الصرف يداً بيد فلا بأس ، وإن كان نساء فلا يصلح) خ - ١ (البيوع) ص ١٢٩ - ونرى حكمة المنع هي الاستغلال ، ومتى انتفى الاستغلال وكان في ذلك اليسر ومصالح الناس فلا نرى به بأساً .

(١٩) ومن المسائل التي تتصل بالوضع الإجتماعي الرهن وهو تمليك المرتهن عيناً نظير مال أو شيء يتسلمه الراهن . فإن أعطى للمرتهن حقه كان من حق الراهن استرداد عينه وهو مشروع بالكتاب « فرهان مقبوضة ، وبالسنة : (رهن درعه عند يهودى وقال : ما أمسى عند آل محمد صاع بر ولا صاع حب وإن عنده لتسع نسوة) خ - ١ (البيوع) ص ١٢٩

ولنا تعليق في هذا الباب - نحسب أنه رهن تشريعاً للمسلمين أن يتعاملوا مع غيرهم كي لا يقال أين كان المسلمون وأغنياؤهم حين رهن نبيهم درعه عند يهودى ويتساءل الناس عن جواز الانتفاع بالرهن . وجمهور الفقهاء يمنعه ، وأبو حنيفة يحيزه متى أباح الراهن الانتفاع بالرهن للمرتهن . والفقهاء وجهات نظر من المجيزين والمنايعين : والذي نراه أنه لا بأس من الانتفاع

بالرهن بقدر مال المرتهن - فلو دفع مائتي جنيه وأخذ من الراهن ما قيمته أربعمائة جنيه فإن له أن ينتفع بنصفه لأنه المساوى لما دفعه .

وإذا لم نجز هذا لما وجدنا من يقرض الناس أو يقبل أن يأخذ رهنا بلا فائدة والراهن يتمنى أن تظل غلة الرهن له ، ولكن لا يجد من يقبل هذا الوضع .

ولقد أجزنا الإلتفاع تمشياً مع قول أبي حنيفة . أما القرض الذى جر نفعا فلا نراه ينطبق على الراهن .

وتمشياً مع الاستحسان ومصالح الناس وتبادل المنافع - فالراهن انتفع بالمال ، والمرتهن لا بأس أن ينتفع بالرهن فى حدود المال الذى دفعه . والله أعلم .

(٢٠) والأصل فى المعاملات الجواز حتى يرد دليل بالمنع . كما أن الأصل فى العبادات البطلان حتى يرد إذن من الشارع . والحكم فى المعاملات يدور على المصالح وعدم الاستغلال - ومن أجل هذا ورد الحديث : (لاصعين بصاع ولأدرهمين بدرهم) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٠

(٢١) وللصلحة الإنسانية يدور الجواز والنهى . ومن هنا جاء الأثر (نهى عن ثمن الدم) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٠

(٢٢) ولتجنب الغبن والنزاع فإن المبيع المكيل يجب كيـله عند البيع (كيلوا طعامكم يبارك لكم) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٢

(٢٣) وكل ما فيه غرر فهو باطل (نهى عن بيع جبل الحبلى - وهو بيع الناقة حتى تنتج ما فى بطنها) بخ ١٠ (البيوع) ص ١٣٣

(٢٤) ومن الناس من يتوسل لاقتفاع غير مشروع بطريق البيع . ولذا قد جاء الحديث ، (من اشترى غنماً مصراً فاحتلبها فإن رضاها أمسكها ، وإن

سخطها ففي حلبتها صاع من تمر (بخ ح ١) (اليو ع) ص ١٣٣

هذا سد للاستغلال أورد المبيع بغير عيب فيه . والأخذ بهذا الحديث أولى من القياس الذي أخذ به البعض .

(٢٥) ويكثر كلام الناس حول الربا . ويتساءلون عن صورة بيع الذهب بالفضة مثلاً مع التفاضل - هل هي من الربا أولاً ؟ وهذه أقوال المتقهاء في الربا أوردناها لإتمام الفائدة لهذا الموضوع الخطير .

(١) أجمع العلماء على أنه لا يجوز النسبة في الصنف الواحد بما احتواه الحديث . فلا يصح قدح بر الآن بقدين بعد شهر . وكذلك التفاضل إلا ما نقل عن ابن عباس - فإنه يجوز عنده قدح بر بقدين وثلاث من البر حالا . وخالفه الجمهور . والأصناف التي تعرض لها الحديث أنه لا يجوز فيها التفاضل هي : الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح .

وقد جاء في رواية الحديث (ويعووا الذهب بالورق كيف شئتم يداً بيد) فتضمن الحديث منع التفاضل في الصنف الواحد . ومنع النساء في الصنفين وإباحة التفاضل . فيجوز قدح من البر بقدين من الشعير حالا .

وقال أهل الظاهر إنما يمتنع التفاضل في صنف صنف من هذه الأصناف الستة فقط . والنساء ممتنع في هذه الستة فقط اتفقت الأصناف أو اختلفت فلاربا عندهم في قدح من الزبيب نظير قدين لأن الحديث ليس فيه زبيب .

وقال ابن علية من أهل الظاهر : إذا اختلف الصنفان جاز التفاضل والنسبة ما عدا الذهب والفضة . فيجوز عنده قدح من البر بقدين من الشعير حالا أو مؤجلاً .

والحديث عند أهل الظاهر خاص أريد به خاص لا يجوز أن يحكم بالربا

في غير الأصناف الستة . أما عند الجمهور فهذا خاص أريد به عام .

واختلفوا في العلة التي من أجلها كان التحريم ، فعند المالكية المدخر
المقتات في الأصناف الأربعة . وفي الذهب والفضة كونهما رؤوس
الأثمان وقيم المتلفات تلك علة النهي عن التفاضل عندهم .

أما علة النهي عن النساء في الأصناف الأربعة فهي الطعم والإدخار في
الأصناف المختلفة . وعليه إذا اختلفت أصنافها جاز التفاضل دون النسبة
عند المالكية — فلا يجوز قبح بر بقـدحين من الشعير حالا ولا يجوز
مؤجلا .

وأما الشافعية فعلة منع التفاضل عندهم في هذه الأربعة هو الطعم فقط
مع إتفاق في الصنف الواحد . وأما علة النساء فالطعم دون اعتبار الصنف
مثل قول مالك .

وأما الحنفية فعلة منع التفاضل عندهم في الستة واحدة وهو الكيل
أو الوزن مع إتفاق الصنف . وعلة النساء فيها إختلاف الصنف ماعدا
النحاس والذهب — الإجماع انعقد على أنه يجوز فيها النساء .

ووافق الشافعي مالكا في علة منع التفاضل والنساء في الذهب والفضة
— أعني أن كونهما رؤوسا للأثمان وقيما للمتلفات هو عندهم علة منع النسبة
إذا اختلف الصنف . فإذا اتفقا منع التفاضل . فيجوز جنيه ذهب بائنين
فضة حالا . ولا يجوز مؤجلا . كما لا يجوز جنيه ذهب بجنيه وربيع حالا
أو مؤجلا لاتحاد الصنف .

والذين قصرُوا الربا على الأصناف الستة فريقان :

(١) أهل الظاهر الذين أنكروا القياس - أعنى استنباط العلل من الألفاظ .

(ب) من ينكر قياس الشبه وهو إلحاق المسوت بالمنطوق ، أما ابن الماجشون فقد ألحق المسكوت بالمنطوق بقياس العلة وهي المسالية . أى حياطة الأموال .

وأما الباقلاني فقد ألحق المسكوت بقياس المعنى ، فقياس الزبيب على التمر .

أما مذاهب الأئمة فالعلة مصدر الإشتقاق - الطعم عند الشافعى . والإدخار والإقتيات عند مالك ، والكيل والوزن عند الحنفى . والمهم منع الغبن .

(٢) ما يجوز فيه التفاضل ويمتنع النساء : وعلة منع النساء عند مالك والشافعى فى الربويات الطعم . أما غير الربويات مما ليس بمطعوم فعلته عند مالك إتحاد الصنف فى النسبة مع التفاضل . ولا نسبة عند الشافعى فى غير الربويات ، وأما أبو حنيفة فعلة منع النساء عنده هو الكيل فى الربويات وفى غير الربويات الصنف الواحد متفاضلاً كان أو غير متفاضل .

(٣) ما يجوز فيه الأمران : التفاضل والنساء

فما لم يكن ربويًا عند الشافعى : وأما عند مالك فما لم يكن ربويًا ولا كان صنفًا واحدًا متماثلًا . أما أبو حنيفة فما لم يكن صنفًا واحدًا بإطلاق . ومالك يعتبر فى الصنف المؤثر فى التفاضل فى الربويات ، وفى النساء فى غير الربويات إتفاق المنافع واختلافها ، فإذا اختلفت جعلها صنفين وإن كان الإسم واحدًا ، وأبو حنيفة والشافعى يعتبران الإسم ، وإن كان الشافعى ليس الصنف عنده مؤثرًا إلا فى الربويات فقط - أعنى أنه يمنع التفاضل فيه ، وليس هو عنده علة للنساء أصلاً .

٤ — ما يعد صنفا واحدا وما لا يعد :

والقمح والشعير صنف عند مالك . وصنفان عند أحنيفة بن الشافعي .
هذا عرض سريع لأقوال الفقهاء نستسمح القارئ إن وجد فيه شيئا
من الصعوبة . وهذا معنى ماورد من آثار في هذا الموضوع : الذهب بالذهب
ربا إلا هاء وهاء ، وكذا كل موزون ومكيل ، (ويبيعوا الذهب بالفضة ،
والفضة بالذهب كيف شئتم) بخ ح (البيوع) ص ١٣٢ .

(٢٦) وللبيع من التشاحن جاء الحديث : (لا تبيعوا الثمر حتى يبدو
صلاحه ، ولا تبيعوا الثمر بالتمر . ورخص في بيع العرايا (١) بالرطب
أو التمر . ولم يرخص في غيرها) بخ ح (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٧) وتعليل لهذا المنع جاء الحديث : (أرأيت إذا منع الله الثمرة
بما يأخذ أحكم مال أخيه) بخ ط (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٨) ويروى أن رجلا أراد أن يستبدل بسكيلين من التمر الرديء كيلا
واحدا من التمر الجيد . فقال له النبي : (بهما بالدرهم ثم ابتع بالدرهم
كلا جيدا) بخ ح (البيوع) ص ١٣٤ .

(٢٩) وكل بيع فيه غرر فهو منهي عنه (نهى عن المحاقلة (٢) والمخاضرة (٣) .

(١) العرايا أن يهب الرجل ثمرة فخله ثم يشتريها من الموهوب له بتمر
بشروط مخصوصة . والرخصة فيها عند الأحناف رجوع الواهب عن هبته .
وعند مالك استثناءها من بيع المزابنة الرطب بالتمر .

(٢) بيع الزرع في منبله بالبر .

(٣) قبول المزارعة ببعض ما يخرج من الأرض .

والملاسة (١) والمناذة (٢) والمزابنة (٣) (خ ج ١) (البیوع) ص ١٣٤ .

(٣٠) ومن الناس من يبيع القطن قبل أن يبدو صلاحه وهذا هو المعروف بالسلم - وهو بيع آجل بعاجل . وورد فيه (من أسلف في ثمر فليسلف في وزن معلوم وكييل معلوم إلى آجل معلوم) (خ ح ١) (السلم) ص ١٣٦ .

(٣١) وحرصا على حق الجار أولاه بالشفعة وقال : (الجار أحق بسبقه) (خ ح ١) (الشفعة) ص ١٣٦ .

(٣٢) والإجارة جائزة وهي على المنافع . وتجوز على قراءة القرآن . والفقهاء الذين منعوها ومنعوا الأجر على التعليم كانوا يلزمون بيت المال بالإتفاق على هؤلاء . وورد أن جماعة من الصحابة نزلوا مكانا فقروا والفتاحه على مريض فشفاه الله ، فأعطاهم مالا فجاءوا للنبي يسألونه عنه - فقال : (وما يدريك أنها رقية . قد أصبتم . اقسموا واضربوا لي معكم سهما) (خ ح ١) (الإجارة) ص ١٣٨ .

ولا يتنافى هذا مع ما ذكر من قبل من أن أهل اللجنة لا يسترقون ، لأن القوم لم يكونوا يعرفون أنها رقية .

(٣٣) ولا تجوز الإجارة على عصب الفحل لحديث (أنه نهى عن عصب الفحل) (ح ١) (الإجارة) ص ١٣٨ .

(٣٤) ومن كان عليه دين فن حسن اسلامه قضاءه فورا من غير مما طلة (مطل الغنى ظلم . وإذا اتبع أحدكم على ملي فليتبّع) (خ ج ١) (الحوالة) ص ١٣٩ .

(١) الملاسة ما كالت العين مجهولة الصفة .

(٢) للجهل بتعيين أن هذا بذاك كبيع سبرة الطعام بكيلة تمر .

(٣) هي عند مالك يبيع مجهول الكمية بمجهولها .

(٣٥) ومعاملة المسلمين يجب أن تكون على أساس من الإيثار (قالت
الأنصار : تكفونا المؤنة ونشرككم في الأجر ؟ قالوا : سمعنا وأطعنا)
بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٦) وتجاوز المزارعة دون اشتراط قدر من الزرع . فتجاوز على
النصف أو الربع مثلاً لما ثبت أن النبي : (عامل أهل خيبر على شطر ما يخرج
من الثمار أو الزرع) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٧) وحض الإسلام على تعمير الأرض واستصلاحها (من أمر
أرضاً ليست لأحد فهو أحق) بخ ج ١ (المزارعة) ص ١٤٢ .

(٣٨) أما الذين يزرعون على أن تكون أجرتهم الربع أو قدر معلوم ،
فإنه لا يجوز . ولا خلاف بين هذا وبين ما سبق - فالممنوع الإجارة بالربع
لا المزارعة بالربع . وفي الحديث : (قال لمن يزرعون بالربع أو بخمسة
أوسق - لا تفعلوا . ولكن إزرعوها أو أزرعوها أو أمسكوها) بخ ج ١
(المزارعة) ص ١٤٢ ، ص ١٤٣ .

(٣٩) ومن كان له أرض لا تشرب إلا بمرور الماء من أرض الغير ،
فليس للغير حق في منعه لئلا تموت أرضه . ومن كلام عمر : لو لم أجد له
مرا سوى بطنك لأمرته عليه والناس شركاء في الماء (لا تمنعوا فضل الماء
لتمنعوا فضل الكلال) (١) .

(٤٠) ولقد أشار إلى وعيد شديد للذين يمنعون فضل الماء (والذي
نفسى بيده لأذودن رجلاً عن الحوض كما تذاذ الغريبة من الإبل عن الحوض)
بخ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٤١) وللإمام أن يؤمم أرضا تقام عليها مصلحة عامة لأنه قائم بالامر والإشراف على مصالح الناس (لاحمى لإلا الله ورسوله) (١) .

(٤٢) وقد يختلف الناس في نخل يباع لمن تكون ثمره إن يبيع وعليه ثمر . وهذا تخضاء الرسول صلى الله عليه وسلم (من ابتاع نخلا بعد أن تؤبر فثمرته للبائع إلا أن يشترط المبتاع . ومن ابتاع عبدا وله مال فإله للذى باعه إلا أن يشترط المبتاع) (٢) .

(٤٣) وقد حرم الإسلام الغصب - وهو أخذ الشيء علانية (من ظلم من الأرض شيئا طوقه الله من سبع أرضين) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٨ .

(٤٤) وقرر الإسلام حق الضيافة مراعاة للغريب وتقديرا لإنسانيته (إذا نزلتم بقوم فأمرلكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا . وإن لم يفعلوا فخذوا منهم حق الضيف) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

(٤٥) وأقر الإسلام الطريق العامة التي يمر منها الناس ولا تخضع للملكية أحد . وسعة الطريق أو تضيقها تخضع للظروف . وهذا حكمه : (قضى إذا تشاجروا في الطريق الميتاء بسبعة أذرع) (٢) .

(٤٦) وإذا كان المرهون فرسا جاز إستغلاله نظير الإتفاق عليه إن كان مرهونا (الفرس يركب بنفقته إذا كان مرهونا . وابن الضرع يشرب لنفقته إذا كان مرهونا فعلى الذى يركب ويشرب النفقة) خ ج ١ (الرهن) ص ١٥٠ ، ١٥١ وهذا مامعناه .

(١) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٤ .

(٢) خ ج ١ (الشرب) ص ١٤٥ .

(٣) خ ج ١ (المظالم) ص ١٤٩ .

(٤٧) والعمرى جائزة وهى جعل غلة الدار لشخص معين (قضى بالعمرى لمن وهبت له) بخ ١ (الهبة) ص ١٥٥

(٤٨) والوقف الخيرى من أعظم القربات إلى الله ، ويجب ألا يمس .
وفى الحديث : (تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ولكن ينفق
ثمره) بخ ٢ (لوصايا) ص ١٣

الموضوع الثامن والعشرون

اجتماعيات

(١) لقد اهتم الإسلام بالمجتمع ككل كما اهتم بالافراد . للمجتمع وتقاليده أثر كبير في نفوس الافراد . ومن أجل هذا لم يغفل أثر البيئة في تقديره للأمور . ولم يجرّد الفرد من المسؤولية عن المجتمع الذي يعيش فيه — فأقام رقابة شعبية من المخلصين الأكفاء القادرين لبشرفوا على سير المجتمع ومدا استمساكه بالفضيلة . تلك الرقابة سواء كانت الحسبة عن طريق الإمام كتكليف رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، أم هي الواجب الكفائي أو العيني على كل فرد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وبقدر توفيق تلك الرقابة الشعبية يستقيم سير المجتمع . وبقدر إخفاقها وتهاونها يتخلف المجتمع عن الفضائل وتنتشر فيه عوامل التهلكة التي تصيب الأمم في آخر عهدها بالحياة . وقد دعانا الإسلام إلى القيام بهذا الواجب وحذرنا من التقصير فيه (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا أتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وجليسه . فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون . ثم قال : كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق إطرا ولتقصرنه على الحق قصراً ، أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم) .

(٢) والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلاهما فرض عين . وقيل فرض كفاية — والأول أظهر . ومن شروطهما الكفاءة وتجوز فائدة

والحكمة - وقد دعا إليهما الكتاب والسنة في غير موضع (والذى نفسى يده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا سنة ثم تدعونه فلا يستجاب لكم) ،

(٣) وإذا عجز الإنسان عنهما فلا أقل من أن يستشكر المنكر بقلبه ويأمر بالمعروف من يرجو منه الهداية (لأنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون فمن كره فقد بزيء ، ومن انكر فقد سلم ، ولكن من رضى وتابع . وقالوا : ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة) .

(٤) وحرصاً على كرامة المجتمع ، فقد عمل الإسلام على تأمين أبنائه في كل حركاتهم ، ويسر لهم طريقاً ينجون فيها من تجسس يرصد حركاتهم ويتتبع عوراتهم وإذا كان الجالوس في الطرقات أمراً لا بد منه فإن على الجالس حقوقاً هو مسئول (إياكم والجلوس في الطرقات . قالوا : ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها . قال : فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) خ - ١ (المظالم ص ١٤٩

(٥) والظواهر الإجتماعية ومشكلات المجتمع منها انخفاض مستوى المعيشة وتفكك الروابط الأسرية وعدم استقرار القيم والمعايير .

وهذه الثلاثة أسباب لمشاكل عديدة - ومن الخطأ اغفال السبب وعلاج النتيجة والسبب باق .

وعلم الاجتماع زودنا بالمنهج العلمى الذى يحدد المشكلة وعناصرها وأسبابها والجانب الوقائى منها والعلاجى لها .

وكل هذا لم يخرج عن تعاليم الإسلام - ولذلك نجد وصاياہ نجیہ بعد أن تدعت المبادئ وتمركزت القيم وصححت الأوضاع . فالمظلوم

لأيصح أن تنهأ عن الحق حتى يرفع الظلم عنه . وذكرنا البحث عن الأسباب قبل تقديم النصائح . وهذه وصية قالها النبي في المجتمع الإسلامي بعد أن انتشر فيه العدل : (لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا تداروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يمهقه ولا يخذله - التقوى هاهنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات . بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) .

(٦) والتعاون في حل المشكلات من مبادئ الإسلام . وللمتعاونين جزاء ضمنه الله لهم (من نفث عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفث الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن يسر على مصسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة . ومن ستر مسام ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله به طريقا إلى الجنة . وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتمهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده . ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) .

(٧) ويجب أن يكون المرء يقظا قوى الملاحظة . إن نقد غيره فعليه أن يبدأ بنفسه (لم تضحكون مما تفعلون) غ ٣٢ (تفسير القرآن) ص ١١٤

(٨) والمجتمع الناضل هو الذي يظهر فيه التعاطف . فإن اختفى التعاطف من مجتمع فقد سادته الأنانية وزادت مشاكاه . والأغنياء أول من يسألون (شر الطعام طعام الوليمة يمنعها من يأتيها ويدعى إليها من يأبأها ، ومن لم يحب الدعوة فقد عصى الله ورسوله) .

(٩) ومن قواعد الإسلام أن من سن سنة حسنة في المجتمع فله أجرها ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها . وهذا المبدأ ليرغب (م ١٦ - السنة نظرات)

الفضلاء ويرهب التعساء (من دعا إلى هدى كاف له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً) .

(١٠) وقد يجر الترف المجتمعات إلى التنفيس عن نفسها بارتكاب ما كان محظوراً عليهم قبل أن يخزيهم الله من فضله . ومن هنا كانت مغبة الترف لا تقل خطورة عن ويلات الفقر ، مالم يتدارك الله المجتمعات بحب القيم (إن مما أخاف عليكم من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) خ > ١ (الزكاة) ص ١٠١

(١١) وللحصانة من هذا الإنزالق ، أرشد الأفراد إلى عرفان نعمة الله ، ورسم لذلك طريقاً (انظروا إلى من هو أسفل منكم ؛ ولا تنظروا إلى من هو فوقكم - فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم) خ > ٢ (الاستئذان) ص ١٤٥

(١٢) ولكي لا نعصف بالإنسان موجات الترف وحب الحياة ، يذكر الفرد بالفرق بين ما يتمناه وبين ما يحصل عليه (أتيت النبي وهو يقرأ ألهامكم النكاثر . قال : يقول ابن آدم مالى مالى - وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت) .

(١٣) ويمكن التوفيق بين حب المال ومطالب الدين ، ولكن لا يمكن التوفيق بين الحرص على المال وسلامة الفطرة . كما لا يمكن الجمع بين الأنانية والإيثار - فالوجهة في كليهما متغايرة (ماذنبان جائعان أرسلا في غم بأفسد لما من حرص المرء على المال والشرف لدينه) .

(١٤) والعناية بالفرد مهمة كالعناية بالمجتمع . وتختلف النظريات بأهم يبدأ التنظيم الجماعى . والحق أن التدرج من الفرد أمر طبيعى ، فهو لبنة المجتمع . فإن كانت صلبة قوية - كان البناء متماسكاً ، وإلا كان بناء قائماً على الهواء والفراغ - يحسبه الناظر شيئاً وما هو بشئ . ومن ثم كانت التوجيهات

فِي أَغْلِبِهَا تَتَجَهَّ إِلَى كُلِّ فَرْدٍ عَلَى حِدَةٍ - نَهَى أَعْرَفَ بِمَسْئُولِيَّتِهِ ، خُصُوصًا فِيهَا اسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ مِنْ مَالٍ (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرَزَقَ كَفَافًا ، وَقَبَّعَهُ اللَّهُ بِمَا آتَاهُ) .

(١٥) وَلَا مَانِعَ لَدَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَنْ يَتَقَبَّلَ الْمُسْلِمُ كُلُّ مَالٍ حَلَالٍ - فَهُوَ عَصَبُ الْحَيَاةِ . وَلَكِنْ يَرْشِدُهُ إِلَى مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ مَوْقِفُ الْمُسْلِمِ مِنَ الْمَالِ (إِنْ هَذَا الْمَالُ خَضِرٌ حَلَوٌ ، مِنْ أَخْذِهِ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بَوْرُكٌ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخْذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يَبَارِكْ لَهُ فِيهِ - وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)
بِخ ١٠٢ (الزَّكَاةُ) ص ١٠٢

(١٦) وَقَدْ انْتَشَرَتْ فِي الْمَجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ أَفْكَارٌ نُسِبَتْ إِلَى الدِّينِ وَهِيَ بَعِيدَةٌ عَنْهُ ، فَأَسَاءَتْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِمَّا لَوْ نَبَذُوهَا . مِنْ هَذِهِ الْأَفْكَارِ تَرْوِيجُ الْمَسْأَلَةِ وَالْعَطَاءُ لِكُلِّ مَنْ سَأَلَ . وَاسْتِغْلَالُ الْعَاطِفَةِ الدِّينِيَّةِ كَمَا اسْتِغْلَى مَا فِي الْمُسْلِمِينَ مِنْ حُبِّ الْخَيْرِ وَرَغْبَةٍ فِي الْإِحْسَانِ ، وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ يَبْذُلُونَ رَاغِبِينَ فِي الْخَيْرِ ، وَإِنْ وَقَعَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ - فَإِنَّ السَّائِلِينَ هُمُ الَّذِينَ يَتَحَمَّلُونَ أَوْزَارَ الرِّزِيلَةِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي مَجْتَمَعِنَا الْإِسْلَامِيِّ (لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مَرْعَةُ لَحْمٍ) بِخ ١٠٢ (الزَّكَاةُ) ص ١٠٢

(١٧) وَإِذَا كَانَتْ الْمَسْأَلَةُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ تَرْيِقُ مَاءَ الْوَجْهِ فِي الدُّنْيَا ، وَتَسْخِطُ اللَّهَ - فَإِنَّهَا أَحْيَانًا تَكُونُ لَامِفْرَ مِنْهَا - فَمَنْ صَاحِبُهَا الَّذِي يَسْتَحِقُّ وَتَبَاحُ لَهُ الْمَسْأَلَةُ ؟ (إِنْ الْمَسْأَلَةُ كَدَّ يَكْدُهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لَا يَبْدُ مِنْهُ) .

(١٨) وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَجْعِزُ لَابْنَ آدَمَ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ إِنْ هُوَ لَمْ يَجِدْهَا - هِيَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِمَعِيشَتِهِ وَحَبَاتِهِ (لَيْسَ لَابْنَ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ : بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ ، وَجِلْفٌ خُبْزٍ ، وَمَاءٌ) .

وَلَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنْ يَعِيشَ الْمَرْءُ عَلَى مَا ذَكَرَ . كَلَّا : فَرَفَعَ الْمُسْتَوَى الْمَعِيشِي لِلْأَفْرَادِ تَتَنَافَسُ فِيهِ الْأُمَمُ . وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ إِذَا لَمْ يَجِدْ هَذَا ، سَأَلَ النَّاسَ

« وإن وجد لمسكن والطعام والكساء والشراب ، فليس من حقه أن يسأل الناس .

(١٩) وكلما قنع المحتاج ، كان أحق بطواف المجتمع ، وأجدر بالرعاية (ليس المسكين الذى يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمان ، والقررة والقرتان . ولكن المسكين الذى لا يجد غنى ينفيه . ولا يفطن له فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس) بخ - ١ (الزكاة) ص ١٠٢ ، ١٠٣

(٢٠) وقد يكون السائل أغنى من المسئول . ومع ذلك يمد يده فى زلة . وهو بهذا العمل يأكل سحتا ويعيش على جمر من جهنم ، يستجمعه فى لقيات يحصل عليها (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل تحمل حمالة فأحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجى من قومه لقد أصابت فلانا فاقه فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال سدادا من عيش - فما سواه من المسألة يأنهضة سحت يأكل صاحبها سحتا) .

(٢١) وأقل الأعمال كسبا وإن تكلف جهدا ، فهو أفضل بكثير من مال يحىء عن طريق المسألة ولو بجهد قليل . وشتان بين عيش من كدك وعيش من كد غيرك (لأن يحتطب أحدهم حزمة على ظهره ، يخير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنع) بخ - ١ (الزكاة) ص ١٠٢

(٢٢) ولمكى يسود المجتمع حب الخير ، فلا مانع من أن ينظر الفرد إلى من فوّه من أهل الخير - ليكون خيرا مثلام ، وهذا مزيد من تقديره لنعمة الله : (لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على ماله كته فى الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضى بها ويعلمها) بخ - ١ (العلم) ص ١٦

(٢٣) وكل عطاء يعطيه الإنسان من أجل المساهمة فى رفع مستوى الجماعة

التي يعيش بينها - كل عطاء من أجل هذا لا ينقص من المحتلى شيئاً (ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبداً بغفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز وجل) .

(٢٤) ولقد فرض الله على القادرين أن يتعاونوا مع الضعفاء بأى شكل من أشكال التعاون . وإذا ساد الشعور الدينى ، فلن يسمح أحد لنفسه بفضل يستمتع به وذيره فى حاجة إليه (من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له . فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى فضل) .

(٢٥) ونخير المجتمعات تماسياً ، هم الذين يسودهم شعور هذا التراحم (إن الأشعريين إذا أرملوا فى الفزو أرقل طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ، ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية ، فهم منى وأنا منهم) خ - ١ (الشركة) ص ١٤٩ ، ١٥٠

(٢٦) ولقد كانت تقوم مظاهرات فى المجتمع الإسلامى ، لاعلى شكل التهريج ، ولكن تقوم هاتفة بالخير ، راجية فى الثواب ، لا تطمع فى المال من أجل ذات المال ، ولكن تقوم الطوائف المتظاهرة تسأل عن دورها الاجتماعى ، وقد توقفت بها امكانياتها من السير - كما فعل الذين هم أقدر منهم على السير (جاء الفقراء إلى النبى يقرلون : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم . فقال : وما ذاك ؟ فقالوا : يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا تصدق ، ويعتقون ولا نعق . فقال : أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة ، فرجع نقرأ المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال

بما فعلنا ففعلوا مثله . فقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) .

(٢٧) هذا التسابق في الخير الذي كان يسود المجتمع الإسلامي ، يقابله مجتمع آخر المال في يد السفينة . والمخرومون من المال يطلبونه لينافسوا السفهاء ويشاركوهم كبرياءهم — وما بهذا كانت تعاليم الإسلام ، فهي تحذر من التكبر (بينما رجل يمشي في حلة تدجبه نفسه ، مرجلا رأسه ، يختال في مشيته — إذ خسف الله به ، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة)
بخ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٤٧ .

(٢٨) وكل مجتمع يسوده التسامح فهو أشد تآلفا . ولقد دعا الإسلام إلى هذا التسامح ، وحمل المعتدى كل التبعات (وإن امرئ شتمك أو عيرك بما يعلم فيك ، فلا تعيره بما تعلم فيه — فإنما وبال ذلك عليه) .

(٢٩) ويجب أن يحتفظ الرجل برجولته ، والآثي بأنوثتها — لا يتجاوز أحدهما مكانه الذي أعد له . ولقد اهتم الإسلام بهذا المبدأ وأولاه عناية — حتى من الناحية المظهرية التي قد لا يعبا بها الإسلام كثيراً (حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ؛ وأحلا لنسائهم) .

(٣٠) ولقد أوصى الإسلام بالأدب الرفيع واحترام الحقوق (لا يقيم أحدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا) بخ ١٠ (الجمعة) ص ٧١

(٣١) وإذا قام الإنسان من مجلس حاجة ضرورية — فهو أحق به (إذا قام أحدكم من مجلس ثم رجع إليه ، فهو أحق به) .

(٣٢) إذا عطس فعليه أن يراعى من حوله . وهذا من الأدب الرفيع

والذوق السليم (إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه وخفض أو غض بها
صوته) خ > ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(٣٣) وثبت أنه قال لليهود العاطسين يهديكم الله ويصلح بالكم . وهذا
هو المطلوب من العاطس المسلم أن يرد به على من شتمه . وثبت كذلك
قول النبي (إذا تئاب أحدكم فليمسك بيده على فيه فإن الشيطان يدخل)
خ > ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧

(٣٤) وقد تطأني بعض التقاليد ، فتنسى الإنسان ما هو من فطرته ،
فترى حلق اللحية ، وترك للشارب ، وتربية الأظافر من السيدات إلى غير
ذلك . وفي الحديث : (الفطرة خمس أو خمس من الفطرة : الختان ،
والإستحداد ، وتقليم الأظافر ، وتنف الإبط ، وقص الشارب) .

أما ختان الأنثى فلا بأس به كما روى أنه قال للقبالة : أخفضي
ولا تنهك .

(٣٥) وعلى المسلم ألا يندفع وراء التقاليد . فتندوب شخصيته
الإسلامية فيها ، ويصبح تابعا — في حين أن من الواجب أن يكون قدوة
صالحة بقوله وعمله . ويروى أنه قال : (فوالله لأن يهدي بك رجلا
واحدا خير لك من حمر النعم) خ > ٢ (الحور) ص ٢١

(٣٦) وتجب النصيحة على المسلم لأخيه . ولا يصح الخلط بينها وبين
الغيبة . فتلك محرمة شرعا (الغيبة ذكر أخاك بما يكره . قيل : أفرأيت
إن كان في أخى ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم
يكن فيه ما تقول فقد بهته) .

(٣٧) ومن الناس من يتهاون في كلمة ، ويحسب أن ما يقوله ليس من
الغيبة . وهذا خطأ . وقد سمع النبي من عائشة أنها تقول عن صفية :

لولا أنها قصيرة . فقال لها : (حسبك من صغيره كذا وكذا . تعنى قصيره .
فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته . قالت : وحكيته له
إنسانا . فقال : ما أحب أنى حكيت إنسانا وإن لى كذا وكذا) .

يريد أن ينتبه الإنسان لعيوب نفسه .

(٢٨) ويعمل الإسلام جاهداً على سلامة قلب أبنائه من الحقد والحسد،
وعلى تقويم ألسنتهم — فلا تنطق إلا حقاً (يارسول الله : أى الناس
أفضل ؟ قال : كل مخموم القلب صدوق اللسان . قيل : وما مخموم القلب ؟
قال : هو التقى النقى ، لا لائم فيه ولا بغى ، ولا غل ولا حسد) .

(٣٩) وقد سبق أن العبادات وسائل لناية — هى تهذيب نفس العبد
وصلته بربه . ولذلك نرى الشارع يفضل عملاً على هذه العبادات التى
لم تحقق المرجو منها . أما لو حققته فهى أفضل (ألا أخبركم بأفضل من
درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى قال لإصلاح ذات البين ،
فإن فساد ذات البين هو الحائقة — لا أقول تحلق الشعر ولكن
تحلق الدين) .

(٤٠) ويجب أن يكون أفراد المجتمع على صلة تسودها المحبة والألفة
(لا تقاطعوا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث) خ ٢ الأدب
ص ١٤٠ ، ١٤١

(٤١) وثلاثة أيام هى الحد الفاصل بين المنعزلان والصلة ، لا يحل لعبد
أن يستغنى عن أخيه فوق هذه المدة — وإلا كان آمناً (لا يحل لمؤمن أن
يهجر مؤمناً فوق ثلاث ، فإن مرت به ثلاث فليلقه فليسلم عليه — فإن
رد عليه السلام فقد اشتركا فى الأجر ، وإن لم يرد عليه فقد به بالإنثم وخرج
المسلم من الهجر) خ ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٤٢) وقد لا يرى الإنسان أخاه أشهرا ، ومع ذلك لا يعد هجرا لأن المهم في العلاقة والاطمئنان أن يخالو القلب من الضغائن والاحقاد . ولو أن العبد قام بسبل عادي وخللا من اللقد ، سكنان من أهل الجنة . ويروى في هذا المعنى أن النبي قال : (يطلع عليكم رجل من أهل الجنة ثلاثة أيام متتابعات ، وكان الرجل هو الذي يطلع عليهم في كل يوم — فتبعه ابن عمر ونزل ضيفا بنده ليعرف أعماله التي رشدهته للجنة ، فيقلده فيها ابن عمر . فلم يجد ابن عمر لهذا الرجل عملا غير عادي . فسأله وأخبره أنه من أهل الجنة . فقال الرجل لابن عمر (غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحد أحداً على خير أعياه الله إياه) .

(٣) وإذا كان الرجل قد ارتفع بهذا ، فإنه ليس بالأمر السهل . فقد ارتفع فعلا بشيء عظيم صار إيمانه نقياً من كل ما يشوبه . وفي الحديث : (ولا يجتمع في قلب عبد الإيمان والحسد) .

(٤٤) والإيمان تهذيب بالله ورضاً عن قضائه . والحسد تمنى زوال نعمة الغير ، ونقص في اليقين بالله وعدله . وذن أجل هذا حذرنا منه (إياكم والحسد ، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) .

(٤٥) وكل جماعة تألفت يسودها البغض — فهي محرومة من الجنة (ثلاثة لا ترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : رجل أم قوما وهم له كارهون . وامرأة بانت وزوجها عليها ساخط وإخوان متصارمان) .

ولعل في قوله لا ترفع صلاتهم — يشير إلى أن الجمع الذي يبغض أفراداً بعضاً ، لا يرجى من وراء اجتماعهم نفع ، ولا تنجى من جهودهم ثمرة .

(٤٦) والجماعة النافعة هي التي يتواضع أفرادها ويتجنبون البغى —

وهذا مما أوصى به الإسلام (إن الله تعالى أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يغنى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

(٤٧) وكل جماعة لم تكن على الأمر الذي يجب أن يكون ، فإنها تقوم . وكل فساد عودنا الإسلام ألا نياس من علة . وعلى الناس أن يتفألوا ولا يياسوا (إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم) .

(٤٨) ولا يصح أن يكون الناقد سلبيا ، بل عليه أن يندمج فى بجمعة ليصلحه . ولأمر ما قرر الإسلام وجوب الصلة بين أفراد المجتمع . وفى الحديث : (فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار) .

(٤٩) ويجب أن تتجنب المضايقات التى لا تليق . خصوصا بين الأصحاب فى جلساتهم (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون الثالث) خ ح (الأحكام) ص ١٥٧ .

(٥٠) ويعنى الإسلام بحسن مظهر الأفراد . وىروى أن رجلا جاء حالقا نصف شعره — فقال له النبى : (إحلقوه كله ، أو اتركوه كله) .

(٥١) ومن النساء من يفعلن برؤوسهن ما ينكره الإسلام (لعن رسول الله الواصلة (١) ، والمستوصلة (٢) ، والواشمة (٣) ، والمستوشمة (٤)) .

(٥٢) كما روى . (لعن الله الواشمات ، والمستوشمات ، والمتنمصات (٥))

(١) التى تصل شعرها .

(٢) التى يفعل بها وصل الشعر .

(٣) الواشمة هى التى تجرح نفسها عند المصيبة .

(٤) التى تطلب من غيرها أن تغزها .

(٥) التى تأخذ من شعرها حاجب غيرها وترققه لىصير حسنا .

أو تطلب من غيرها ذلك .

والمتفلسفات (١) للحسن المغيرات خلق الله .

(٥٣) وكل مجتمع تحترم فيه أفراده ، وتقدر فيه القيم — فإنه يرجى منه كل خير . أما المجتمع الذى لا نعلم فيه يستعمل ما حرم الله فهو مجتمع متخلف — لا يرجى منه خير . وقد حارب الإسلام كل رذيلة .

وهذه بعض الرذائل التى كانت شائعة ونهى عنها (نهى عن ثمن الكلب ، ومهر البغى ، وحلوان الكاهن) بخ ١ (البيوع) ص ١٢٦

(٥٤) والمرأة جزء من المجتمع لها قيمتها ، خوطبت كما يخاطب الرجل ، وكلفت بما كلف به حسب إقدرتها ، ووضعت فى الموضع اللائق بها من غير مغالاة أو ظلم (يامعشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار ، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار . قالت امرأة منهن : مالنا أكثر أهل النار ؟ قال : نكثرن اللعن وتكفرن العشير . ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لدى لب منكهن . قالت : ما نقصان العقل والدين ؟ قال : شهادة امرأتين بشهادة رجل ، وتمكث الأيام لا تصلى) بخ ١ (الحيض) ص ٣٢

وتلك طبيعة المرأة لا ينكرها منصف . والشارع لم يطعن فى ذمتها ، ولم يهتمها فى دينها . لكن لأمر خارج عنها منعت من القيام ببعض أركان الدين فى بعض الأوقات فنقصت عن الرجل من أجل هذا . ولما فيها من عاطفة أو ذاكرة ضعيفة أضيفت إلى شهادة المرأة شهادة امرأة أخرى ، أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى .

(٥٥) وعلى كل فرد ضريبة لمجتمعه ، كبرت أو صغرت . والذى لا يؤديها مطالب باتخاذ ما شاء من الوسائل حتى يقدر على أدائها ، ولكى

(١) التى تبرد من أسنانها ليتباعد بعضها عن بعض قليلا من غير حاجة إليه .

لا يكون كلاً على نية منه رجشاً ثقيلاً عليه (تبسمك في وجه أخيك صدقة .
وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة ، وإرشادك الرجل في أرض
الضلال لك صدقة ، وإماضتك الأذى والشوك والعظم عن الطريق لك
صدقة ، وإفراذك من دارك في دار أخيك لك صدقة ، وبصرك للرجل
الردى البصر لك صدقة) .

(٥٦) ولقد أوصى بأمر ميسور، ولكن هو في نائجه نشر السلام والمحبة
بين الناس أجمعين (والله لا يؤمن ثلاثاً . قيل من يارسول الله ؟ قال : الذي
لا يأمن بجاره بوائقه) مع ح ٢ الأدب ص ١٤٠

(٥٧) وقد ربط الشارع بين الإيمان والحياء — التذليل على أن
مشاعر الناس المستقيمة لما صلة وثيقة بإرضاء الله سبحانه (الحياء والإيمان
قرناء جميعاً ، فإذا رنح أحدهما رنح الآخر) .

(٥٨) ومن أجل هذا كان الإنسان مغالباً بالقول الحسن أو الصمت
(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) .

(٥٩) ومروءة الأفراد تتضح في أخلاقهم (والخلق الحسن يذيب
الخطايا كما يذيب الماء الجليد . والخلق السوء يفسد العمل كما يفسد
الخل العسل) .

(٦٠) وبعض المجتمعات تسودها الرذائل ، وتختفى منها الفضائل .
وتلك المجتمعات ليست من الإسلام وإن تسمت به (إن الفحش والتفحش
ليسوا من الإسلام في شيء) .

(٦١) وقد يدرك الإنسان بحسن خلقه درجة عظيمة (إن المسلم
المسدد ليدرك درجة انصوام القوام بآيات الله ، بحسن خلقه وكرم
طبيعته) .

(١٢) والنظافة من الإيمان . والزام قواعد الصحة من وصاياه ، ومراعاة المظهر الحسن من جمال الإسلام (من بات وفى يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلوم من إلا نفسه) (من كان له شجر فليكرمه) إن لى جملة أغلا أرجلها ؟ قال : نتم وأكرمها) .

(٦٣) ودخل رجل عليه وهو ثائر الرأس فأمره أن يصلح شعره . فلما دخل عليه بحالة حسنة . قال : (أليس هذا خيراً من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان) .

(٦٤) ودخل آخر فقال له : (أما كان هذا يجرد ما يغسل به ثوبه) .

(٦٥) والتمنى من الناس يتساءلون عن جواز التداوى ، والتداوى واجب ، والبحث عنه فريضة (ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء) (١) (إن الله أنزل الداء والدواء . وجعل لكل داء دواء — فتداؤوا ولا تداؤوا بهرام) .

(٦٦) ومن لم يرع حق المجتمع فهو منبوذ منه (من آذى المسلمين فى طرقهم ، وجبت عليه لعنتهم) .

(٦٧) وقد حذرنا من أن يعرض المريض غيره للعدوى منه (لا يريدن مرض على مصح) يخ ح ٢ (الطب) ص ١٣٦ .

(٦٨) ومظاهر الأفراد هو طبيعة المجتمع . ومظاهر المجتمع الإسلامى أن يسوده الحياء (إن لكل دين خلقا ، وخلق الإسلام الحياء) .

(٦٩) وكان الحياء خلق الإسلام ، لأن فيه الخير كله . والذي نزل بالأمم كان نتيجة حتمية لأنهم خرجوا على مبدأ الحياء . وفى الحديث :

(إن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . فإذا نزع منه الحياء . لم تلقه إلا مقبلا ممقتا . فإذا لم تلقه إلا مقبلا ممقتا نزع من الأمانة . فإذا نزع من الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا نزع من الرحمة لم تلقه إلا رجيا ملأنا . فإذا لم تلقه إلا رجيا ملأنا نزع من ربة الإسلام) .

(٧٠) وهكذا نراه يتسلل منطقيا بالذين يتمتعون بالحياء إلى الجنة (الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة . والبذاء من الجفاء في النار) يخ ١ (الإيمان) ص ١٠ بالمعنى .

(٧١) ومن الناس من يرزق نعومة في الحديث مع خبث في النية . فيجذب قلوب الناس إليه بالباطل وهؤلاء لهم وعيد شديد من الله (من تعلم صرف الكلام ليستبي به قلوب الرجال ، لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا) .

(٧٢) (إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة) .

(٧٣) ويجب أن يشعر المجتمع الإسلامي بشعور واحد (مثل المسلمين في توادهم وتعاطفهم وتراحيمهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى) يخ ٢ الأدب ص ١٣٩

(٧٤) ويجب أن يكون للفرد جهد ملحوظ وعمل إيجابي في مجتمعه ، وأن يكون رائده الإخلاص والنصيحة ، وشعوره بأن مصلحة الجماعة هي مصلحته (ثلاث لا يغفلوا عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والمناصحة لأئمة المسلمين ، ولزوم جماعتهم — فإن دعاءهم يحيط من ورائهم) .

(٧٥) وينهى الإسلام عن تكوين جماعة داخل الجماعة ، تختلف عنهم

فى مبادئها — مالم تنحرف الجماعة الكبرى عن الحق (الشيطان بهم بالواحد
والإثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم بهم بهم) .

(٧٦) وإذا شعر الإنسان بالحب للغير ، فلينبهه بذلك الحب ،
والمفروض أن يكون الحب لله (إذا أحب أحدكم أخاه فلينبهه أنه
يحبه) .

(٧٧) ويجب فى الإيحاء التعارف الكامل (إذا آخى الرجل الرجل
فليسأله عن إسمه وإسم أبيه ، ومن هو — فإنه أوصل للمودة) .

(٧٨) وكل سينعطف إلى قرينه (الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها
اتلف ، وما تناكر منها اختلف) .

(٧٩) وأولى الناس بالصلة هم أصحاب الحاجات ، مع استحباب تبادل
الزيارات (من عاد مريضاً أو زار أخاه فى الله ناداه مناد : أن طبت
وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلاً) .

(٨٠) كما يسن تبادل الهدايا وخصوصاً عند المناسبات (تهادوا فإن
الهدية تذهب وحر الصدر) .

(٨١) ويجب اختيار الصديق الصالح (لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل
طعامك إلا تقى) .

(٨٢) ويجب ألا يتمكسل المرء ، وعليه أن يكون دائماً النشاط ، دائب
العمل (سدّدوا وقاربوا واعدوا وروحوا وشيثاً من الدجّة (١) ، والقصد
تبلغوا) بخ ح ٣ (الاستئذان) ص ١٤٤

(٨٣) وبقاء المجتمع أو فناؤه ، يرجع إلى ما ينشر فيه من روح

(١) التسمير من أجل الإقبال على الطاعة ،

ديمقراطية أو دكتاتورية (إذا رأى الناس المنكر فلم يغيروه ، أو شك أن
يعمهم الله ببقاب) .

(٨٤) ويجب أن يكون سلوك المرء في المجتمع ملائماً له ، متجنباً عثرات
المنحرفين ، مبتغياً رضوان ربه (ثلاث من كن فيه استوجب الثواب
واستكمل الإيمان : خلق يعيش به في الناس ، وورع يحجزه عن محارم الله ،
وحلم يرد به جهل الجاهل) .

(٨٥) وبذلك الخصال يجمع الغنى ، والنور بالجنة واكتساب رضى
الناس (إتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى
الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً ، وأحب للناس ما تيب لنفسك
تكن مسلماً . ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) .

(٨٦) وكلما أسعد الإنسان غيره ، وقدم للمحتاج عوناً - كان أحسن إلى
الناس برضوان الله ، وأكثرهم حظاً من الخير (إن الله خلقا خلقهم لحوائج
الناس ، يفرع الناس إليهم في حوائجهم - أولئك الآمنون من
عذاب الله) .

(٨٧) وعلى المرأة أن تشترك في بناء المجتمع بجهودها فيما يناسبها .
لا تمنع من دخول مسجدهم للحضور مؤتمر عام ، إلا لعذر كما روى أنه قال
للأنص (أنعمت ؟ قلت : نعم . قال : إن هذا أمر كتبه الله تعالى على
بنات آدم ، فاتن ما يقضى الحاج ، غير ألا تغلوا في البيت) (١) ويروى :
(تخرج العواتق وذرات الخدور والحیض ، وليشهدن الخير ودعوة المؤمنين .
ويعتزل الحيض المصلى) (٢) ويروى : (كن لاعد الصغرة والكدره شيئاً)
بخ ١ (الحيض) ص ٣٣

(١) بخ ١ (الحيض) ص ٣١

(٢) بخ ١ (الحيض) ص ٣٣

(٨٨) وكل فرد مسئول عما يؤذى المجتمع، أو يعرضه للأذى في الطريق العام (بينما رجل يمشى بطريق ، وجد غصن شوك على الطريق ، فأخذه فشكر الله له - فغفر له) خ - ١ (الآذان) ص ٥٧

(٧٩) ويجب على المجتمع أن يبذل قصارى جهده لرفع مستواه الاقتصادي (التمسوا الرزق في خبايا الأرض) وأن يحسن استغلال كل ما يقع تحت يده (بين رجل يركب بقرة إذ قالت : إنى لم أخلق لهذا) خ - ١ (المزارعة) ص ١٤٢

(٩٠) ويجب على الفرد أن ينظر لمصلحة غيره ، فيدخر لنفسه إن عم الرخاء . ولا يحل له أن يستبقى لنفسه شيئاً في وقت الشدة وفي الحديث : (من ضحى منكم فلا يصبحن بعد ثلاثة وفي يده منه شيء . فلما كان العام المقبل قالوا : نفعل كما فعلنا العام الماضي ؟ قال : كلوا وأطعموا وادخروا ، فإن ذلك العام كان بالناس جهد فأردت أن تعينوا فيها) خ - ٢ (الأضاحي) ص ١٣١

(٩١) وكلما سادت الديمقراطية انتشر العدل ، وكلما كانت الديكتاتورية كان الظلم . ولما أقام النبي مجتمعا ديمقراطياً تعاونياً خلّاقاً للحضارة بناء للقيم ، أعلن فيه قائلاً : (لا تحسسوا ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تُدابرُوا ، وكونوا عباد الله إخواناً) .

(٩٢) ويعترف الإسلام بما للإسلام بما للأسلوب الشعري من تأثير ، وما للبيان من صدق في القلوب (إن من الشعر حكمة ، وإن بعض البيان سحر) خ - ٢ (الأدب) ص ١٤١

(٩٣) والشعر المذموم هو الشعر الخليع ، الذي يتحدث عن الباطل (لأن يمتلأ جوف أحدكم فيحيا خير له من أن يمتلأ شعراً) (١) .

(١) خ - ٢ (الأدب) ص ١٤٢

(١٧ م - الستة نظرات)

(٩٤) ويدرك المؤمن بنيته الحسنة ما يعجز عن تحقيقه بعمله .
وفي الحديث : (نية المؤمن خير من عمله) .

(٩٥) ويجب أن تكون غاية المؤمن لإرضاء ربه (إذا أملتكم فتاجروا
الله بالصدقة) .

(٩٦) وحسن الهيئة من صميم الإسلام (ما لكم تدخلون على قلوبنا ،
استأقوا) .

(٩٧) وحياة المؤمن المديدة كلها خير له ولغيره (لا يزيد المؤمن عمره
إلا خيرا) (وإن من السعادة أن يطول عمر العبد ، ويرزقه الله عز وجل
الإثابة) .

الموضوع التاسع والعشرون

(مبادئ)

(١) لكل صاحب دعوة مبادئ يسير عليها ويسعى لتحقيقها . وحياء النبي كلها تقتبس منها المبادئ ، وتعاليمه وتوجيهاته ركائز الخير في كل مجتمع . ولكننا نخيرنا اسم مبادئ لهذه العموميات من التوجيهات النبوية حتى يتضح لدارس السنة كيف كان النبي يوجه الناس ويدعوهم إلى الله ، ومعلوم أنه جاء على لسانه ذكر الجنة والنار - كجزء حتمي على كل عمل في الدنيا .

ولا يملك محمد أن يدخل في الجنة أو يخرج من النار أحد . فالجنة والنار لله ، يرحم بالجنة أو يعذب بالنار ، ولم يخترعهما محمد صلى الله عليه وسلم للإغراء من أجل مصلحته ، ولا للتخدير من أجل أن يستغل غيره . كلا ! . لأنهما حقيقتان ملموستان له . رأهما ثم تحدث عنهما - فمن ياترى ذلك الإنسان الناجي من عذاب النار ؟ . . أهو الذي دفع لمحمد مالا ؟ أم هو الذي مكنته من تحقيق حلم ؟ كلا ! ثم كلا ! لأن الناجي هو من خاف ربه وقلد محمدا في خوفه من ربه .

والناجي كذلك من غير قدميه في سبيل الخير ونفع الناس (لا يلج النار رجل بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم) .

(٢) والحقيقة الكبرى عند صاحب السنة فهم الأمور كما هي ، لا تنسيه العواطف شيئا ، ولا يصرفه الأمل عن صرف همته عن التألف لتحقيقه ، ولم افتتن الناس بالدنيا . أما هو وهو فيها نبي ورسول ، وحاكم موفق ، وسلطان يأمر وينهى - فلم يخدع بها (ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم ، فلينظر به يرجع) .

(٣) وبر الناس أمر مقرر ، وإيذاء الناس منهي عنه ، وقد يختلف البعض في البر والإثم - فقد يعد الظالم أعماله برا ، ولرفع هذا اللبس جاء الحديث (البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في نفسك ، وكرهت أن يطلع عليه الناس) .

(٤) والتواضع من الإيمان - ففيه اقتراب من ضعاف الخلق ، واعتراف بقدر العبد ، والكبرياء لله وحده (لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه بطرا) خ ج ٢ (فضائل الصحابة) ص ٥٦ .

(٥) والإنسان كائن مسئول ، عبر عن دقة المسؤولية بالميزان الذي يخفف ويثقل ، وعلى المسئول أن يجمع من الخير ما يرجح به ميزانه . وهذا ما يرجح الموازين عنده (ما من شيء أثقل في ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبخس الفاحش البذى) .

(٦) وسئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ، وعن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال عن أكثر ما يدخل الناس الجنة : (تقوى الله وحسن الخلق) وعن أكثر ما يدخل النار قال : (الفرج والفهم) .

(٧) وإذا كانت الجنة يبشر بها بعض الخلق على لسانه ، فإن ذلك بأمر الخالق ، ولقد أوحى إليه أن دار السلام لا يدخلها إلا من إتزموا بطاعة ربهم ونبيه ، ومن حقه حينئذ أن يبشرهم (أنازعهم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء ، وإن كان محقا ، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا ، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه) .

(٨) ونلاحظ أن أعلى الجنة للذي حقق الغاية من بعثته صلى الله عليه وسلم وهي مكارم الأخلاق (إن المؤمن ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم) .

(٩) والذين يحرمون على النار ، هم أولئك الرحماء (ألا أخبركم بمن

يحرم على النار ، أو بمن تحرم عليه النار ؟ قالوا : بلى . قال : كل قريب هين لين سهل) .

(١٠) والإسلام كله مبادئ ، ولكن أى الإسلام خير ؟ قال : (تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من تعرف ومن لم تعرف) (١) .

(١١) وإذا لاحظنا ما للسلام من قيمة ، علمنا إلى أى مدى ينبغي الإسلام السلام ، وينشر الأمن والطمأنينة ، ويوجب على من بدىء بالخير أن يكون رده خيرا منه (لما خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم قال : اذهب فسلم على نقر من الملائكة جلوس ، فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحيمة ذريتك . فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليكم ورحمة الله - فزادوه ورحمة الله)
خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٧ ، ٣٨ .

(١٢) وعلم المسلم أن يعرف نعمة الله عليه (كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع) .

(١٣) وعلى المسلم أن يدافع عن أخيه ، ولا ينتظر منه جزاء (من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة) .

(١٤) وعلى الإنسان أن يتحمل وأن يصبر على معاشره الناس ، ويروى أن رجلا استأذن على النبي فقال (بشئ أخو العشيرة ، إنذروا له) .

(١٥) ولم يخص أحدا بشئ كما يدعى البعض - أنه أولى على بن أبى طالب بشئ من العلم ، فجاء على كرم الله وجهه يكذب هذا وينشر ما كان فى صحيفته على الملأ (المدينة حرام ما بين غير إلى ثور ، فن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة

صرفا ولا عدلا ، ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم - فمن أخضر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو إلى منى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)
خ ج ١ (فضائل المدينة) ص ١١٩ .

(١٦) ومن المقرر في الإسلام أن العمل إن كان لغير الله فيه ذرة منه فهو باطل ، مهما كان العمل جليلا ، وهذا مجاهد من الصحابة يسأل (إلى أين الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطني ؟ فنزل : فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) خ ح ١ (العلم)
ص ٢١ بالمعنى .

(١٧) ويعمل الإسلام جاهدا على تكوين الشخصية واستقلالها (لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ؛ إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا أن تجتنبوا أساءاتهم) .

(١٨) ويبحث على فعل الخير ، وأن عليه جزاء في الدنيا وفي الآخرة ، وتقدر الإخلاص فيه - يحظى العبد برضى ربه (صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تطفئ غضب الرب) .

(١٩) وخير الناس أنفعهم للناس ، وأقربهم من رحمة الله أوسعهم عفوا وأكثرهم راحة في الدنيا أشدهم ذهدا لما في أيدي الناس (ثلاثة أقسم عليهم ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزا ، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) .

(٢٠) والمؤمن يعتز بالله ، ولا يرضى أن يذل نفسه (من أعطى الذلة من نفسه طائعا غير مكره فليس منا) .

(٢١) ويجب الإعتزاز عند طلب الحاجات ، ومعناه ألا تعمل عملا مع

من تطلب منه لا يترك الإسلام عليه (اطلبوا الحوائج بعزة الأنفس ، فإن الأمور تجري بالمقادير) .

(٢٢) ويجب التنزه عما في أيدي الناس عما لاحق لك فيه ، (عليك بالياس بما في أيدي الناس فإنه الغنى ، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر ، وصل صلاتك وأنت مودع ، وإياك وما يعتذر منه) .

(٢٣) والمؤمن لا يستهين بذنوبه ، ومن أجل هذا يتوب منها قبل أن تغطي بصيرته (إن المؤمن إذا أذنب ذنباً نكثت نكته سوداء في قلبه ، فإن تاب واستغفر ثقل قلبه ، وإن لم يتب زادت حتى تعلو قلبه) .

(٢٤) والفاجر لا يعبأ بذنبه ، وهذا تصوير لشعور المؤمن والفاجر نحو ذنبيهما (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه - فقال به هكذا فطار)
خ ٢ الدعوات ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٢٥) ومن أهم المبادئ في الإسلام: محاربة الخرافات. فعلى كل مسلم وخصوصاً العلماء منهم ألا يتهاونوا في محاربة كل ما هو دخيل على الدين مما كان معمولاً به في الجاهلية فإلغاء الإسلام . ثم عاد إلى أذهان المسلمين بطريق آخر . وتهاون فيه من ينتسبون إلى العلم . ونحن نهيب بكل عالم ألا يستبدل بآخرته ديناه ، وأن يبتعد عن التأويل لتثييت البدع . وهذا مثل أضربه ليتعظ الجميع : إذا نذر بعض العامة حيواناً لولى - فمن حق هذا الحيوان أن يأكل من زروع الناس ، يخافون من الولي المنذور له إن منعه . فأى فرق بين هذا وبين الفرع المعمول به في الجاهلية ؟ (لافرع ولا عتيرة)^(١) والفرع أول تتاج كانوا يذبحونه لطواغيتهم . والعتيرة تذبح في رجب .

(١) خ ج ٢ (العقيقة) ص ١٢٩ .

(٢٦) ويجب على المسلم أن يجتنب الغرور - فهو لا يدري لعل غيره أحسن عملاً منه (من ظن أنه خير من غيره فقد تكبر) .

(٢٧) ومن أهم مبادئ الإسلام العدل . ومراعاته ، وشعور المسلم بالمسئولية عن عمله والجزاء عليه (البر لا يبلى ، والإسم لا ينسى ، والديان لا ينام ، وكما تدين تدان) .

تلك إشارات يسيرة اكتفى بها في هذا الموضوع . وقد تعمدت تكرار بعض الأحاديث فيه ، ليزيد الانتباه إليها . وكما قلت إن كل تعاليم النبي مبادئ .

الموضوع الثلاثون

القصص

(١) وهذا لون من القصص أقدمه للقارىء ليتذوق موضع العبارة فيه - فإن فى القصص عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ، ولكنه حقائق وقعت فى أزمان مختلفة - أفردتها فى باب خاص .

ويعتمد بعض المرشدين والدعاة على القصص . وعيهم فيه أنهم يخلطون بين الصحيح منه وغير الصحيح .

وأول ما نبتدىء به قصة الثلاثة أوردها «رياض الصالحين» فى باب المراقبة :

(إن ثلاثة من بنى إسرائيل - أبرص وأقرع وأعمى أراد الله أن يتبليهم ، فبعث إليهم ملكا فأتى الأبرص فقال : أى شئ أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذى قدرنى الناس فمسحه . فذهب عنه قدره وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا . فقال : فأى المال أحب إليك ؟ قال الإبل - أو قال البقر - شك الراوى ، فأعطى ناقة عشراء فقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأقرع فقال : أى شئ أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني هذا قد قدرنى الناس فمسحه فذهب عنه وأعطى شعرا حسنا . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : البقر . فأعطى بقرة حاملا قال بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أى شئ أحب إليك ؟ قال : أن يرد الله إلى بصرى فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الغنم فأعطى شاة ولدا ، فأتى هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم . ثم إنه أتى الأبرص فى صورته وهيته فقال له : رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الحبال

فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذى أعطاك اللون
الحسن والجلد الحسن والمال بعيرا أتبلغ به فى سفرى ؟ فقال : الحقوق
كثيرة . فقال له كأتى أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيرا فأعطاك
الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كائرا عن كابر . فقال : إن كنت
كاذبا فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأقرع فى صورته وهياته ،
فقال له مثل ما قال لهذا ورد عليه مثل ما رد هذا . فقال : إن كنت كاذبا
فصيرك الله إلى ما كنت ، وأتى الأعمى فى صورته وهياته فقال : رجل مسكين
وابن سبيل انقطعت بى الحبال فى سفرى فلا بلاغ لى اليوم إلا بالله ثم بك
أسألك بالذى رد عليك بصرك وأعطاك المال شاة أتبلغ بها فى سفرى ؟
فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلى بصرى فخذ ماشئت ودع ماشئت ، فوالله
لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله عز وجل . فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم
فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك (بخ ج ٢) (بدء الخلق) ص ٤٦
وهكذا يتميز المؤمن العارف للنعمة ربه عليه فيستحق رضوانه ، ويعد
الجاحد المنكر للنعمة الخلل بعمده - يبعد عن الرحمة إلى السخط
والجحيم .

(٢) (كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك :
إنى قد كبرت فأبعث إلى غلاما أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاما يعلمه وكان فى
طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر
مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه . فشكا ذلك إلى الراهب
فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسنى أهلى . وإذا خشيت أهلك فقل :
حبسنى الساحر . فبينما هو على ذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس
فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجرا فقال :
اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى
يمضى الناس فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره . فقال له
الراهب : أى بنى أنت اليوم أفضل منى ، قد بلغ من أمرى ما أرى وإنك

ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل على . وكان الغلام يرى الآلهة والأبرص ويدأوى الناس من سائر الأدواء . فسمع جليس للملك كان قد عمى فأنابه بهدايا كثيرة فقال : ماهى لك أجمع إن أنت شفيتنى - فقال : إني لأشفي أحدا إنما يشفى الله تعالى فإن آمنتم بالله تعالى دعوت الله فشفاك ، فأمن بالله تعالى فأتى الملك لجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربى ، قال : أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجىء بالغلام فقال له الملك أى بنى قد بلغ من سحرك ما تبرى الآلهة والأبرص وتفعل وتفعل : فقال : إني لأشفي أحداً إنما يشفى الله تعالى . فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجىء بالراهب فقليل له : أرجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليس الملك فقليل له : أرجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقليل له : أرجع اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه . فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور وتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه فذهبوا به فقال : اللهم أكفنيهم بما شئت . فأنكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟ فقال : كفانيهم الله تعالى . فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به . قال : ماهو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل : بسم الله رب الغلام ثم أرمي فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ثم قال : بسم الله رب الغلام ثم رماه فوق السهم فى صدره فوضع يده فى صدره

فمات . فقال الناس . آمناً برب الغلام فأتى المالك فقيل له : أريت ما كنت تحذر
قد والله نزل بك حذرک ، قد آمن الناس . فأمر بالأخذد بأفواه الشوك فخذت
وأضرم فيها النيران وقال : من لم يرجع عن دينه فأحرقوه فيها أو قيل له إقتحم
ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعه صبي لها فتقاعست أن تقع فيها . فقال لها
الغلام . يا أماء اصبري فإنك على الحق .

وهكذا يتبلى المؤمنون ويصبرون . وفي النهاية ينصر الله أوليائه ويخذل
أعداءه - لينال كل ما أعدله من جزاء .

(٣) (إنطلق ثلاثة نفر بمن كان قبلكم حتى آوأم المبيت إلى غار فدخلوه
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من
هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم
إنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي
طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما فخلبت لهما غبوقهما فوجدتهما
نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً ، فلبثا - والقدح على
يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر - والصبية يتضاغون عند قدمي -
فاستيقظا فشربا غبوقهما : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا
ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه . قال
الآخر . اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي . وفي رواية كنت
أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت مني حتى أملت
بها ستة من السنين فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني
وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها ، وفي رواية فلما قعدت بين رجلها
قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحق بحقه ، فانصرف عنها وهي أحب
الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها : اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء
وجهك فافرج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون
الخروج منها . وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراً وأعطيتهم أجرهم

غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأخرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون (بخ ح ١) (الاجارة) ص ١٣٧

فانظر كيف انفرج الكرب وكيف بدأ وانتهى، لقد كانوا يتجولون في الصحراء فألجأتهم السماء إلى مكان يختبرون فيه، فتوسلوا للنجاة بصالح عملهم، فأولهم رد الجليل لمن قدمه إليه، رحم الكبار قبل الصغار، وآثر من هو فناءه أقرب من غيره، وتغلب على عاطفته بعقله.

وأما الثاني، فاستبد به طيش الشباب وكاد أن يطغيه الغنى، وشجعه على ذلك أنه صار مطلوباً وليس بطالب، ومحتاجاً إليه ومضطراً لما في يديه؛ ولكن سرعان ما تغلب على نفسه وانقشعت النشاوة عن بصيرته (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا، فإذا هم مبصرون)

أما الأخير منهم فقد استؤمن فلم يكن أميناً فحسب بل هو أمين مستثمر. أجرى الله على يديه كسباً، ليبتليه - نفاض المحنة بسلام، وعندما حضر المؤمن سلبه حقه وما تولد منه، كل ذلك من أجل الله الذي عملوا ابتغاء وجهه، ففرج ما بهم من كرب.

(٤) (كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض - فدل على راهب فأناه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال لا، فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال نعم. ومن يحول بينه وبين التوبة؟ إنطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها

أناساً يعبدون الله تعالى ، فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء . فانطلق حتى إذا وصل نصف الطريق أتاه الموت ؛ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ؛ فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى . وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط ، فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم - أي حكماً - فقال : قيسوا ما بين الأرضين فألقى أيتهما كان أدنى فهو له ، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة (بخ ٢ ح بدء الخلق ص ٤٧)

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ، فلقد أذنب وسأل عبداً ، فاستعظم ذنبه على مغفرة الله أن تتسع له ، فكان ما كان من قتله كذلك ، وسأل آخر ممن يدركون أن رحمة الله وسعت كل شيء - فأرشد وأحسن بما للبيئة السيئة من سلطان على ذلك المذنب ، وأشار عليه أن يتحول لبيئة أخرى صالحة ، وأطاع فاراً من ذنوبه ، ذاهباً إلى ربه حسب ما أرشده من يقى عنه ، لكنه لم يصل إلى غايته ، ومن حق كل امرئ أن يسأل عن مصير مثل هذا - أيواخذ بنيته أم بعمله ؟

وبعد المناقشة أعلن أن نية المرء خير من عمله ، وأن الإنسان قد يدرك بنيته أضعاف ما يدركه بعمله ؛ وفي رواية في الصحيح : فكان إلى القرية الصالحة بشير فجعل من أهلها ، وفي رواية أخرى في الصحيح : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربنى وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشير فغفر له ، وفي رواية ثالثة : ففأى بصدوره نحوها .

(هـ) إن امرأة من جهمينة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا ، فقالت : يا رسول الله أصبت حداً فأقمه على ، فدعا نبي الله صلى الله عليه وسلم وليها فقال : أحسن إليها فإذا وضعت فاتنى ، ففعل . فأمر بها نبي الله صلى الله عليه وسلم فشددت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها ،

فقال له عمر : تصلى عليها يا رسول الله وقد زنت ؟ قال : لقد تابت توبة
لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم ، وهل وجدت أفضل من
أن جادت بنفسها لله عز وجل .

ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ، أولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنت تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ونعم
أجر العاملين .

وهذه قد ارتكبت حداً ثم جاءت تعترف بذنوبها راجية تكفيره بإقامة الحد
عليها . ومن العدل أن يقام . ومن العدل كذلك ألا يؤخذ البريء بذنوب
غيره . وولد الزنا هو خير أبويه فيحترم ، وليس يشتر أبويه كما قيل — فهما
اللذان قد ضيعاه وما من طفل إلا وله حق في الحياة — فلنبحث عن يقوم
بتربيته ورعايته . وهذا هو الذى كان . عهد به إلى رجل من صالح المؤمنين
بعد أن تأكد صاحب السنه أنه استغنى عن أمه ، ثم قدمت لتوقيع العقاب
بإذلة نفسها خوفاً من ربها ، وهى تدرك أن من وقع فى الذنب فعوقب به
فى الدنيا فهو كفارة له .

وانتهت حياتها وبدأت رحمة الله تغمرها بصلاة نبيه عليها وتساءل
البعض اليس زانية ؟ ناسين أنها تائبة والتائب من الذنب كمن
لا ذنب له .

(٦) (غزاهى من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم فقال لقومه :
لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين بها ،
ولا أحد بنى بيوتاً لم يرفع مقوفها ، ولا أحد اشترى غنماً أو خلفات وهو
ينتظر أولادها . فغزى فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك
فقال للشمس : إنك مأمورة وأنا مأمور ، اللهم احبسها علينا ، فحبست حتى
فتح الله عليه ، فجمع الغنائم فجاءت — يعنى النار — لتأكلها فلم تطعمها

فقال : إن فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده
فقال : فيكم الغلول فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده
فقال : فيكم الغلول — فجاءوا برأس مثل بقرة من الذهب فوضعها فجاءت
النار فأكلتها ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى
ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا (بخ > ٢ (الحور) ص ٢٨

والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . وأبرز ما في القصة أن القائد
يشترط على الجند المجاهدين ألا يكون منهم من تتعلق همته بالدنيا في صورة
امرأة أو عقار أو منقولات . وأن يتجردوا لله . فإن هم وصلوا إلى تلك
المرتبة من السمو ، فقد حق لهم أن يسووا أنفسهم بأضخم وأكبر ما في
الطبيعة في أن كلا منهما مأمور . وأن ذلك الإنسان قد يضيق وقته ولا يتسع
لما أمر به فيه ، فلينجأ إلى الله ليلهمه فقها يستعين به على تقديم الأولى .
ولقد رزق هذا النبي ذلك الفقه فغزا وأدى صلاة العصر في وقتها .

ومن شروط النجاح في الجهاد ألا يكون في المجاهد مطمع في مال ،
ولا يفكر في الحصول عليه من وراء الجهاد أما الغلول أى أخذ من الغنيمة
مالا يحل أخذه . ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة . ولما أن يحصل عليه
بطريق الغنيمة ولم تحل لأحد غيرنا . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(٧) (بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها
فشرب ثم خرج — فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل :
لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان قد بلغ مني . فنزل البئر
فألاً خفه ماء ثم أمسكه بقيه حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له .
قالوا : يا رسول الله إن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : في كل كبد رطبة أجر)
وهكذا من يرحم يرحمه الله . والذين يحسون بإحساس الآخرين هم أحق
الناس بالرحمة . وإذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الذنوب ، فكيف الرحمة

بالإنسان الذي قست عليه الحياة ولا يجد فيها من يرحمه (١) ، وفي رواية للبخارى . فشكر الله له فغفر له فأدخله الجنة ، وفي رواية أخرى للبخارى ومسلم ديننا كلب يطيف بركيه قد كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فاستقت له به فسقته فغفر لها به ، خ ٢٠ (بدء الخلق) ص ٣٧

(٨) (كنا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء قوم عراة مجتأبي النمار أو العباد متقلدى السيوف ، عامتهم بل كلهم من مضر - فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة . فدخل ثم خرج فأمر بلا لافأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة) إلى آخر الآية : (إن الله كان عليكم رقيبا) والآية الأخرى التى فى آخر الحشر (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولوبشقي تمره ، فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت . ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا) .

وكلكم مسئول عن رعيته ، والراعى الصالح هو الذى يأمرى لرعيته إن رآهم فى ضيق من العيش ، ويتهلل وجهه سرورا إن رآهم فى رغد منه . وهو الذى يسعى لرفع مستواهم لا يتقيد بوسيلة معينة ، ولو كانت جمع التبرعات لهم - وما على المحسنين من سبيل . ولينفق كل ذى صعة من سعته . وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه . وصحابة النبي يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ويتبعهم في ذلك المؤمنون وللداعي إلى الخير أو الشر مثل من يتبعونه ويقلدونه .

(٩) (لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم ، وصاحب جريج وكان جريج رجلاً عبداً فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته أمه وهو يصلي - فقالت : يا جريج فقال : يا رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فانصرفت ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج فقال : أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته ، فلما كان من الغد أتته وهو يصلي فقالت : يا جريج فقال : أي رب أمي وصلاتي فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات فتذاكر بنو إسرائيل جريجا وعبادته ، وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت : إن شئتم لأفتننه . فتعرضت له فلم يلتفت إليها ، فأتت راعياً كان يأوى إلى صومعته فأمكنسته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت : هو من جريج . فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه . فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : زينت بهذه البغى فولدت منك . قال : أين الصبي ؟ فجاءوا به فقال : دعوني حتى أصلي . فلما انصرف أتى الصبي فطعن في بطنه وقال : يا غلام من أبوك ؟ قال : فلان الراعي . فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا : نبنى لك صومعتك من ذهب ؟ قال : لا ، أعيدوها من طين كما كانت . ففعلوا . ويدنا جريج صبي يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة وشارة حسنة فقالت أمه : اللهم اجعل ابني مثل هذا - فترك الثدي وأقبل إليه فنظر إليه فقال : اللهم لا تجعلني مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأن أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها ثم قال : ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زينت سرقت ؟ وهي تقول : حسبي الله ونعم الوكيل . فقالت أمه : اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر إليها فقال : اللهم اجعلني مثلها . فمنا لك تراجعاً الحديث فقالت . مر رجل حسن الهيئة فقلت

اللهم اجعل ابني مثله. فقلت. اللهم لا تجعلني مثله. ومروا بهذه الأمة يضربونها ويقولون زينت سرقت؟ فقلت: اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت: اللهم اجعلني مثلها قال: إن ذلك الرجل جبار فقلت: اللهم لا تجعلني مثله وإن هذه يقولون زينت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت: اللهم اجعلني مثلها (خ > ٢) (بدء الخلق) ص ٤٤

لقد أنطق هؤلاء الذى أنطق كل شيء وهو خلقهم أول مرة . ولعل هذا من أعظم الدلائل على القدرة - واحد لأب له . وثان أبرأ المؤمن من تهمة لصقت به ، والثالث لم يخدع بالظواهر وإن خدع الكبار بها ، ولا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله .

(١٠) (قدم عينه بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يذنبهم عمر رضى الله عنه ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبانا . فقال عينه لابن أخيه : يا ابن أخى لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لى عليه . فاستأذن له فأذن له عمر رضى الله عنه - فلما دخل قال : هى يا ابن الخطاب : فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل . فغضب عمر رضى الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهليين » ، وإن هذا من الجاهلين . والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى) .

لقد كان الأمراء يقربون منهم ذوى الرأى ، ليستأنسوا بهم ولينتفعوا بمشورتهم - صارفين النظر عن سن معينة تشتت لإبداء الرأى . فالكبير الجاهل يشفع له الصغير المتعلم عند أمير المؤمنين ويتعرض الأمير لنقد هدام ، ويهم أن يبطش بمبتغى السوء من وراء نقده فيذكر آيات الله فيطأطئ لها رأسه وينحنى لها ظهره وينقاد إليها قلبه . (إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) .

(١١) (كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن

سألهم : أفبكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس رضى الله عنه فقال له : أنت أويس بن عامر؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن؟ قال : نعم ، قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال : نعم . قال : لك والدة ، قال : نعم ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برلوا قسم على الله لأبره . فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فاستغفر لى ، فاستغفر له . فقال له عمر . أين تريد؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها؟ قال : أكون في غبراء الناس أحب إلى . فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرفهم فوافق عمر فسأله عن أويس - فقال : تركته رث البيت قليل المتاع . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد من أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برلوا قسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل . فأتى أويساً فقال . استغفر لى . قال : أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى . قال : لقيت عمر؟ قال : نعم فاستغفر له . ففطن له الناس فانطق على وجهه) والأرواح جنود مجنونة ، ما تعارف منها ائتلف . وهذا عمر بن الخطاب الذى تنبأ له الرسول أنه أجدر الناس بالإلهام ، وإن يكن فى أمتي محدثون فإنه عمر . وهذا أويس البار العالم العارف لنعم ربه وحقوق أمه ، يتلاقيان فيتعارفان ، ويستغفر لمن يطلب منه لعل الله أن يغفر .

وهذه القصة يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنها من تنبؤات النبي ، وأنها فيها عمر وأويس ، وما أدراك من عمر ومن أويس ، فمن الخطأ أن نقيس عليها غيرها مما تقطع بتكذيبها القرائن ، ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا .

وفى رواية لمسلم أيضا عن أسير بن جابر رضى الله عنه أن أهل الكوفة

وفدوا على عمر رضى الله عنه وفيهم رجل من كان يستخر بأويس فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ؟ فجاء ذلك الرجل فقال عمر : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : (إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له ، قد كان به بياض ، فدعا الله تعالى فأذهبه إلا موضع الدينار أو الدرهم . فن لقيه منكم فليستغفر لكم) .

وفي رواية له عن عمر رضى الله عنه قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة ، وكان به بياض فروه فليستغفر لكم) .

(١٢) لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة فقالوا : يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرقنا نواضحننا فأكلنا وادهننا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افعلوا . فجاء عمر رضى الله عنه فقال : يا رسول الله إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعا بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال : خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه وأكلوا حتى شبعوا وبفضل فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) .

وهكذا من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، اقترحوا أن يذبحوا . واقترح الفقيه عمر أن يأتوا بفضل الزاد ليحقق أمرين : المحافظة على الخيل وهى وسائلهم في الحرب وأهم أسلحتهم في النضال . والأمر الثانى اكتساب البركة بفضل دعاء النبى وإقامة برهان عملى ، على أن يئذل عن طيب نفس وإن كان قليلا فإنه يكفى الكثير : أما رسول الله فهو بالمؤمنين رؤوف رحيم

قبل الإقتراح الأول لإقرار الضرورة ، وقبل إقتراح الفقيه إلتماسا للبركة ، صلى الله عليه وسلم .

(١٣) (بينما رجل يمشى بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سمابة اسق حديقة فلان ، فتنبهى ذلك السحاب ، فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتنبج الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟ قال : فلان للاسم الذى سمع في السمابة . فقال له : يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى ؟ فقال : إني سمعت صوتا في السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لإسمك فما تصنع فيها ؟ فقال : أما إذا قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأصدق بثلثه ، وآكل أنا و عيالى ثلثا ، وأرد فيها ثلثه) .

هذا هو العدل يعرف للمعطى الحقيق حقه ، فيعطيه للفقراء ، ويعرف للجهد الإنسانى حقه ، فيأخذ أجر عمله ، ويعرف مالوجوب الاستثمار من قيمه ، فيستثمر برد البذر إلى أرضه ليعطيه غلة ، (وما رزقناهم ينفقون) (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) .

(١٤) (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني مجهود (١) فأرسل إلى بعض نسائه فقالت : والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : لا والذى بعثك بالحق ما عندى إلا ماء . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : من يضيف هذا الليلة ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا يا رسول الله ، فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته : أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي رواية قال لامرأته : هل عندك شيء ؟ قالت : لا ، إلا قوت صبياني ، قال : فعليهم بشيء وإذا

أرادوا العشاء فنومهم ، وإذا دخل ضيفنا فاطفئ السراج وأريه أنا نأكل .
فقدوا وأكل الضيف وباتا طاويين (١) ، فلما أصبح غدا على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال : لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة (خ ج ٢) (فضائل
الصحابة) ص ٦١ (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق
شح نفسه فؤلكم هم المفلحون) تلك أخلاق الصحابة ، وبجبة المضيف ، أما
بيت النبوة فليس فيه شيء لأنه لا على المال يحرص ولا على الجاه يبتغي ، فإذا
لم يتسع للضيف فإنه لم يتخلى عن أن يبحث عن مضيف آخر قام بواجبه ،
وزاد كرمه إلى حد أن كان موزعا لإلهام النبي به في صورة إعجاب الله جل
شأنه من سخاء عبده .

(١٥) (إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فرض للمهاجرين
الأوليين أربعة آلاف ، وفرض لابنه ثلاثة آلاف وخمسمائة . فقيل له :
هو من المهاجرين فلم نقصته ؟ فقال : إنما هاجر به أبوه يقول : ليس هو
كن هاجر بنفسه) .

(قاموا بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم ، أو الوالدين والأقربين)
حققوا العدل بين الناس بعد أن ألزموا به أنفسهم ، تنزهوا عن المحاباة
والمحتسوية فخضعت لهم جباه الجبابرة ، فرقوا بين أولادهم وسائر المهاجرين
لأمر غير ذى بال فنقصوا أولادهم من أجله .

ما أروع ذلك التهذيب للنفس ! ولا عجب فإن صاحب الأمر
والنهي عمر .

(١٦) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم :
(هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ،
وكان أشد ما لقيته منهم يوم العقبة (٢)) إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن

(١) جائعين (أى الزوجين) .

(٢) حين ذهب للطائف .

عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت . فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظلمتني فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك ؛ فما شئت أطبقت عليهم الأخشبين (١) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا (خ ج ٢ (بدء الخلق) ص ٣٤ .

والأنبياء أشد الناس بلاء ، لأنهم أكثر الناس مسئولية ، وكلما عظمت المسئولية اشتد الإبتلاء ، وهو لم ينس موقفا من أهل الطائف ردوه فيه أقبح رد ، وكان قد خرج إليهم يستنصر بهم على قساة أهل مكة ، ولم تنتهي الشدة بانهاء الطائف ، فكانت بأساء وضراء أحد . لا يظن ظان أن هناك موقفا كان أشد عليه من أحد ، فأخبر أن موقف الطائف أشد ، والحقيقة أنه تعرض لمواقف عديدة كانت شديدة وقاسية تحملها مؤمنا ، وتخطاها منتصرا وبعد أن أمكنه الله لم يدع على أعدائه ، بل طلب تحقيق أمينته هداية الخلق إلى رب العالمين .

(١٧) إنطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يقدم من أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه . فدنا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض . قال يقول عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال : نعم . قال : بئح . فقال رسول الله صلى الله

(١) الجبلان المحيطان بمكة .

عليه وسلم : ما يحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله . يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها . قال : فإنك من أهلها . فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال : إئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، إنها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل .

إن التأمل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء . وهل لأصحاب العقائد وفداة الحق من راحة إلا هناك ؟ .

وبهذه الروح المؤمنة ، وهت صفوف المشركين تحت مطارق هذا الإيمان الزاهد في مناع الحياة الدنيا . وراعهم محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد نزل بنفسه إلى ميدان يقاتل أشد القتال ، ومعه أصحابه يشتدون نحو عدوهم لا يبالون شيئا . فانكسرت قريش وأخذها الفزع .

(١٨) (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن ابعث معنا رجلا يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي (١) حرام ، يقرءون القرآن ، ويتدارسون به بالليل : يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفه ، وللفقراء ، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم فعرضوا لهم فقتلوه قبل أن يبلغوا المكان . فقالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا . وأتى رجل حراما خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه . فقال حرام : فزت ورب الكعبة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إخوانكم قد قتلوا وإنهم قالوا : اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا) خ ج ٢ (الحور) ص ١٤ ، ١٥

خرج الدعاة من المدينة حتى بلغوا بئر معونة . وكانوا سبعين من خيار المسلمين يعرفون بالقراء ، يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل ، ويحيون

(١) خال أنس .

على هذا النسق الرتيب من جهاد للحياة ورغبة في الآخرة . فلما أمرهم الرسول بالمسير لإبلاغ رسالات الله ، خرجوا وما كانوا يعرفون أنهم - جميعا - يمشون الخطى إلى مصارعهم في أرض انتشر الغادرون في فجاجها .

وحينما انتهى القراء إلى (بئر معونة) بعثوا أحدهم - حرام بن ملحان إلى عامر بن الطفيل رأس الكفر في هذه البقاع ، فأعطاه كتاب النبي الذي يدعوه فيه إلى الاسلام فلم ينظر عامر في الكتاب وأمر رجلا من أتباعه أن يغتال حامل الرسالة ، فما شعرا حرام إلا وطعنة نجلاء تخترق ظهره ، وتنفذ من صدره ، وكأن هذه الشهادة المفاجئة لاقت رجلا يتمناها من قديم ، فقد صاح حرام على أثر ذلك : فزت ورب السكة .

ومضى عامر في غشمه ، قاستصرخ أعوانه ليواصلوا العدوان على سائر القوم ، فانضمت إليه قبائل «رعل» و «ذكوان» و «القارة» فهجم بهم عامر على القراء الوادعين .

ورأى هؤلاء الموت مقبلا عليهم من كل صوب ، فهرعوا إلى سيوفهم يدفعون عن أنفسهم دون جدوى ، إذ استطاع الأعراب الهمج أن يغشوهم في رحالهم ، وأن يستأصلوهم عن آخرهم .

وكان في سرح القراء اثنان لم يشهدا هذه المأساة . منهم عمر بن أمية الضمري . ولم يعرفا النبا المحزن ، إلا من أفواج الطير المتوحشه ، تنطلق نحو المعسكر محومة حول الجثث الملقاة على الرمل الأعفر ، طاعمة بما تستطيع اختطافه بأظافرهما ومناقرها . قالا : والله إن لهذه الطير لشأنا . فأقبلا لينظرا فإذا القوم مضرجون في دمائهم . وإذا الخيل التي أصابتهم واقفه .

قال زميل عمرو له : ماذا ترى ؟ قال عمرو : أرى أن نلحق برسول الله نقص عليه الخبر . لكن زميله كره هذا الرأي ، وكان له بين من استشهدوا صديق حميم يدعي المنذر . لذلك أجاب عمرو بن أمية قائلا : ما كنت لأرغب

بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر . وما كنت لأبقى حتى أقص خبره على الرجال . وهجم على الأعراب يقاتلهم حتى قتل .

وأسر عمرو ثم أعتق وعاد إلى المدينة ، حاملا معه أنباء المصاب الفادح . مصرع سبعين من أفاضل المسلمين ، تذكر فكبتهم بنسكة أحد ، إلا أن هؤلاء ذهبوا في قتال واضح ، وأولئك ذهبوا في غدره شائنة .

ومع أن هذه الواقعة توجب على المسلمين أن يتبصروا قبل بعث أى وفد لنشر الإسلام بين القبائل البعيدة والمجاهل المريبة ، إلا أن ضرورة بث الدعوة - مهما فدحت النخسائر - جعلت النبي ينظر إلى هذه التضحيات على أنها أمر لا بد منه . كالتاجر الذى يتحمل المخارم الثقيلة حينما من الدهر ، لأن الإنسحاب من السوق بغية تجنّبها - قضاء عليه . فهو يبقى متجملا حتى تهب الريح من جديد ، رخاء تعرض مافقد . وذلك هو سر استجابة الرسول فى إرسال الدعاة .

(١٩) (إن أصحاب الصفة كانوا أناسا فقراء وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال مرة : من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس أو كما قال ، وأن أبا بكر رضى الله عنه جاء بثلاثة ، وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم بعشرة ، وأن أبا بكر تعشى عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم لبث حتى صلى العشاء ، ثم رجع فجاء بعد مامضى من الليل ماشاء الله . قالت امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال : أو ما عشتهم قالت : أبوا حتى تجيء وقد عرضوا عليهم ، قال : فذهبت أنا فاخبتأت فقال يا غنثر ، فجذع وسب ، وقال : كلوا لاهنيئا والله لا أطعمه أبدا ، قال : وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك ، فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأته : يا أخت بنى فراس ما هذا ؟ قالت : لا وقرة عيني لهى الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات فأكل منها أبو بكر وقال : فما كان ذلك من الشيطان ، يعنى يمينه ، ثم أكل منها

لقمة ثم حملها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأصبحت عنده . وكان بيننا وبين قوم عهد فضى الأجل فتفرقنا اثني عشر رجلا مع كل رجل منهم أناس ، الله أعلم كم مع كل رجل ، فأكوا منها أجمعون (خ ج ١) (مواقيت الصلاة) ص ٤٥ (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .

(٢٠) (شكا أهل الكوفة سعدا ، يعنى ابن أبى وقاص رضى الله عنه ، إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستعمل عليهم عمارا ، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلى . فأرسل إليه فقال : يا أبا إسحاق إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلى ؟ فقال : أما أنا والله فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخرج منها ، أصلى صلاة العشاء فأركد فى الأوليين وأخف فى الآخرين . قال : ذلك الظن بك يا أبا إسحاق ، وأرسل معه رجلا - أو رجالا - إلى الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة فلم يدع مسجدا إلا سأل عنه ، ويثنون معروفا ، حتى دخل مسجدا لبى عبس فقام رجل منهم ، يقال له أسامة بن قنادة يكنى أبا سعدة ، فقال : أما إذ نشدتنا فإن سعدا كان لا يسير بالسرية ولا يقسم بالسوية ولا يعدل فى القضية . قال سعد : أما والله لأدعون بثلاث : اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا ، قام رياء وسمعة فأطل عمره ، وأطل فقره ، وعرضه للفتن ، وكان بعد ذلك إذا سئل يقول : شيخ كبير مفتون ، أصابتنى دعوة سعد . قال عبد الله بن عمير الراوى عن جابر بن سمرة : فأنا رأيت بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، وإنه ليتعرض للجوازي فى الطريق فيغمزهن (١) .

لعل فى هذه القصة العادلة أنموذجا حيا للمسؤولين فى وزارة الأوقاف ، الذين يستمعون إلى الأفاكين عن العاملين فى المساجد .

ولقد كان عمر حسن الظن بسعد ، ومع ذلك تحرى . وفى هذه كرامة الأولياء ، وإلى أى مدى يستجيب الله دعوة المظلوم ؟

(٢٠) (وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما حضرت أحد ، دعاني أبي من الليل فقال : ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن على ديننا فاقض واستوص بأخواتك خيرا ، فأصبحنا فكان أول قتيل ، ودفنت معه آخر في قبره ، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر . فاستخرجته بعد ستة أشهر فاذا هو كيوم وضعته غير أذنه فجعلته في قبر على حدة) .

وهكذا شعور المؤمنين يخافون على نبيهم أكثر من خوفهم على آبائهم وأبنائهم .

ولا ينسى المؤمن في آخر عهده بالدنيا حقوق الآخرين عليه ، فيوصى بقضائها كالوصية بأولاده ، وهو يعد نفسه غدا للجهاد .

وهكذا يتنبأ الأولياء لأنفسهم ، فكانوا أول الشهداء كما تنبأوا .

ولقد أكرم الله أبا جابر ، فحرم على الأرض أن تأكل جسده ، والله أن يكرم عباده بما يشاء وهو يتولى الصالحين .

خاتمة

وحيث قد انتهينا من ثلاثين موضوعا، استعرضنا فيها قدرا من الأحاديث لنضع يد القارىء على شيء من كنوز السنة الخالدة ولا ندعى الإحاطة بها علما ، ولكن كما قلت - هذه قطوف من الثمر الجنى اقتطفناها من رياض السنة ، والتزمت فيها ذكر الصحيح والحسن .

وأذكر القارىء أنى بشر أخطيء وأصيب ، فأرجو نقدا بناء ، والخير أردت . وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

— فہرست —

- وهذه نبذة يسيرة عن علوم السنة ، أقدمها لتمام الفائدة :-
- ١ — المتواتر لابد أن يستند إلى أحد المحسوسات .
 - ٢ — خبر الواحد إن تردد فيه المعدل ردت روايته ما لم يعدله غيره .
 - ٣ — المسند يطلق على :-
(ا) المتصل المرفوع . (ب) مرويات كل صحابي على حدة .
(ج) الإسناد - أى الرجال .
 - ٤ — تعديل الإمام الثقة لخبر الواحد ، أو وجوده في كتاب محترم يقربه من اليقين - أى خبر الواحد .
 - ٥ — أصل السند الصحابة والتابعون . ويسمون بالفرد المطلق وهو فرد بكثرة وغريب بقلّة ، ومقابلهما يسمون بالفرد النسبي - وهو فرد بقلّة وغريب بكثرة .
 - ٦ — حسن صحيح : إن كان له سندان فعنايه حسن وصحيح . وإلا فحسن
 - ٧ — حسن غريب يراد به الحسن لغيره .
 - ٨ — زيادة راوى الحسن والصحيح مقبولة ما لم تخالف الأرجح .
هذه قواعد ذكرتها لأن الدارس للسنة تصادفه هذه التعبيرات فذكرتها للعلم بها . وهذه بعض التعريفات :
 - ١ — المحفوظ : رواية الأرجح - عددا أو صفة مخالفا للرجوح الثقة . ومقابلته يسمى الشاذ .
 - ٢ — المعروف : رواية الأرجح عددا أو صفة مخالفا للرجوح غير الثقة ، ومقابلته المنكر .
 - ٣ — المتابع : الحديث الذى شارك غيره لفظا أو معنى فى الصحابي . فإن وافقه فى غير الصحابي يسمى شاهد .

— ١٨٨ —

٤ — المحكم : الحديث الذي لم يعارض . فإن عورض فهو المختلف . فإن أمكن الجمع جمع ، وإلا فإن أمكن معرفة الناسخ قيل به ، وإلا فإن أمكن معرفة الأرجح حمل عليه ، وإلا توقفنا فيه .

هـ — ١ — المتصل : ما اتصلت سلسلة روايته .

ب — المعلق : ما كان الحذف في أول السلسلة .

ج — المرسل : ما كان الحذف في آخر السلسلة — أى الصحابي .

د — المنقطع : ما كان الحذف في وسط السلسلة — واحد فأكثر لاعلى التوالى .

هـ — المعضل : ما كان الحذف اثنين على التوالى .

٦ — ١ — المنقطع : رواية الراوى عن راو آخر لم يعاصره ولم يلقه .

ب — المدلس : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولقيه لكنه لم يسمع منه .

ج — المرسل الخفى : رواية الراوى عن راو عاصره ، ولم يلقه ولم يسمع منه . فالفرق بينه وبين سابقه المدلس أن فى التدليس لقاء من غير سماع . أما المرسل الخفى فليس فيه لقاء ولا سماع .

٧ — ١ — الموضوع : ما رواه الكذاب .

ب — المتروك : ما رواه المتهم بالكذب .

ج — المنكر : ما رواه الفاسق ، مخالفا للثقة . ولا بد للمنكر من أن يكون الفسق معروفا .

د — المجهول : فإنه يبحث عنه ، وتوقف روايته حتى يعدل .

هـ — المبتدع : فإن كان داعيا أو مروجا لبدعته ردت . وإلا قبلت .

٨ — فاحش الغلط وفاحش الغفلة يسمى منكرا . أما سبىء الحفظ

فيسمى شاذا . هذا عند قوم .

٩ - المعلق : مارواه الموهوم .

١٠ - المدرج : ما حصل فيه تغيير . فإن كان التغيير في السياق فهو مدرج الإسناد . وإن كان التغيير في المتن فهو مدرج المتن .

١١ - المقلوب : ما حصل فيه تقديم وتأخير .

١٢ - المضطرب : ما استبدل فيه بعض الرواة .

١٣ - ومتصل الأسانيد : زيادة الراوى .

١٤ - المحرف : ما غير فيه الشكل .

١٥ - المصحف : ما غيرت فيه النقط .

١٦ - العالى : ما قلت روايته بالنسبة لسند آخر . ومقابلته النازل . فإن قلت الرواة بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم فهو العالى علوا مطلقا . وإن قلت بالنسبة لإمام أو لأحد الكتب الستة فهو العالى علوا نسبيا . والنازل كذلك . وكلاهما ينقسم إلى :

موافق - بدل - مساوى - مصافح .

فالموافق : توافق الحديث فى سندين .

والبدل : إبدال أحد الرواة براو آخر ثم اتفاق فى باقى السلسلة والمساوى : كأن يوجد رجال مساوون لرجال السند الآخر . والمصافح : كأن يروى بسلسلة مساوية لتلييد النسائى .

١٧ - ورواية الأقران ورواية المديج - كأن يروى كل قرين عن قرينه . ورواية السابق كرواية الكبير عن الصغير ثم يروى آخر لم يعاصر الكبير عن الصغير ، فيشتركان فى الرواية عن الصغير .

١٨ - المتفق والمفترق : مثل محمد بن عبد الله الأنصارى .

١٩ - والمؤتلف والمختلف مثل : سلام . وسلام . والمتشابه : مثل محمد ابن عقيل . ومحمد بن عقيل . والمشتبه المقلوب مثل : الأسود بن يزيد ، ويزيد بن الأسود .

٢٠ - المسلسل : رواية الحديث على نفس الحالة التي روى عليها - كالقبض على اللحية حين الرواية .

شروط التحمل : - التميز والضبط .

شروط الأداء : - العدالة والضبط .

والتحمل هو سماع الحديث وحفظه . أما الأداء فنقله للغير .

صبيغ التحمل :

١ - السماع . ٢ - العرض .

٣ - الكتابة مقيدة بالإجازة . ٤ - الكتابة مطلقا .

٥ - المناولة مقيدة بالإجازة . ٦ - الإجازة .

٧ - المناولة . ٨ - الإعلام .

٩ - الوصية . ١٠ - الوجداء .

شروط المعدل والمجرح :

١ - العدالة ٢ - التيقظ

٣ - المعرفة بأسباب الجرح والتعديل .

٤ - الدراية النامة بأحوال الرواة .

مراتب التعديل :

١ - لا أحد أثبت منه . ٢ - ثقة ثقة .

٣ - ثقة . ٤ - صدوق .

٥ - صدوق له أوهام . ٦ - مقبول .

مراتب الجرح :

١ - لين . ٢ - ضعيف .

٣ - مردود . ٤ - متروك . ٥ - شذاب ؛

وعلم الحديث ينقسم إلى :

(١) رواية . (ب) دراية .

ومسائل علم الحديث دراية كلية . أما الرواية فجزئية .

فمثلا - خبر الواحد يجوز العمل به . فإنها قاعدة كلية .

أما إذا قلنا عن حديث منسوب لأبي هريرة إنه ضعيف - فليس معنى هذا الحكم على جميع روايات أبي هريرة بالضعف كما توهم الجهمية الذين يكتبون عن غير علم .

تعريف الرواية : حمل الحديث ونقله وإسناده إلى من عزى إليه بصيغة من صيغ الأداء .

تعريف الدراية : علم يعرف به أحوال السند والمتن من حيث القبول أو الرد .

وقد اهتم المسلمون بالحديث اهتماما لا يقل عن اهتمامهم بالقرآن الكريم وإن كان القرآن في المرتبة الأولى ، فالحديث في المرتبة الثانية .

وخلاصة ما نقله المسلمون متعلقا بدينهم :

١ - القرآن وسائر العبادات .

٢ - الأخبار المتواترة .

٣ - الأحاديث الصحيحة .

٤ - الحديث المقطوع - وهو ما أضيف للتابعي . والموقوف : ما أضيف للصحابي . والمرفوع : ما أضيف للنبي .

٥ - الحديث الذي في سلسلته مجروح أو مجهول . وذلك للبحث عنه وإثبات صحته أو ضعفه .

والحديث إما متواتر أو غير متواتر ، والخبر إما أن يكون غير محفوظ
بالقرائن أو محفوظ بالقرائن .

والقرائن إما لتصديقه أو لتكذيبه .

والخبر المحفوظ بقرائن تكذيبه : ما كان مخالفاً للمنقول القطعي من
كتاب أو سنة متواترة ، أو مخالفاً للعقل القطعي ، أو للإجماع أو اتفاق على
تكذيبه جمع كثير ، أو سكتوا عن ذكره .

وللمحدثين إصطلاح في معنى الخبر والآثر والحديث والسنة - وكما معان
مقاربة تشمل ما أضيف للنبي أو الصحابي .

شروط الرواية الصحيحة :

١ - الاتصال . ٢ - عدالة الراوى .

٣ - ضبطه . ٤ - عدم شذوذه

٥ - عدم وجود علة .

حكم العمل بخبر الواحد :

ويجوز العمل بخبر الواحد عند الجمهور ، وخالفهم الجبائي وله دليلان :

١ - لو جاز العمل به لجاز التعبد به . ولو جاز التعبد به لجاز اجتماع
النقيضين عند التعارض - كتعارض حديثين أحدهما الجهر بالتسمية والآخر
الإصرار بها .

والجواب عن اعتراض الجبائي ودليله : أن نقول للجبائي إن تساويا
وجب الوقف . وإن ترجح أحدهما وجب العمل بالأرجح . وإن علم الناسخ
وجب العمل به .

وإن قال الجبائي بتعدد الحق ، قلنا له نحن مطالبون بما انتهى إليه علمنا ،
وإن كان يقول بوحده فالإجماع منعقد أن المصيب له أجران والمخطئ
له أجر .

الدليل الثاني لإعتراض الجبائي وقوله لا يجوز العمل بخبر الواحد : لو جاز العمل بخبر الواحد لأمكن نقل القرآن به وادعاء النبوة من غير معجزة والعمل به في العقائد وهذا كله لم يحزه الجمهور ، وجوابه : أن القرآن بما تتوافر الدواعي على نقله متواترا . وأن ادعاء النبوة من غير معجزة منقوض بأن الله لم يرسل نبيا إلا أيده بها .

أما العقائد فعلتها ثبتت من أول الأمر مطابقة للواقع فلا يقبل فيها إلا اليقين . وخبر الواحد يفيد الظن .

أما الروافض فقالوا عن العمل بخبر الواحد هو جائز عقلا ، غير واقع شرعا . واستدلوا :

- ١ — قوله : « ولا تقف ما ليس لك به علم » ، وجوابه : إما أن تكون خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإما أن الظن لا يكفيه في الوحي ، وإما أنها منع للشاهد من أن يحزم بالظن ، وإما أن العلم يراد منه الظن .
- ٢ — استدلوا بقوله : « وما يتبع أكثرهم إلا ظنا » ، وجوابه : أنها في العقائد أو أنها في الظن الناشئ عن غير دليل . والدليل على العمل بخبر الواحد عمله صلى الله عليه وسلم به حين كان يرسل الدعاء ويعمل بمقتضى أخبارهم ، وهذا ثابت مشهور فلا معنى للمخالفة .

تقسيم التواتر : —

(أ) لفظي : وهو ما اتفقت الروايات على معنى واحد في قصة واحدة

(ب) النواتر المعنوي : ما اتفقت الروايات على معان متعددة في قصص

متباينة — كشجاعته ومروءته ووفائه .

والأول كحديث رفع اليدين في الدعاء — فإنه من التواتر اللفظي . وكلاهما يفيد العلم بالضرورة فلا دخل لبحث المحدث فيه بعد أن ثبت له تواتره .

تعريف : الغريب ما رواه واحد . العزيز ما رواه إثنان : المشهور :
مارواه ثلاثة .

وقد تكون هذه الأقسام صحيحة . وقد تكون ضعيفة .
والضعيف : منه ما يعتبر به وما لا يعتبر به . والمشهور : يفيد طمأنينة
العلم . والعزيز : يفيد أغلب الرأى . والغريب : يفيد الظن .
أما عند ابن رشد : فسنه لا ينكرها إلا كافر ، وأخرى لا ينكرها
إلا زائع ، وثالثة توجب العلم والعمل ، ورابعة توجب العمل .
والمتواتر يفيد العلم بنفسه لا بالقرائن .
وشروط المتواتر :

- ١ — أن يحيل العقل تواضعهم على الكذب .
 - ٢ — أن يكون المخبرون كثيرين .
 - ٣ — أن يكون سندهم إلى الحس .
 - ٤ — أن تكون الجماعة الكثيرة موجودة في كل طبقة .
- وهذه بعض القواعد والأصول لمعرفة مدى صحة الحديث بناء على
التعبير عنه : —

- ١ — قول الصحابي أمرنا أو نهينا أو من السنة — فهو من المرفوع
على رأى ابن الصلاح والجمهور . وخالفهم قوم . ولهم دليلان : —
(أ) احتمال أن يكون الأمر غير الرسول .
(ب) عدم التصريح بقول الرسول - وقيل إن قال ذلك أبو بكر فهو
من المرفوع .

- ٢ — قول الصحابي كنا نفعل ، فإن أضافه إلى زمن النبي فهو من
المرفوع ، وإلا فلا . وقيل إن كان محالاً يخفى على الناس فهو من المرفوع .

وإن قالها التابعي فهل تقرير الصحابة يجعله موقوفاً أو لم يزل مقطوعاً وقف على التابعي .

٣ - تفسير الصحابي إن كان في سبب النزول أو لا مجال للرأى فيه مرفوع .

٤ - قول الصحابي : نزلت الآية في كذا فرأى البخارى أنه مرفوع . وإن كان القائل من أئمة التابعين فرسل مرفوع . وقال ابن حجر قول الصحابي فيما لا مجال للرأى فيه - إن كان لم يأخذ عن أهل الكتاب مرفوع .

٥ - وإن قال الصحابي برفعه مرفوع . وإن حذف الصحابي القائل مرفوع .

ومن المحدثين من يقسم الحديث إلى مقبول أو مردود، وأعرض عليه لأن اصطلاحات المحدثين مختلفة - فمنهم من يجعل الحسن قسماً من الصحيح، ومنهم من لا يجعله قسماً منه .

والصحيح إما لذاته أو لغيره . وهو حديث أصله حسن لكن أيده حديث آخر صحيح فصار الحسن صحيحاً لغيره .

والحسن كذلك : إما لذاته أو لغيره وأصله حديث ضعيف أيده حديث حسن لذاته فصار الحديث الضعيف حسناً لغيره .

والضعيف درجات . كما أن الصحة درجات . فما رواه عدل تام الضبط خال من الشذوذ والعلّة متصل الإسناد فصحيح .

أما ما رواه خفيف الضبط فالحسن . والتجريح من أجل العدالة أخطر من التجريح من أجل الضبط .

والعلماء اصطلاحات في تعريف الصحيح . أشهرها ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ولا معللاً . وهذا تعريف ابن الصلاح .

وعرفه ابن الخطابي بأنه ما اتصل بسنده وعدلت نقلته . واعترض عليه بأنه غير مانع .

والمسند له اطلاقات : -

- ١ - المتصل المرفوع . ٢ - ما اتصل إلى منتهاه .
- ٣ - أنه المرفوع . وقد يراد به المعنى اللغوي وهو ماله سند .
- ولا يخفى أن المسند يطلق على مرويات الصحابة كذلك كما فعل الإمام أحمد .

وقد اعترض على هذه التعريفات :

- ١ - من يقبل المرسل ولا يطلق عليه أنه مسند لأنه سقط منه الصحابي .
- ٢ - الفقهاء يأخذون بالشاذ والمعلل .
- ٣ - لا يشمل الحسن إن ترقى .
- ٤ - المتواتر صحيح وليس صادقاً عليه .
- ٥ - الشروط المختلف فيها من شهرة الراوى ، وفهمه ، وكثرة سماعه ، وعلمه ، وفقهه ، ولقاؤه بمن روى عنه . وتعدد الرواة كالشهادة .
- ٦ - عدم الشذوذ يغنى عن اشتراط الضبط .
- ٧ - لم يشترط نفي الإنكار . ٨ - لم يقيد العلة .

وأجيب عن هذه الاعتراضات :

الإعتراض الأول : التعريف عند المحدثين . أما عن الإعتراض الثانى فكذلك . والثالث بأن المراد الصحيح لذاته . والرابع أن المتواتر تنطبق عليه الشروط . والخامس يمكن دخول الشروط فى التعريف والسادس هو فى مقام التوضيح . والسابع الإنكار هو الشاذ عند ابن الصلاح . والثامن إرادة العلة الفادحة .

والصحيح المتفق عليه خمسة :

- ١ - أن يروى عن الصحابي لأثنين من التابعين .
 - ٢ - أن يروى عن الصحابي واحد عن واحد .
 - ٣ - أن يروى عن التابعي واحد فقط .
 - ٤ - الغرائب الثقات - واحد عن واحد .
 - ٥ - الإمام عن أبيه عن جده إلى النبي .
- الصحيح المختلف فيه خمسة :-

- ١ - المرسل .
 - ٢ - المدلس إن لم يذكر سماعا .
 - ٣ - ما أسنده الثقة وأرسله الثقات .
 - ٤ - روايات الثقات غير الحفاظ .
 - ٥ - روايات المبتدعة الخاذقين .
- واعترض على الثالث المختلف فيه بوجوده في الصحيحين وكذلك نفس الإعتراض على الخامس . أما الرابع فادعى الإتفاق عليه .
- أما ابن الصلاح فقال : إن توافرت الشروط التي هي في تعريف الصحيح فتفق على صحته . وإلا قد اختلفوا حسب نظرتهم لوجود هذه الشروط . فن أدى أنها موجودة حكم بالصحة .
- أما تعريف ابن الصلاح السابق فلا توجه له هذه الاعتراضات لأنه أراد الصحيح المتفق عليه عند المحدثين .
- وحكى النووي أن الطبقات المقبولة :-

- ١ - أئمة الحديث .
- ٢ - من دونهم في الحفاظ .
- ٣ - المعتدلون من أهل البدع .
- أما الطبقات المردودة :-
- ١ - الكذابين .
- ٢ - من كثر خطوهم .

٣ - أهل البدع المغالون . والمختلف فيها المجهولون .

الصحيح باعتبار تدوينه :

١ - ما اتفق عليه البخارى ومسلم . ٢ - ما انفرد به البخارى .

٣ - ما انفرد به مسلم . ٤ - ما كان على شرطهما .

٥ - ما كان على شرط البخارى . ٦ - ما كان على شرط مسلم .

٧ - ما كان على شرط غيرهما .

وشرط البخارى المعاصرة واللقاء . وشرط مسلم فى الراوى أن يعاصر من نقل عنه ولو لم يلقه .

ومن المحدثين من اعترض على هذا الترتيب . ووجهة نظارهم : لم يشمل الكتب الستة . وأجيب بأن تخرج الكتب الأربعة لايغنى أنه صحيح لعدم التزامهم بإخراجه . ففيها غير الصحيح . أى الكتب الأربعة .

ما يفيد الحديث الصحيح :

الصحيح من حيث هو يفيد ترجيح الصدق على الكذب ، وهو المعروف بالظن وهذا رأى الجمهور . وحكى عن بعضهم أنه يفيد القطع . ونقل عن بعض الشافعية إن كان فيه إمام أفاد القطع ، وإلا فلا . وقال ابن الصلاح ما فى الصحيحين يفيد القطع إلا ما استدرك عليهما .

أدلة الجمهور :

١ - جواز الخطأ والنسيان على الثقة .

٢ - لو أفاد القطع من غير قرينة للزم .

(أ) كونه عاديا فيطرد .

(ب) اجتماع النقيضين عند تعارض العدلين .

٣ - وجوب تحيطة المجتهد المخالف له .

٤ — عند معارضته للتواتر .

٥ — امتناع التشكيك بما يعارضه .

وهذا كله غير مسلم . فثبت أنه يفيد الظن كما قال الجمهور . وللقائلين إفادته القطع أدلة لا تخلو من اعتراضات عليها . واختار الغزالي أنه إذا اقترن بالقرائن فقد يفيد العلم . ونوقش بأن القرائن هي التي أفادت القطع لا نفس الخبر .

وثانيا : لو أفاد لكان كل خبر آحاد اقترن بالقرائن أفاد القطع .

وأجاب الغزالي أن الدعوى هي أن القرينة مع الخبر قد تفيد القطع لا أن كل خبر معه قرينة يفيد القطع .

ثالثا : بما اعترض به على الغزالي كيف نفرق بين ما أفاد العلم وما لا يفيد ؟

وأجاب بأنه إذا حصل العلم أيقنا أن الخبر المحفوف بالقرينة هو الذي أحدث هذا العلم .

وقال ابن حجر الخبر المشهور الذي معه القرينة يفيد العلم النظري . وبعضهم قال إن الخلاف لفظي . فمن قال بالظن أراد العلم النظري . ومن قال بالقطع لم يرد العلم الضروري . والحق بعد هذا كله هو هل الخبر مع القرينة التي أفادت القطع له دخل في الإفادة بأن يكون جزء علة ، أو شرطا في إفادة القطع ، أولا ؟

والصحيح إذا كانت القرينة مثبتة لمضمون الخبر ، فإن كانت قطعية فلا دخل للخبر في الإفادة . وإن كانت غير قطعية فمعها يبقى احتمال عدم ثبوت مضمون الخبر . وكذلك عدم ثبوت مضمون الأخبار . وهنا لا يفيد القطع . أما إن كانت القرائن على صدق الخبر وهي قطعية كان إخباره مفيد للقطع . وهذا الكلام في غير المنصوم من الأنبياء والإجماع . لأن خبرهما قطعي . ومن القرائن المحتفة بالخبر ما أخرجه الشيخان ، أو الخبر المشهور ، أو خبر الأئمة العدول . فإن ذكر الأئمة لهذا الخبر قرينة حافة بالخبر .

أشهر مؤلفات الحديث :

الكتب الستة . وصحيح ابن خزيمة ، وابن حبان ، ومستدرک الحاكم .
ومسند أحمد .

ويقدم ابن خزيمة على ابن حبان :

١ — لدقة تحريه فكثيرا ما يقول إن صحيح الخبر .

٢ — إن ابن حبان يروى عن المجهول الذى يروى عن ثقة ، ويروى
عن ذلك المجهول ثقة . وهو أصح من الحاكم لأن الحاكم يتساهل . وليست
الكتب الستة فى درجة واحدة . فالبخارى ثم مسلم فأبو داود . والفرق بينهما :

١ — إن التفاوت عند مسلم فى الرجال . أما عند أبى داود فى المتن .

٢ — فى أبى داود ما فيه وهن غير بين . وليس كذلك فى مسلم .

٣ — الطبقة الثالثة عند مسلم يجعلها من المتابعات ، ولا كذلك أبو داود .

٤ — إن مسلم يلتزم الصحيح ، وأبو داود لم يلتزم .

ثم النسائى . والترمذى .

والفرق بين طبقات رجال النسائى وأبى داود من جهة وطبقات الترمذى

من جهة أخرى :

أن الأولين لم يسلم رجالهم من غوائل الجرح والتعديل . أما طبقة
الترمذى فكذلك ولكن قلت ممارستهم للزهرى النابغى . وامتاز البخارى
بفقهه تراجمه . وأبو داود فى جمعه الأحكام . والترمذى فى صناعة الحديث .
والنسائى فى أدق هذه الصناعة . وهناك مستخرجات على الصحيحين
ولها فوائد :

١ — ليكون الإسناد أوقع . ٢ — زيادة الصحيح .

٣ — كثرة الطرق للترجيح عند المعارضة .

٤ — توضيح عن اختلط عليهم .

٥ — سماع المدلس الراوى بالعننة . ٦ — توضيح المبهم .

٧ — تسمية المهمل . ٨ — إزالة العلل .

وقال ابن دقيق العيد : إن كنت فى مقام الرواية فقيد بما تروى عنه من الكتب . وإن كنت فى مقام الاحتجاج فيكفيك الإطلاع .

ويرى ابن الصلاح أنه فى هذه العصور لا تتجاسر على تصحيح ما لم يسبق تصحيحه . وخالفه النووى .

ودليل ابن الصلاح قصور الهمم وزيادة الجسارة ، واهتمام الأئمة المتقدمين ووجود مستدرك الحاكم الكبير .

ولم يفرق ابن الصلاح بين عدم التصحيح وعدم التحسين فى عصرنا . أما النووى فقد أجاز التصحيح والتحسين من باب أولى . وكذلك منع ابن الصلاح القول بالتضعيف أو بالوضع فى زمننا ، وتوقف فى القول بالفرد والغرابة .

والحديث الضعيف الذى لا يجبر ما كان فيه الخستان : الستر والغفلة . أما ما كان فيه أحدهما ، أو كان ضعفه بسبب انقطاع فإنه يجبر بشروط :

١ — خلوه من الشذوذ والنسكارة .

٢ — أن يكون المقوى له صالحا للإعتبار .

ويجب العمل بالحديث الحسن . كما يجب العمل بالحديث الصحيح .

ورواية البخارى المعلق بصيغة يروى : إما لأنه يرويه بالمعنى ، أو هو على غير شرطه ، أو ضم إليه ما لم يصح ، أو يكون حسنا ، أو ضعيف به عليه أم لا .

والجمهور لا يحتجون بالمرسل لاحتمال أن يكون فى المحذوف شيء ، ولقوله تعالى : (فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين) الآية .

ومن السنة : تسمعون ويسمع منكم ويسمع من سمع منكم . وقال مالك

وأبو حنيفة وأحمد : يحتج به مع قليل من الاحتراز . وقال الشافعي : يحتج به إن كان المرسل من كبار التابعين وأيد . وقال ابن الصلاح حكم المرسل كالضعيف يحتج به إن تعضد . وزاد الرازي في المعتضد أن يكون مساويا للمرسل . وزاد الأصوليون أن يوافقه قياس أو عمل مشهور . ومرسل الصحابة يحتج به على الرأى الراجح .

وابن الصلاح والنووي يسويان بين المرسل الخفي والمدلس .
والتدليس أقسام :

- ١ - تدليس القطع : أن يدلس من غير ذكر أداة .
- ٢ - تدليس التجويد أو التسوية : أن يحذف الضعيف ويروى عن فوقه لكونه ثقة .
- ٣ - تدليس العطف : كأن يروى عن فلان ولم يسمه ولم يسمع منه .
- ٤ - تدليس السكوت : كأن يقول سمعت ثم يسكت .
- ٥ - تدليس التورية : كأن يقول سمعته ثم يروى حديثاً آخر .
- ٦ - تدليس الاستدراك : كأن يقول سمعت من عبد الرحمن من أبيه وهو سامع من أبيه فقط .

وهذه الأنواع من التدليس في الإسناد .

وقسم الحاكم المدلسين إلى .

- ١ - من لم يميز بين ماسمع وبين ما لم يسمع .
 - ٢ - من يدلس ثم يعترف بالتدليس إن سئل .
 - ٣ - من دلس عن مجهول . ٤ - من دلس ولكن عن سمع منه .
 - ٥ - من دلس عن يره . ٦ - من يصف شيخه بغير المشهور به .
- وفي الإحتجاج بالمدلس خلاف وتفصيل في الصيغ والرجال وما عرف هن المدلس من روايته عن الثقات ،

أنواع الموضوع:

إما كلام الواضع ، أو يأخذ كلام غيره ، أو يجعل للحديث الصحيح سنداً صحيحاً .

هذا قليل من كثير ، ذكرته لعموم الفائدة ، ولأن النظرات في السنة يجب أن تكون في علم الدراية ، ولا تنحصر على علم الرواية ، واخترت لها الخاتمة كي لا يصد العامة عن الكتاب لمطالعته لما لا يدركون ، وأخاطب به الذين يتحدثون عن السنة من غير علم ، يحسبوننا سهلة ، وأنها مجرد نقل حديث من كتاب - تلك دراستهم .

والأمر أعمق من هذا وأدق ، وإذا كانت الفلسفات الحديثة والمنطق الجديد يعتمدان على الملاحظة والتجربة - ففي علوم الحديث هذا المنهج الدقيق ، الذي زاد عن منهج الفلاسفة دراسة نفسية لأحوال الرواة ، من غير تتبع لعوراتهم ، ولا تجسس عليهم بطريقة غير مشروعة .

فإلى المتحدثين عن السنة أن يدرسوا قبل أن يتحدثوا ، ومن الإثم أن ينقل حديث من كتاب فقه - إلى أنه منقول من كتاب حديث - فالسنة كتبها ، وللغة مراجعه ، وما يقبله الفقيه من حديث قد لا يقبله المحدث كما سبق .

وإلى كل منصف أن يبصرني بما يجده من خطأ في هذا الكتاب ، وليس في العلم كبير ، وفوق كل ذي علم عليم .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه .
والمتدين بهديه ، أولئك حزب الله ، ألا إن حزب الله هم المفلحون .

وقد كان الفراغ منه يوم ٢٠ رمضان سنة ١٣٨٧ هـ ، الموافق ٢١ ديسمبر سنة ١٩٦٧ م ، جمع فيه ألف ومئتا وإثنى عشر حديثاً .

د ، محمد عبد المنعم محمود القيعي
مدرس بكلية أصول الدين

﴿ محتويات الكتاب ﴾

رقم الصفحة	
٤	١ — النبي صلى الله عليه وسلم
٢٨	٢ — الله
٥٠	٣ — الدعاء
٥٨	٤ — تنبؤات
٦٧	٥ — الرؤيا
٦٨	٦ — الأولياء
٧٢	٧ — العلم
٧٩	٨ — الأسرة
٩٢	٩ — حقوق الأقارب
٩٥	١٠ — الرحمة
٩٨	١١ — الصبر
١٠٣	١٢ — الأمانة
١٠٤	١٣ — التوبة
١٠٥	١٤ — الحكم
١١٥	١٥ — الصلاة ومقدماتها
١٣١	١٦ — الزكاة
١٣٦	١٧ — الصوم
١٣٨	١٨ — الحج
١٤٢	١٩ — الجهاد
١٥٢	٢٠ — القرآن
١٥٧	٢١ — الكذب
١٥٩	٢٢ — الجزاء

رقم الصفحة

١٧٣	٢٣ — الأدب
١٧٨	٢٤ — الموت وأحكامه
١٨٤	٢٥ — كياسة
٢٠٩	٢٦ — العدل
٢٢٥	٢٧ — على هامش المعاملات
٢٣٩	٢٨ — اجتماعيات
٢٥٩	٢٩ — مبادئ
٢٦٥	٣٠ — القصص
٢٨٥	ثم خاتمه في علوم الحديث

(تم الكتاب بحمد الله)